نواصی

إهـداء

هذه خطوات ونواصى فى حياتى.

أى عمرى كله.

فلمـن أهـديها .. بعـد أن كانـت وجهتـى فـى كـل فعـل إلـى الله وحده.

أى نذرتها من قبل قرباناً إليـه .. عسـى أن يتقبلهـا منـى. وهـو وحـده الشـهيد العلـيم بمـا فـى الصـدور .. ولـيس مـن دونـه ملتحدا.

أحمد رجائى عطية

القاهرة فى:2009/7/1

كلمة للمؤلف

لكل منا فى حياته منعطف أو ناصية .. أما أن تغير هذه الناصية من حياته .. أو يترك الشخص نفسه فى طريقة علامة تشكل هى فى حد ذاتها منعطفا أو ناصية

ويعتقد الإنسان أن هذه هى الأقدار .. أو القدر .. وأسميتها أنا الناصية فقد ترك الله للإنسان أن يختار أحدى هذين الطريقين اللذين شكلوا هذه الناصية.

والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء .. ويضل أو يهدى حسب سلوك الإنسان نفسه والتى تنبع من قيمة ومبادئه ووجدانه.

أن المبادئ والقيم هذه هى الذخيرة للإنسان عند الله .. والتى من هذه الذخيرة يضعها الله فى حساب الإنسان عند كل ناصية .. أما بالهداية أو الضلال بل إن من هذه الذخيرة .. ما يورث للأبناء والأحفاد.

قال تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) سورة الشمس الآية (9/8).

وحكمة سمعتها من أهلى وهى (أن التقوى .. تنفع الذرية).

لذا بدلت اسم قصة حياتى لأسميها .. النواصى .. عسى أن تنفع من هم بعدى.

وأحمد ربى عند كل ناصية هدانى فيها ربى .. واستغفره عند أى ضلاله.

الناصية الأولى

قد تكون هذه الناصية وهى فى الفترة الأولى من حياتى منذ نعومة الأظافر حتى حصولى على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة). وهى فترة التعبئة لى بالثقافات المتعددة بطريقة تلقائية وملء الوجدان بالمبادئ والقيم .. سواء من الأهل أو الجيران أو الأصدقاء ومن خلال التعاليم الدينية والسلوك العام القويم.

لقد تكونت شخصيتى من خلال اختلاطى بابن البلد فى القاهرة وابن الريف فى قريتى .. والفروق بين لعب الحكشه (لعبة مثل الهوكى) بجريد النخل مع أبناء قريتى وبين التزحلق بالباتيناج مع الجيران الاجانب من يونانيين وطليان فى صالات السينما الصيفى أثناء الشتاء.

وبين صلاة الجمعة فى المسجد .. ومشاركة الأخوة المسحيين ممارسة الرياضة فى الكنائس .. وانتظار بعضنا البعض حتى يؤدى كلٍ منا شعائره لننطلق سويا.

لقد كان إيمانى كبير بأن كل شىء ذكر بالقرآن الكريم فهو حق – لدرجة أنه كان فى قريتى يذكر أصدقائى أبناء الفلاحين أن هناك عند نهاية ترعة صغيرة بجانب الجبانة الموجودة فى طريق عودتنا إلى بيتنا فى القرية .. أنه تظهر هناك عفريته اسمها (الشيبه) ولها مواصفات مخيفة كما كانوا يتحاكون .. وأنها تظهر ليلا .. لذلك كنا نرجع من البلدة إلى العزبة بشكل جماعى .. واذكر أنى فى أحد المرات انسلخت من المجموعة عند العودة ليلا لأسبقهم وأرجع

منفردا .. حتى أرى ما يسمونه بالشيبه .. إيمانا منى أنى أنا الأقوى .. كما ذكر الله فى قرآنه إن الإنسان أقوى من أى جن أو عفريت.

ولم تظهر الشيبه .. ومرت التجربة بسلام .. رغم ما عانيته من قلق وتحفز.

وأهم ناصية هى أنى تعلمت من والداى الاعتماد على النفس ولكنها كانت حرية مراقبة منهم .. وكذلك تعلمت منهم حب وطنى .. بل وصل إلى حد الدفع للتطوع ضمن الفدائيين أيام الاحتلال الإنجليزى رغم صغر سنى. كما أن علاقتى بأخوتى سواء الأولاد أو البنات وكنا سبعة أخوه .. والتى بدأت بلعب (الأولى) وهى لعبة بسيطة وانتهت بالاشتراك فيما بيننا بأداء المشاهد التمثيلية من السينما والمسرح والتى قد يصاحبها إلقاء الشعر باللغة العامية أو بالفصحى.

أننى أقول على هذا الناصية أنها هى التى كونت شخصيتى وذلك لاختلاطى وتعايشى مع الثقافات المتعددة .. وممارسة الأنشطة سواء الثقافية أو الرياضية.

لقد كانت هذه الفترة هى فترة ملء .. والتفريغ أو الإخراج الوحيد الذى أتذكره فى هذه الفترة .. هى أنى اخترعت دراجة تمشى على الماء وقمت برسمها .. ولكنها لم تلفت نظر أحد فى هذا الوقت .. ولكنى شاهدتها بعد 25 عاماً تقريبا بنفس الفكرة كلعبة تمارس على شواطئنا ومستورده من الخارج.

بولاق – أبو كبير

تتميز أحياء القاهرة القديمة عن مثيلاتها فى العالم، بمجموعة من العلاقات الحميمة بين سكانها، ويكاد يلمح الزائر لهذه الأحياء العريقة طبيعة هذه العلاقات الممتدة التى فشلت عوامل ومتغيرات عديدة فى طمس هذه المعالم المعبرة عن "الناس الطيبين" الذين يحملون بداخلهم تقاليد وعادات تبدو فى حياتهم اليومية وتصرفاتهم ومواقفهم، وفى القلب.

من هذه الأحياء "حى بولاق" ذو الرونق الخاص المعبر عن "شهامة ونخوة ولاد البلد ".

وقد أكون منحازاً – ربما – إلى " بولاق " هذا الحى الذى عشنا فيه كأسرة فى عمارات شركة "جريشام" فى الأربعينيات (أى العقد الرابع من القرن العشرين) شارع فؤاد (26 يوليو) التى جاورنا فيه عدد كبير من الأجانب من جنسيات مختلفة بما فى ذلك بعض العائلات المصرية.

ونجح هذا الخليط فى التعبير عن ثقافات متعددة وعادات وتقاليد حققت استفادة "ما" وأضافت الكثير إلى شخصى.

إلا أن "حى بولاق" ظل رغم هذا التعدد محتفظًا بأسراره، وفى مقدمتها "الفتوة" الذى يتقدم الصفوف دفاعًا عن أهل الحى ضد أى اعتداءات خارجية، وإن اختلف الحال الآن، يظل هذا التاريخ عالقًا فى الأذهان حاضرا فى الوجدان والقلب والعقل.

ورغم هذا الارتباط "بحى بولاق" كنا نتوجه إلى قريتنا فى "أبو كبير" محافظة الشرقية فى فترات الإجازة حتى بداية

العام الدراسى الجديد، أى حوالى أربعة أشهر سنوياً لنحصل على "زاد" آخر، عبر التعايش مع الأهل والفلاحين بألعابهم البسيطة مثل الحوكشة (الهوكى) بجريد النخل وكرة من الجلة واحتفالات ومناسبات "أبو كبير".

وأذكر أنه كان هناك احتفال يجمع كافة المهن (الجزارين – الحدادين – النجارين .. وخلافه).

وإن كل حرفة كانت تقوم بتزيين عربة كارو بشىء مناسب للمهنة ويسبقها ويليها استعراضات وتمر بأهم شوارع أبو كبير .. وبدلا من أن نطور هذا الشىء .. صار العكس وألغيت هذه الاحتفالية الفنية الجميلة .. والتى تشاهدها حاليا فى البلاد الأوربية والأسيوية فى صور جميلة ومتطورة .. ترتقى بالنفس والذوق البشرى.

ولعل من المهم أن أذكر انفتاحنا على الأجانب الذين عاشوا معنا فى "حى بولاق" وتبادل الزيارات فى شتى المناسبات، وقضاء أوقات الفراغ بالتوجه إلى الحدائق ودور العرض السينمائى وصالات الباتيناج والتى كانت منتشرة بكثرة فى هذه الفترة – وكنا نشاركهم فى الألعاب الرياضية التى كانوا يمارسونها داخل أحواش الكنائس وكذلك نحضر العرض السينمائى داخل الكنيسة للأفلام الثقافية التسجيلية.

لقد تزايدت أعداد الأجانب فى مصر .. أثناء الحرب العالمية الثانية وخاصة الطليان واليونانيون.

وكان جدى لوالدتى عميدًا (أميرلاى) فى وزارة الحربية ومسئولاً عن معسكرات الاعتقالات الخاصة "بالأجانب"،

وقامت والدتى بدور كبير فى المساعدة للحصول على تصاريح لزيارة أقارب المعتقلين داخل هذه المعسكرات مما جعل علاقة حميمة بيننا وبين الإيطاليين واليونانيين. وفى الحقيقة أن هذا التنوع الثقافى فى القاهرة .. جعل لى ارتباطى الشديد بأحياء القاهرة

بين الريف والمدنية حيث كانت الطفولة

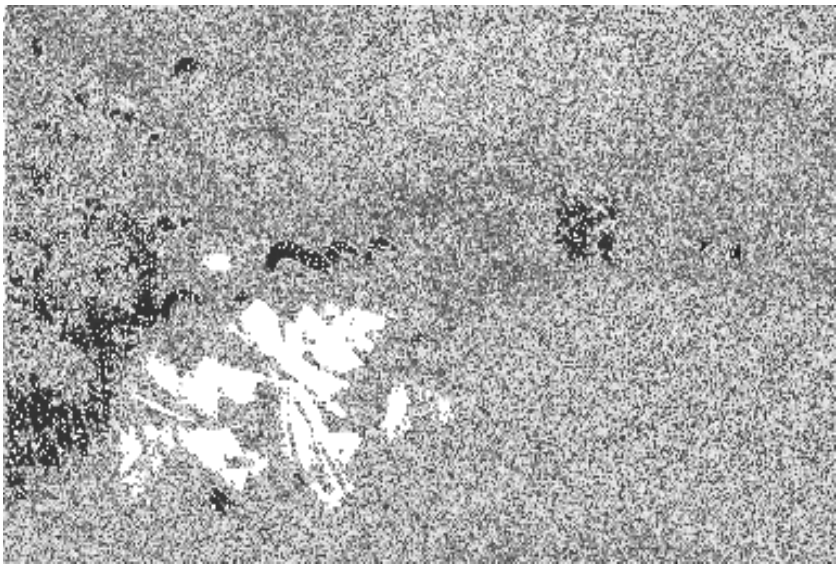

ظل الارتباط بالريف حتى فى مرحلة الشباب

الشعبية والتاريخية، ومنحنى حباً متزايدا للتجول عبر شوارعها وحواريها، وإلى جانب حبى الشديد لشارع فؤاد وشارع الأزهر، ورغم صغر سنى فى تلك الفترة من 8 : 10 سنوات إلا إننى أحببت اكتشاف الكثير من الأحياء المصرية ومعرفة هذه الأماكن التى لم أكن أعلم عنها شئ سوى أسمائها.

أننى أدين لهذه الثقافات المتعددة بين عبق الأحياء القديمة للقاهرة وفكر الأجانب المقيمين بجانبنا .. وأصالة الريف وطبيعتها البكر فى تشكيل وجدانى وثقافتى.

تحركنا بعد عام 1948 إلى "حى الزيتون" ومكثنا به عامًا، ثم انتقلنا إلى العباسية، وهى المنطقة التى أخذت وقتًا كبيرًا من حياتى، وكنت فى مدرسة الناصرية الابتدائية، لقربها من سكنى (بولاق) وهى قريبة من محكمة القضاء العالى بوسط القاهرة وكان بها أبناء كبار العائلات حين ذاك أمثال عائلة البدراوى وأبو شادى وكذلك مجموعة من أبناء الأمراء السعوديين بالقسم الداخلى مما جعلنى أتعرف على طبقة غير مألوفة لى .. إلا أنى أتذكرهم أنهم أناس جادين جدًا يعتزون بأسماء عائلاتهم والتى تتميز بالعلم والجد وقد كنت من أواخر الجيل الذى أمضى

مع أخوتى فى مرحلة الثانوى

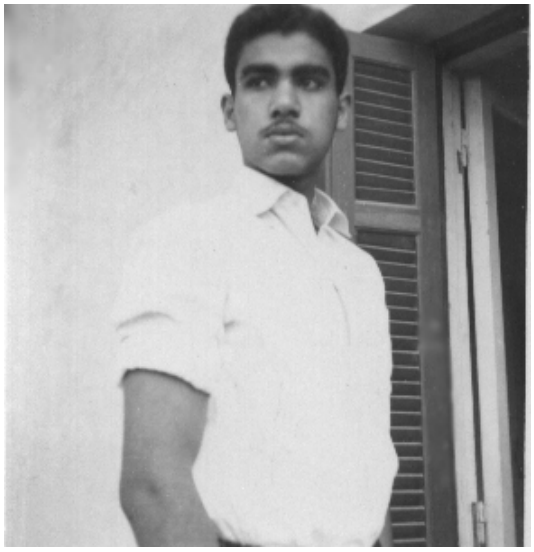

عندما كنت طالب بالثانوية العامة

مرحلة الأربع سنوات ابتدائى وأربع سنوات ثانوى ليحصل على شهادة الثقافة والسنة خامسة يحصل على شهادة التوجيهى.

وأذكر فى هذه الأيام واقعة حيث كان عمرى حوالى أحد عشر عام وهى واقعة لطيفه، وقد أخذت أوراقى لأتقدم فى مدرسة داخل منطقة مصر الجديدة رغم سكنى فى العباسية، ولم يعرف والدى أى مدرسة أذهب إليها رغم أنه رجل مثقف تربى فى مدرسة "الفرير" بالظاهر، إلا بعد حوالى شهر ونصف من التحاقى بهذه المدرسة، بعد أن لاحظ أن والدتى تعطينى مصروفًا 10 قروش، وهذا يعد مصروفًا كبيرًا فى ذلك الوقت، وسأل والدتى عن هذا المصروف وكانت إجابتها بأنه يذهب إلى المدرسة عن طريق المواصلات كما أنه يتلقى غذاءه فى فترة الظهيرة فسأل كيف ينتقل إلى المدرسة عبر المواصلات وهى بجوار المسكن، وفى هذه اللحظة قلت لوالدى أنى أدرس فى مدرسة مصر الجديدة الثانوية لأن هذه المدرسة تتميز بهدوء التلاميذ بها وأن مدرسة العباسية دائمًا يحدث بها مشاكل وخناقات وأنا أريد أن أدرس فى حالة هدوء.

وأردت أن أذكر هذه الواقعة لأثبت لأولياء الأمور الذين يذهبون مع أبنائهم للنقل من مدرسة إلى مدرسة ويذهبون معهم أثناء الامتحانات، وينتظرونهم أثناء فترة الدروس، مما أدى إلى عدم قدرة التلاميذ أو الأبناء على الاعتماد على أنفسهم فى تحمل المسئولية واختيار ما قد ينفعهم وأنهم غير قادرين على اتخاذ أى قرار، وهذا يدل على اختلاف كبير فى التربية بين الجيلين، مما يخلق جيلاً من الشباب دائم الاعتماد على الأهل.

فى فترة العباسية كان لدى صداقات مختلفة تماما، مع عدد من الشباب يتمتع بأخلاق حميدة سواء فى الحى أو مع أسرته.

فقد كانت فترة 1953 هى البداية لتغير الكثير من حياتى، وكانت بمثابة موقف اختبرت نفسى خلاله، فكانت والدتى من النوع الذى يحب الاستيقاظ مبكرًا لصلاة الفجر، وتبدأ فى تجهيز كوب الشاى بحليب لها، وكانت تعمل كوبان من الشاى بحليب علمًا منها بأنى سوف استيقظ مع دوابان السكر فى الحليب والصوت التى تحدثه الملعقة ، وبالفعل استيقظ لأجلس معها فقد كنت أحب أن أجلس معها سواء كان هناك حديث أو لم يكن .. كنا دائمًا نتحدث مع بعضنا البعض.

وأتذكر فى أحد الأيام وكانت تتصفح الجرائد فى الصباح أنها قالت: "ياسلام ياولاد .." وهى تقوم بالخبط على الأرض بقدمها، فسالت ماذا حدث؟ وقرأت فى الجريدة خبر على مانشيت الصفحة الأولى يقول: "المنيسى وشاهين شهداء

الجامعة" .. حيث كانت هذه الفترة مقاومة الشباب ضد الإنجليز فى قناة السويس فقد كانت مصر لا تزال محتلة من الإنجليز وكانت ثورة يوليو 52 .. قد أعلنت كفاحها ضد المحتل.

وقالت أمى: "فعلاً هم دول الشباب صحيح اللى يطلع علشان يستشهد من أجل بلده ويدافع عنها"، وبالفعل تلك هى اللحظة التى كانت نقطة تغير فى حياتى حيث إنى وجدت نفسى فى اليوم التالى، أذهب إلى وزارة الحربية وهى وزارة الدفاع حاليًا فى كوبرى القبة شارع الخليفة المأمون، وقد سجلت اسمى بها – المتطوعين– وبعد حوالى أسبوع أو عشرة أيام جاءنى خطاب من أجل التطوع وكان عمرى فى ذلك الوقت حوالى 15 عام، وأصغر المتطوعين وقد رفضونى لصغر سنى ولكن مع إصرارى الشديد تم قبولى فى التطوع، وحضرت أكثر من معسكر للتدريب لصغر سنى، وكان يتم التدريب مرة واحدة ثم يذهب المتطوع إلى القناة حيث كانت معسكرات الجيش الإنجليزى والتى تمركزت بمنطقة قناة السويس .. بعد أن انسحبت من باقى البلاد فى فترة سابقة.

فقد دفعتنى "أمى" إلى القتال ضد المستعمر ورغم قسوة ذلك عليها إلا إنها كانت تربى بداخلى حب الشهادة فى سبيل الله .. وحب الوطن والدفاع عنه بأرواحنا، وقد مرضت "أمى" عندما علمت بذهابى للتطوع فقد فقدت سمعها وارتفعت حرارتها، وعند عودتى بعد أن أمضيت فى التدريب 15 يوم رد لها سمعها حيث إنها اعتقدت أنى ذهبت للجبهة ولم تكن

تعلم أنى فى معسكر التدريب، وأذكر هذه القصة لمجرد النصيحة للأمهات اللاتى يربين أبناءهن على الخوف الدائم وعدم الاعتماد على أنفسهم والخوف الشديد عليهم من مجرد ركوب مواصلات بمفردهم .. والأهم تربية النشء على حب الوطن وبذل الروح فى سبيله.

وفى فترة المرحلة الثانوية كنت شديد الالتصاق بأخى الأكبر "سيد" ، فقد كان يجيد كتابة الشعر ويكتب أبياتًا من الشعر فى غاية الجمال والرقة، وقد كنا نحفظ المسرحيات الشعرية عن ظهر قلب ونقوم بتمثيلها أمام بعضنا، ومنها: "قيس وليلى .. وسالومى .." وغيرها من المسرحيات الشعرية، ومن قبلها بفترة الابتدائى فقد كنا نقوم أنا وأخواتى البنات بتمثيل المسرحيات التى نشاهدها ونرتدى الملابس المناسبة لها، وكانت هذه الفترة غنية بكل المشاعر والذكريات لأطفال اكتسبوا ثقافات جميلة وهى مثل الفترة التى اقتربت فيها من أخى الأكبر "سيد" وقد كان يتميز أخى الأكبر "سيد" فى كل المناطق التى انتقلنا إليها بدور الفتوة الذى يدافع عن حقوق أصدقائه فى الحى الذى نسكن فيه وإلى أن انتهيت من مرحلة الثانوية فقد عشت مرحلة جميلة بين أخوتى وأمى وأبى تعلمت الكثير من "الحب والقيم والمبادئ" التى ترسخت بداخلى من معاشرتى بالأجانب وأهل القرية وأخى وأصدقاءه الأكبر منى سناً. وقد عشت فى أول سنة من الابتدائى عند جدى فى القرية وأيضًا فى السنة الرابعة من المرحلة الثانوية قبل التوجيهى مكثت فترة الصيف بمفردى

معــه، فقــد تعــلمت منــه الكثيــر مــن المبــادئ والأخــلاق والشخصـية القويــة بـين النــاس والتــى كانــت تـؤثر فــى أى شـخص يقابلـه، فقد كـان كبيـر العائلـة وكبيـر البلـد فـى ذلـك الوقت وكان ذا شخصية قويــة يتم اتخـاذ القرار فـى مجـالس التحكيم بعد موافقته عليها، كما أنه كان يأخذ بحقوق الضعفاء والمظلومين.

وكـان إضـافة كبيـرة لـى وقد تعلمت من هذا الرجل (جدى) القيم النبيلـة فـى كثيـر مـن المواقف مثل عدم ذكـر أشـياء قد تعيب أى إنسان فى غيبته واحترام الآخرين.

الناصية الثانية

بقدر ما كانت الناصية الأولى هى مرحلة ملء الوجدان والعقل بالمعارف والثقافات وملء الجسم بالصحة سواء من الرياضة أو سلامة التغذية.

إلا أنى اعتبر الناصية الثانية هى مرحلة الصقل .. والاختيار فبقدر ما كانت الكلية الحربية أو الصاعقة هى اختيار بقدر ما كان فيهم من صقل لشخصيتى.

وبقدر ما كانت فترة الجزائر واليمن هى نواصى فى حياتى إلا أن اختيارى كان ينبع من مبادئى .. حيث مارست وطبقت فيهم معنى العزيمة والإصرار على الهدف والتمسك بالمبادئ مهما كلفنى الأمر.

فعندما كان يتعارض التكليف مع المبادئ .. كانت كفة المبادئ هى الراجحة دائما – فعند تخرجى من الكلية الحربية كانت أول خدمة لى مع قائد كان النجاح عنده لمن يتقرب إليه زلفى .. فقد اخترت الاعتزاز بالنفس وبسبب ذلك انتقلت من الوحدة تحت رحمة أن اثبت بالجيش من عدمه.

وعندما توليت أول قيادة لى بمدرسة الصاعقة (أركانحرب الجناح الخاص) .. وصارت لى مكتب مستقل .. فكان أول عمل لى هو نزع صورة الرئيسى والمشير المعلقتين خلفى .. لأضع مكانهما براوز به كلمة (الله جل جلاله) .. وعندما أخذت على ذلك .. لم أمتثل .. وصار مبدأ عندى وفى كل مكان توليته بعد ذلك.

وعندما كلفت بالقتال فى اليمن وكان متواجد ضمن الهدف (العدو) نساء وأطفال .. فإنى لم اشترك .. رغم تعرضى للمساءلة والتى قد تصل إلى الرفت من الخدمة .. أما الإضافات فقد أضفت الكثير فى هذه المرحلة من العمل بالصاعقة مثل طرق السير والإعاشة والقتال فى المناطق الجبلية والتى كان مقصورا فيها العمل إلا بالإدلاء البدو والاعتماد عليهم .. كما طورت النزول من الهليوكبتر بواسطة الجبال فى حالة الثبات على ارتفاعات عالية أو القفز منها فى حالة الحركة على ارتفاعات منخفضة – كما طورت أسلوب الاقتراب والقتال بواسطة الهليوكبتر أو بواسطة القوارب المطاطية فى منطقة خليج السويس .. بل وضعت وطبقت أسس ذلك - كما كانت فترة الجزائر غنية بالعزيمة على تحقيق الهدف .. والتحدى على قيادة مجموعة فى مكان منعزل بعيدًا عن مصر بآلاف الكيلومترات وكذلك قيادة أعداد كبيرة من أفراد غير مصريين (جزائريين) وبنجاح رغم اختلاف العادات والتقاليد .. ومحاربة هذا العمل من أفراد وجهات شتى.

ولكونى ضابط مدفعية فى الأصل قبل خدمتى بالصاعقة .. فقد أدخلت أعمال الضرب بالصواريخ بطرق مبتكرة سواء فى التدريب أو العمليات فيما بعد ضمن العمليات الخاصة .. حيث جهزت عربات الجيب والقوارب المطاطية للضرب بالصواريخ الميدانية .. وأدخلت تدريب الضرب بقواذف الدبابات السلكية من أعلى إلى أسفل وأشركتها فى العمليات فى فترة لاحقة (معارك الاستنزاف).

الكلية الحربية

فى عام 1955 – 1956 حصلت على "التوجيهية" أو الثانوية العامة وقد كنت قسم رياضة فكانت التوجيهية مقسمة ما بين أدبى وعلمى ورياضة وكان تخطيطى هو دخول كلية الهندسة فقد كنت عاشقًا للرياضيات جدًا، وفى منتصف العام الدراسى تقريبا .. قالت لى والدتى .. "أنت حتدخل كلية إيه"– فقلت: الهندسة إن شاء الله .. زى خالى .. فقالت .. "أُمال مين اللى حيطلع اليهود من فلسطين" وبعد حصولى على شهادة التوجيهية.

وكنا ثمانية عشر طالبًا فى نفس الشارع ومعنا بنت واحدة وإذا بى أتوجه إلى الكلية الحربية وأقدم أوراقى بها ولم أتقدم إلى أى كلية أخرى، سوى كلية الطيران، وقد نجحت فى كشف الكلية الحربية قبل استكمال باقى الكشوف فى كلية الطيران وهو كشف الهيئة، وعندما وصلنى خطاب الكلية الحربية اتجهت إليها، وقد كان السبب فى هذا الاتجاه نحو الكلية الحربية هى "أمى" فتلك الفترة كانت مشتعلة بما يحدث داخل "فلسطين" وما

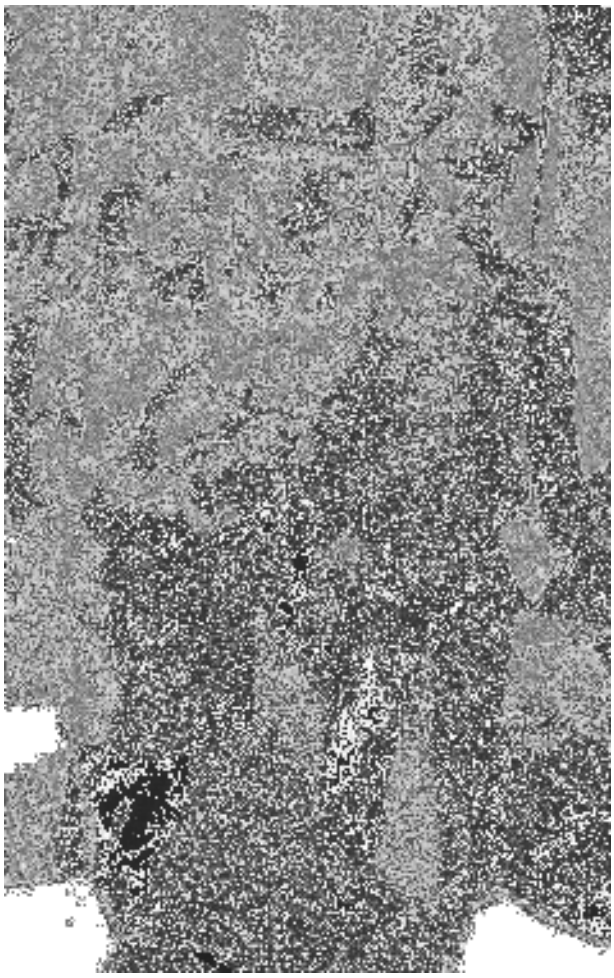

مع والدى وأنا طالب بالكلية الحربية

تقوم بـه "إسرائيل" تجـاه العرب إخواننـا الفلسطينيين عـلاوة على أن والدها كان (أميرلاى) سابق بالجيش.
وقد دخلت الكلية الحربيـة وقضيت فتـرة الـ45 يوم الخاصـة بالمستجدين، ثم أخذنا إجـازة بسيطة (خميس وجمعـة) وعدنا إلى الكلية لمدة أسبوع فـى انتظـار إجـازة نهايـة الأسبوع وإذا بحـرب 1956 وحـرب الاعتـداء "الإسـرائيلى" علينـا حـرب الاعتـداء الثلاثـى وقـد تـم ضـرب الكليـة الحربيـة بـالطيران، وتـحركنا ونحن فى الكلية إلى منطقة المعادى كمنطقـة انتشـار ثـم إلــى أسـيوط لكــى يـتم اختبــار فتــرة الإعـدادى حيـث إن الدارسة بالكلية الحربية مقسمة إلى إعدادى ومتوسط ونهـائى وانتقلنــا إلــى الصــف المتوسـط وبعـد دراســة أربعــة أشــهر ونصف بالقسم الإعدادى.
وكانت الدفعة التى التحقت بها هى رقم 38، أكملنـا بهـا عـام ونصـف .. ثـم تخرجنـا منهـا ضـباط، وكـان عمـرى وقتهـا 20سنة، وأقول إن سن عطاء الشباب هو من بدايـة 18 إلـى 28 سنة والـزمن المناسـب لمواجهــة الحيــاة هو ذلك الوقت فعندما يتخرج الفرد فى هذا السن 18 سـنة يقول أنـا أريـد أن أعطـى ولكن عنـدما يتخـرج بـدءًا مـن سـن الـ23 سـنة يقـول أنــه يريـد أن يأخـذ قبـل أن يعطـى .. لـذا يجـب أن تعـد مصـر شبابها فى الوقت المناسب.
وفـى تلك الفتـرة (الكليـة الحربيـة) حصـلت علـى جـائزة بطـل الدفعة فى الرماية، وقد شـاركت رياضـيًا فـى فريـق الملاكمـة وحصلنا على فرقة "صاعقة" محليـة ونحـن بالكليـة الحربيـة،

وكانت أول تجربة بالكلية الحربية أن تحصل دفعة على فرقة صاعقة، وكان عدد الدفعة حوالى 400 طالب كان ترتيبى فى التفوق الدراسى الـ80 فقد وقع على جزاء واحد وأنا فى القسم النهائى .. عندما دخلت من باب الكلية فى إحدى الإجازات بالطعام (حلاوة وجبنة) ولولا هذا الجزاء لكان ترتيبى 20على الدفعة، وتخرجت فى مايو 1958 وتم توزيعى على سلاح المدفعية وخاصة أننى كنت متميزًا فى مادة الرياضيات. ودرسنا فرقة ضباط أصاغر وكانت الفرقة على العقيدة الغربية ومضينا بها حوالى 3 شهور.. وكنا نبيت داخل مدرسة المدفعية مثل طلاب الكلية الحربية، ثم تم التوزيع على الوحدات وقد تم توزيعى على "ك 312" مدفعية وهى مدافع "هاوتز"، وهذه الوحدة كانت عبارة عن "آلاى" – وهو الآلاى الرابع مدفعية وكان قد قسم

صورة جماعية لحفل تخريجى من الكلية الحربية .. الدفعة 38

إلـى أكثـر مـن وحـدة (كتيبـة مدفعيـة + سـرية م/ء + سـرية هاون) حسب العقيدة الشرقية فـى التنظيم، وكـان نصـيبى هو "ك312" مدفعيـة. وكـان قائـد الكتيبـة هـو الرائـد (إلهـامى الشيخ)، ولكن بعد 6 شهور تم نقلى من الوحدة بسبب خـلاف مـع القائـد ومـن أهمهـا أنـى كنـت ارغـب فـى الحصـول علـى فرقـة الصـاعقة .. وهـو يـرفض ذلـك وكـان مـن وجهـة نظـره أنـى لا أصـلح للخدمـة بـالقوات المسـلحة – وفـى هـذه الحالـة يعطى للضابط فرصة أخرى فى وحدة أخرى .. وهذا مـا تم معـى حتـى يمكـن أن يـتم تثبيتـى فـى الجيش، وكنـا فـى فتـرة "ملازم تحت الاختبار" ، ومن الغريب أن اختلافى مـع القائـد مـن بدايـة رتبتـى مـلازم اسـتمرت حتـى أنهيـت خـدمتى فـى العمل بالقوات المسلحة.

وانتقلـت مـن وحـدة "ك 312" إلـى "س 21" هـاون، وهـى سـرية منفصـلة موقعـها "فايد" وقائدها تـم ترقيتـه إلـى نقيب وأنـا أخـدم معـه، وكـان معـى ضـابط أحـدث منـى واعتبـرت خدمتى فى هذه السرية تجربـة جيدة وأفـادتنى كثيرًا لأن قائد السرية .. كان فـى إجـازة أو داخـل المستشفى – يتمـارض – وكنـت أنـا المسئول عـن السـرية، وكـان فـى العـادة عنـد حـل "الآلاى" ويتم تشكيل الكتائب والسرايا منها حيث يتم اختيـار أفضـل العناصـر للكتائـب ويـتم تحويـل بـاقى الجنـود والصـف ضباط إلى السرايا المنفصـلة وغالبـا مـا يكونـوا مـن العناصـر السيئة، وقد ذهبت على وحدة بهذا الشكل وهى س21 هاون، ومما زاد "الطين بلة" هو دخول 7 من الصف ضباط حديثى

التخرج وكان سنهم يتراوح بين 17- 18 سنة وذلك للخدمة بالسرية.

وكان واضحًا أنهم صغار السن والمفروض عليهم أن يتولوا القيادة على هذه النوعية من الصف والعساكر وكان هناك 6مدافع هاون، لكل مدفع مسئول عنه أحد هؤلاء "الصف الضباط " فكان الأمر صعب من تحويل هؤلاء الصف الضباط الجدد حديثى التخرج فى التحكم فى هذه السرية وجعل منهم قادة يقودون أطقم العمل معهم، ولكنى تمكنت بالحكمة والعمل أن أسيطر هؤلاء على السرية ولم أنسَ الصف ضابط السابع ويدعى "عبد المجيد" وكان شاب موهوب جدًا فى عملياته الحسابية، وقد كان آخر العام التدريبى يتم الدخول فى مسابقة لمعرفة أفضل سرية وأفضل كتيبة على مستوى القوات المسلحة، وكانت السرية التى أعمل بها من ضمن السرايا التى تدخل هذا التدريب الاختبارى، وبهذا الشكل الذى ذكرته

صورة فور قبولى بالكلية الحربية

طابور الاستعراض قبل التخرج من الكلية الحربية

استطعت أن أصل بها فى المسابقة إلى الحصول على المركز الأول على مستوى القوات المسلحة، وقد عادت الثقة إلى نفسى بعد نقلى من الوحدة السابقة بتقرير لا يحسد عليه أحد – إلا إنه خلال الـ6 شهور أظهرت هذه السرية كفاءة وأصبحت رقم (1) على القوات المسلحة رغم أنه كان قائد السرية بعيد كل البعد عما يحدث داخل السرية حتى فى يوم اختبار السرية بالذخيرة الحية.

وكان قائد مدفعية اللواء يدعى العقيد (جمال محفوظ) وقد أصبح فيما بعد مؤرخ للعسكرية فى الإسلام – وقد أفادنى كثيرا بنصائحه ولكن أهم نصيحة كانت مقولته المشهورة (الضابط يساوى نوته وقلم) وكان يتمم دائما على الضباط بضرورة تواجد النوتة والقلم مع كل شخص .. وكان يقول على الضابط أن يدون أى شىء فى النوتة الخاصة به سواء ميعاد أو فكرة أو تخطيط .. وقد تطور هذا الشىء معى من نوته إلى أجنده كبيرة إلى شنطة بها عدة دوسيات .. كل دوسيه به موضوع أو فكرة أو تخطيط .. واعتقد أن ذلك الذى جعلنى فى أواخر عمرى .. كاتبا .. وشاعراً .. وروائى.

الصاعقة

تحركنا من "فايد" وهى تابعة للواء الأول مشاة، إلى منطقة الهرم أول طريق الفيوم، وفى تلك الفترة كان مازال عندى الرغبة فى الحصول على فرقة صاعقة ولكن قائد مدفعية اللواء كان يقف حيال هذا الأمر .. حتى لا أحصل على هذه الفرقة وقد يكون السبب فى أنه يعلم أن من يحصل على هذه الفرقة ويكون على مستوى جيد .. فسوف يتم حجزه بالصاعقة وبذلك يفقد ضباط أكفاء .. لقد اختلفت صورتى فى القوات المسلحة وخاصة بعد فوز السرية بالمركز الأول على القوات المسلحة وفى أحدى الأيام أمرت "البلوكامين" أن يكتب لى خطابًا لإعطائى فرقة صاعقة وذهبت إلى الفرقة دون أخذ إمضاء قائد مدفعية اللواء .. حيث وقعت مكانه والتحقت بالفرقة رقم 13 داخل مدرسة الصاعقة، وبدأت فرقة الصاعقة وكان معى حوالى 84 ضابط والباقى 20 صف ضابط، والفرقة كانت 3 شهور.

وأثناء فترة الجناح الأساسى بالصاعقة .. فقد أصابتنى حالة من المرض وهى نزلة برد شديدة صاحبها نوع من الكحة ومعها حساسية تظهر فى المساء عند النوم مما جعلنى لم أنم لمدة خمسة عشر يوما كاملة أثناء الفرقة ومع ذلك زاد اصرارى على الحصول على فرقة الصاعقة، وكان عندى الرغبة فى الاستمرار داخل هذه الفرقة والتى أصبحت فيها من المتميزين بها، حيث كان من المفروض أن أكون من الأوائل ولكن الخلاف الذى قد نشأ بينى وبين معلمى

الدوريات خلال فترة التدريب سواء كان فى فترة جناح الجبال أو جناح الدوريات جعل مشرف الفرقة يرغب فى إخراجى من الانضمام كمدرس بمدرسة الصاعقة، وقد تم حجز حوالى 24 ضابطًا كمعلمين بالمدرسة .. أو يتم توزيعهم على كتائب الصاعقة وكنت مع الذين استبعدوا من الانضمام بوحدات الصاعقة .. رغم أن ترتيبى الـ (14) على الفرقة.

ولكن ما حدث بعد ذلك لا يمكن أن أنساه، فعندما وقفنا أمام مكتب قائد الصاعقة لإلقاء التحية وأخذ خطاب الترحيل إلى وحداتنا، فإذا (بجلال هريدى) وكان برتبه مقدم وقائدًا للصاعقة .. حين ذاك .. يسأل مشرف الفرقة وكان دفعتى "إية .. رجائى مش محجوز ليه؟" وقد حفظ اسمى من بعض المواقف التى

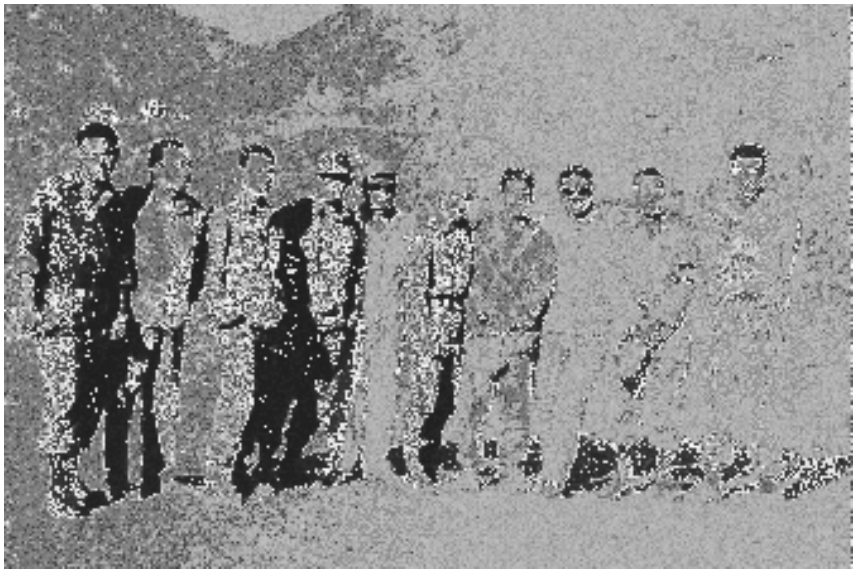

(الصاعقة) الجناح الخاص بجنوب سيناء

شاهدها أثناء فترة التدريب وتفوقى بها، وإذا بمشرف الفرقة "يميل عليه" ويقول له فى أذنه بعض الكلام "الله أعلم ما هو" عن سبب عدم حجزى بوحدات الصاعقة، ولكن السبب كنت أعلمه .. وهو إختلافى مع بعض المعلمين فى المواقف التعليمية غالبا .. وكانوا معظمهم .. إما دفعتى أو دفعة قبل منى – وكنت دائما على صواب ولكن ذلك كان يثير حساسية بينى وبينهم.

وإذا بجلال هريدى يؤكد حجزى وانضمامى إلى الـ24ضابط ومنذ هذا الوقت وأنا ضمن قوات الصاعقة، فقد كنت فى حالة من الخوف عند عودتى إلى الوحدة التى خرجت منها دون إذن وخوفى من محاكمتى، وسبحان الله تغيرت مسيرتى فى لحظة أرادها الله وصنعها (جلال هريدى) وتم حجزى بوحدات الصاعقة وقد تم إلحاقى إلى جناح العدو وهو يمثل قوات العدو فى الدوريات بالنسبة إلى الجناح الراقى أو الجناح الخاص، والجناح الراقى هو الذى يتم التدريب فيه .. فى الأرض الزراعية والصحراء المكشوفة والجناح الخاص هو جناح الجبال. وكان عمل الضابط الذى يمثل العدو مع القوة التى تركب عربية يقف فى مناطق معينة ويتم تمثيل مواقف ليعلم الطلبة من خلالها كيف يمكن أن يتصرف الطلاب خلالها، وعندما انضممت إلى الجناح تصرفت بشكل مختلف تمامًا فقد كنت أسير مع الطلاب بشكل كامل سواء فى الجناح الراقى أو الجناح الخاص لأفرض المواقف المفاجئة لتدريب الطلبة على كيفية التصرف وقد ظهرت

بمظهر مشرف ومع انتهاء أول فرقة صاعقة كان هناك نزاع لانضمامى للجناح الخاص أو الجناح الراقى وكلاهما يريد أن أنضم إليه، وقد اخترت الجناح الخاص – الجبال – فقد وجدت نفسى أميل إليه والعمل به فالعمل به أصعب وأفضل وسبحان الله فقد كانوا هم نفس المعلمين الذين أوصوا بعدم إنضامى لقوات الصاعقة أثناء الفرقة.

وعند انضمامى إلى الجناح الخاص (جناح الجبال) وجدت الذى يسبقنى فى الجناح من دفعتى الملازم أول (مختار الفار) وقد استفدت منه الكثير فكان لديه إحساس عالٍ للسير فى الجبال، فمعظم الدوريات كان الضباط يستعينون "بالأدلة" من البدو للسير فى الجبال، وقد ألغينا ذلك وأصبحنا نحن الأدلة والمعلمين فى نفس الوقت ووضعنا قواعد جديدة لأسلوب التعليم مختلفة تمامًا، بحيث إن الطالب يتعلم كيف يمكن أن يسير فى الجبل دون الدليل، واستخدام الخرائط فى السير داخل الجبال. قضيت خدمتى فى الفترات الأولى داخل مدرسة الصاعقة كضابط متميز بين أقرانى، فقد كنت أول من أدخل النزول من طائرات الهليوكوبتر عن طريق الحبل والحلقة، ورغم المعارضة الشديدة من الضباط القدامى، وتقليل عزيمتى من هذه التجربة ولكن قمت بنجاح بذلك أمام أحد الزيارات التى كانت تزور الصاعقة، وكان إضافة كبيرة فى ذلك الوقت، وأخرى عند زيارة الوفود الأفريقية للصاعقة وكان معهم اللواء (محمد فوزى) وقد تم عرض لم يكن فيه الشكل المطلوب وطلبت من المقدم (جلال

هريـدى) أن يـتم القفـز مـن الطـائر مباشـرة داخـل ترعـة الإسماعيلية دون حبل وطلب منى فعل ذلك وكان أقصى ارتفاع يمكن أن تقف عنده الطائرة حوالى 45 متر وبالفعل قفزت من هذا الارتفاع فى ترعة الإسماعيلية وعند تقدمى للوصول إلى حرف الترعة وإلقاء التحية وإذا باللواء (محمد فوزى) يتقدم عدة خطوات وإنا أسفل طرف الترعة وجسمى ملئ بالطمى وإذا به يمد يده ليسلم علىّ وفعلاً ألقيت التحية العسكرية ويدى متسخة بالطمى وإذ به يمد ليسلم علىّ باليد وهو سعيد بهذا العرض الجيد والجديد من نوعه .. وتقدم منه بعض ممن حوله لتنظيف يده من الطمى بمناديلهم، وأذكر موقفًا آخر للواء(محمد فوزى) وأنا داخل الكلية الحربية وطلب منى قائد السرية أن ألعب ملاكمة بوزن متوسط أمام الطالب(محمود مهران) وأنا كنت طالبا فى الإعدادى فى الشهور الأولى وكان وزنى يختلف (وزن ثقيل) عن وزن المتوسط وبالفعل لعبت المباراة بالأمر وبعد أن تم إنزال وزنى حوالى خمسة عشر كيلو مرة واحدة مما جعلنى فى حالة هزال وفى إحدى الجولات وأنا أنزف دماء من العلقة الساخنة التى أخذتها من العريف الطالب (محمود مهران) وكان طالبًا فى نهائى إذا بالمدرب الخاص بى يلقى بالفوطة داخل الحلبة .. ولكنى أقوم بإلقائها خارج الحلبة كى استكمل المباراة وأرفض الانسحاب من المباراة حتى انتهت الثلاث جولات وقام الحكم بإعلان فوز (محمود مهران) ورفع يده، وإذا باللواء (محمد فوزى) يصعد إلى الحلبة ويقوم

برفع يدى ويده إعلاناً منه بفوزى وذلك لاستمرارى فى المباراة حيث إنه كان يشجع المواقف التى تمتلئ بالعزيمة والإصرار وعدم الرضوخ أمام الانهزام ويحث على المواقف الشجاعة، وكما قال الله تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

الجزائر

بعد خدمتى فى الصاعقة مدة عامين ونصف سافرت إلى الجزائر فى بعثة أنا ومجموعة من الضباط وصف ضباط، وكان الغرض من السفر فى بداية الأمر هو حل الخلاف بين الجزائر والمغرب على الصحراء الغربية، وكان هناك بعثة من المدفعية والمدرعات وبعثة من الصاعقة .. لتقف بجانب القوات الجزائرية.

وفى صيف أحد الأيام وأنا فى المنزل فى إجازة وجدت تليفونًا يحدثنى فيه الملازم أول (فؤاد سعد الدين) وهو الآن محافظ المنوفية، وكان معنا فى الصاعقة يقول لى: " أنت قاعد فى البيت ونايم على ودانك .. فى أربعة مسافرين وواخدين واحد أحدث منك فى الالتحاق إلى الصاعقة"، وكان الرابع هو (صلاح خيرى غنيم)، وقد تعدو دورى وكان عمة هو قائد المنطقة المركزية اللواء "غنيم"، وبالفعل ذهبت فى اليوم التالى وأحمل معى حقيبة سفرى بها ملابس، وقابلت قائد مدرسة الصاعقة وكان المقدم (صلاح عبد الحليم)، قلت له أنكم تعديتم دورى وأنا أحضرت معى حقيبة سفرى إما أن أسافر وأحصل على دورى وإما أن أنتقل من الصاعقة، ولكن كان موقف المقدم (صلاح عبد الحليم) مشرفا حيث أحضر تصديق على سفرى مع البعثة علاوة على الأربعة ضباط .. وأصبحنا خمس ضباط و9 صف ضباط للسفر إلى الجزائر.

سافرنا إلى الجزائر ووصلنا العاصمة ثم انتقلنا إلى منطقة تدعى "كلوم بشار" فى الغرب جنوبًا حوالى 700 ك غربا من العاصمة ثم 1200 ك آخرين إلى الجنوب وكان صاحب الفندق الذى أقمنا فيه رجل أفريقى متزوج من سيدة فرنسية، وخلال أسبوع انتهت الأزمة بين المغرب والجزائر، وإذا بـ(أبو مدين) وكان يشغل القائد العام للقوات المسلحة يقول لنا هل من الممكن أن يتم تدريب فرقة للصاعقة هنا، وكنت فى ذلك الوقت قائدًا لهذه البعثة، وقلت له بالتأكيد، وقال إن هناك معسكرًا فى الشرق فى منطقة تدعى "أسكيكدا" كان بها معسكر للمظلات الفرنسية يمكن أن يتم تحويله إلى مدرسة صاعقة، ثم تم إرسال بعض الأفراد ليتم تدريبهم، وكان هذا أول "محك" لى فى إنشاء أول مؤسسة تعليمية، ورغم كل الصعوبات التى واجهناها.

لقد طلب السيد (هوارى بومدين) هذا الطلب بشكل عفوى وببساطة شديدة .. وقد كانت كل ما تبع عفوى وبدون أى أوامر مكتوبة – لقد كان يقف أثناء هذا الطلب بعض من الشخصيات والتى علمت فيما بعد أنهم بعض قواد النواحى (المحافظات) وبعض العسكريين .. أحدهم يدعى طاهر وهو برتبه نقيب .. علمت فيما بعد أنه أبن أخت (هوارى بومدين) وهو أحد المجاهدين فى الثورة الجزائرية .. وقد أمره (هوارى بومدين) بأن يصطحب بعثة الصاعقة إلى الجزائر العاصمة ثم إلى بلدة أسكيكدا حيث المعسكر المطلوب تجهيزه كمدرسة للصاعقة.

تحركنا مع النقيب طاهر إلى الجزائر العاصمة .. حيث تركنا أفراد البعثة .. ثم ذهبنا سويا .. أنا وهو .. إلى أسكيكدا وهى تبعد عن العاصمة 500 كم وكانت عاصمة هذه الناحية وهى شرق الجزائر بلدة تسمى (قسنطينه) وكان قائد هذه الناحية (المحافظ) رائد يدعى (الشاذلى بن جديد) والذى تعين رئيس جمهورية فيما بعد وكان نائبه يسمى (محمد بن روچى) .. وكان بيد واحده حيث فقد يده فى حرب التحرير الجزائرية.

بلده اسكيدا بالجزائر

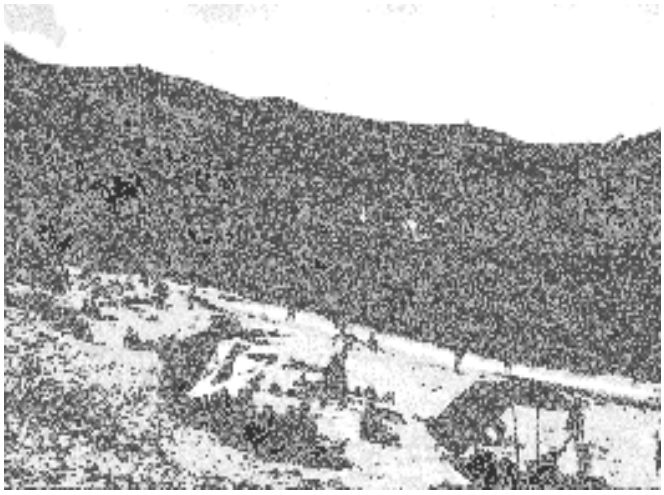

صورة التقطت من معسكر الصاعقة بأسكيد
لمنطقة البلاجات التى أمام المعسكر

لقد كانت المسافة من العاصمة حتى أسكيكدا .. عبارة عن مسطحات كبيرة وجبال متوسطة الارتفاع وكلها تتميز بخضرة جميلة .. وكذلك الكثير من الجبال والتى توجد بها غابات كثيفة .. يعرف عنها أنها مليئة بالخنازير البرية المتوحشة والذئاب وأنواع مختلفة من الثعابين والقنفد والثعالب – ووصلنا المعسكر وهو يبعد عن بلدة أسكيكدا ثمانية كيلومترات إلى الشرق على طريق أسكيكدا – عنابه – وهو عبارة عن معسكر كبير ونموذجى ويقع على ربوه عالية تطل على مياه البحر الأبيض المتوسط .. ولكنه مهجور تماما ومعظم زجاج الشبابيك مكسر .. ولكنه كامل الأدوات الصحية والأبواب سليمة والحوائط نظيفة .. وكان قد تركها قوات المظلات الفرنسية من مدة قريبة.

وقال لى النقيب (طاهر) بعد أن وافقت على المكان .. أنه سوف يرسل لإحضار باقى البعثة .. وتركنى فى المعسكر على أنه سيرسل أسره ومراتب ودواليب بعدد أفراد البعثة.

وبعد أن ترك المعسكر .. ظهر لى شخص فى منتصف الأربعينات .. قدم لى نفسه على أنه حارس على هذا المعسكر

أثناء التدريب فى أحراش الجزائر

وقال لا يوجد وسيلة مواصلات إلى البلدة .. ولكن لديه دراجة .. كما أن ليس هناك أى اتصال هاتفى.
وفعلا بعد عدة ساعات حضرت بعض اللوارى وبها ما وعد به من مفروشات وبعض المكاتب والكراسى .. كما أرسل عربة جيب تركها السائق لى بعد أن أعطانى المفتاح.
كما قلت من قبل أن السيد (هوارى بومدين) بسيط وتلقائى فى كلامه معى .. فقد كان كل التصرفات اللاحقة عفويه وتلقائية.
وصل باقى أفراد البعثة وكانوا النقيب (سمير ياسين) والملازم أو (نبيل حسن) و (شاكر مرسى) و(صلاح خيرى) وأنضم فيما بعد الطبيب ملازم أول (سمير النادى أبو طالب).
كان اتصالى مباشرة بالنقيب (طاهر) بتكليف من (بومدين) لتوفير الاحتياجات .. رغم كثرة الاتصال .. إلا أنه لم يصل للمعسكر أى فنى سواء سباك أو كهربائى أو نجار وذلك لتجهيز المعسكر .. لكننا بدأنا بإمكانياتنا نحن الضابط والصف ضباط فى تجهيز ما يمكن استخدامه من منشآت سواء للمكاتب أو إقامة الضباط وضباط الصف وكذلك عنابر لاستقبال الطلبة – لقد اشترينا بمالنا الخاص الأدوات والعدد اللازمة .. وفعلا تم تجهيز المطلوب وكذلك تجهيز ما يخص تدريب الصاعقة من ميدان الاشتباك .. والعقل الرياضية والملاعب مثل كرة القدم واليد والطائرة – كما أعددنا بإمكانياتنا عيادة صغيرة تفى بالغرض.

كل هذا ولم يصلنا أى مساعدة من الجانب الجزائرى أو من القاهرة .. اللهم بعض الأجولة من الفول والعدس والأرز والفاصوليا .. والتى كنا نجهز غذائنا منه مع بعض الإضافات من السوق المحلى .. حيث كنا نصرف بدل سفر من الملحق عبارة عن بدل اغتراب .. وهى تكاد أن تفى المطلوب من الحياة.

وأحب أن اذكر هنا واقعه .. هى أن الصف ضباط المصريين المعلمين .. قد تجمعوا بعد عمل عدة أيام ليعلنوا أنهم لن يؤدوا هذه الأعمال الإنشائية والإدارية .. حيث إنهم معلمون .. رغم أن الضباط كانت نشاركهم نفس العمل .. يد بيد.

ولكنى أخبرتهم بأن يحزموا شنطهم وقررت نزولهم إلى القاهرة ولكنهم تراجعوا عندما وجدوا الجدية فى أوامرى – وفى نفس الوقت تركتهم أسبوع مع عدم تفريغ شنطهم .. إلى أن أثبتوا وجودهم فى العمل.

وفى نفس الوقت بدأت فى تجهيز ورقيات المدرسة كمنهج تعليمى من دوريات فى الأرض المفتوحة وكذلك فى الجبال والغابات .. والتى كان يندهش الجزائريون أننا ندخل هذه الغابات مع علمنا بما فيها من إخطار وكان يساعدنى على ذلك أن الضباط الذين معى قد خدموا فى الجناح الأساسى والجناح الراقى والجناح الخاص.

وأثناء هذا العمل كله والذى قارب على الشهر .. كنت أحاول أن أطلب توقيت لإرسال جنود لتدريبهم .. ولكن دون جدوى

.. أخيرا أرسل قائد ناحية (كلوم بشار) مائتي شاب كلهم مدنيين ويتمتعون ببشرة سمراء حيث إنهم جميعا من الجنوب.
وقد تم تدريبهم من الأساس حيث اضطرنا لإضافة شهر للفرقة لتحويلهم إلى جنود كما تم تدريبهم على السير بالخطوة المعتادة .. والسريعة .. والرماية بالبندقية والتكتيكات الصغرى من التقدم والانسحاب .. واللياقة البدنية .. أى أننا قمنا بتحويلهم من مدنيين إلى رجال عسكريين قبل أن نبدأ بهم فرقة الصاعقة – لقد كانت هذه المهمة فى مصر يقوم بها مراكز التدريب المستجدين .. ولكن فى الجزائر .. اضطررنا للقيام بها قبل أن تبدأ فرقة الصاعقة .. وقد أستغرق ذلك مدة حوالى الشهر.
وفى أحدى الليالى وبعد أسبوع تقريبا .. حضر لى بعض الصف ضباط وكانت حوالى الساعة الحادية عشر .. أى بعد ميعاد نوم الجنود – واخبرنى أنه توجد حالة تذمر بين الجنود الجزائريين .. وهم فى حالة هياج ومجتمعين ومعهم بعض العصى والهراوات .. معترضين على الاستمرار فى التدريب .. وفى ثوان ارتديت ملابسى الميرى .. وخرجت لهم وكان الظلام حالك إلا من بعض الضوء المنبعث من عدة لمبات مضاءة – وقد بدأت فى حديث خطابى معهم وبصوت عالى فى حشد قارب المائتى فرد .. وكان حديثى معهم يشمل على الجمل الوطنية وتذكيرهم بالمستعمر الذى لم يبرح بلادهم إلا من عدة أشهر ومازلت إثارة باقية ..

وأثناء حديثى معهم وجدت انصياع واستماع لكل كلمة والقوا بما فى أيدهم .. وخرج أحدهم واذكر اسمه حتى الآن واسمه (إبراهيم المقدم) .. ليستأذن منى ويوقف باقى زملاؤه فى صفوف منتظمة عسكريا .. ثم أكملت خطابى لهم .. وهكذا تمكنت من السيطرة عليهم .. وخلدوا إلى عنابرهم وبدأنا التدريب فى اليوم التالى وبروح عاليه.

واذكر هنا واقعة أخرى .. وهى أن قائد الناحية السيد الرائد (الشاذلى بن جديد) قد أزعجه عدم اتصالى به .. حيث كنت أقوم بالاتصال مع (بومدين) مباشرة بوزارة الحربية .. لقد كنت لا أعلم فى هذا الوقت بأن الاتصال به شىء مهم – فاستدعانى فى مكتبه ببلده قسنطينه وقد تكلم معى بشكل غير لائق .. ولكنى رددت عليه بالمثل .. فما كان منه إلا أن أستدعى حرس من أربعة جنود .. وكان يبدوا أنه أعد لذلك من قبل حيث قال (أنت تحت التحفظ) .. وقد قام احتكاك بينى وبينهم .. ولكنى الله نصرنى فقد أرضتهم أرضا .. تركت المكتب بعد أن أفترشوا الأرض فى ضربة واحدة .. وقد سرت مسافة حوالى 200م إلى أن خرجت من مكتبه إلى بوابة الديوان (المحافظة) وكانوا أطول مائتى متر فى حياتى .. حيث كنت انتظر اللحاق بى وكنت أتوقع أى شىء.

وتوجهت بعد ذلك إلى مكتب الملحق الحربى بالجزائر .. وطلبت منه أن أنهى مأموريتى لما وجدته من سوء معاملة وذكرت له ما حدث .. ولكنه أثنانى عن قرارى عندما قال – أحنا هنا مبشرين للقومية العربية .. فكيف لا ترتقى للراهبات المبشرات فى أدغال أفريقيا.

وفعلا توجهت إلى المعسكر فى اسكتكدا مره ثانية لأقود البعثة مرة أخرى بروح وتصميم أعلى مما كانت.

ونصرنى الله أكثر .. عندما أتممنا فرقة الصاعقة للدفعة الأولى وتم إشراكهم فى العرض العسكرى لعيد الثورة الجزائرية .. والذى شاهده (بن بلا) رئيس الجمهورية و(بومدين) وكافة قواد النواحى (المحافظين).

وبعد عدة أيام من العرض العسكرى .. فوجئت بأن يدخل علينا بالمعسكر باسكيكدا (بومدين) و(الشاذلى بن جديد) .. وقد اعتذر (الشاذلى بن جديد) عما بدر منه قبلى فى المكتب – وافهمنى أن بعض الأشخاص هو الذى وشى بى وأنه لم يكن يفهم الوضع .. ولكنه بعد أن راجع (بومدين) وجد الجنود الذين تدربوا ظهروا بمظهر مشرف فى العرض العسكرى .. مما أثار تعليق الملحقين العسكريين الأجانب.

بعد العرض العسكرى هذا .. بدأ الجميع سواء فى البلدة أو الناحية كلها يظهرون احترامهم لنا .. وقد وصلت حسن علاقاتى بالجزائريين بأن أصلحت من وضع البعثة التعليمية الموجودة بالبلدة (المدرسين) سواء فى تحسين مستوى

المسكن والمعيشة وكذلك اختلفت المعاملة معهم من قبل الجزائريين.
وقد استأجرت فيلا على البحر مباشرة وكانت منتدى لكافة القيادات من أهل البلدة وبعض الفرنسيين الذين مازالوا فى البلدة وكنا نحن ضباط الصاعقة أعضاء بارزين فى فريق كرة السلة بالبلدة .. حيث كان ترتيب هذا الفريق متأخر دائما فى دورى كرة السلة على مستوى الجزائر .. ولكن أصبح بعد ذلك فى المقدمة .. بل كان ترتيبه الأول على مستوى دورى بطولة الجزائر.
وقد مكثت حوالى سنتين ونصف .. ثم إنشاء كتيبه صاعقة ومدرسة صاعقة ومركز تدريب للمستجدين.
وانتهيت مأموريتى بعد ذلك ليتسلم منى النقيب (سيد الشرقاوى) البعثة.
لقد أعطتنى هذه البعثة ثقة كبيرة فى نفسى حيث كنت لم أتجاوز الرابعة والعشرين .. وقد قضيت بعثه تعليمية لأصعب أنواع التدريب وهى فرق وتشكيلات الصاعقة .. اعتقد أننى قمت بها مع زملائى على أكمل وجه .. فإننا لم نخرج من القاهرة ومعنا أى وثائق للتدريب أو على استعداد لذلك .. ومع هذا أكملناها على أكمل وجه .. وكان تحركنا فى الجزائر على المستوى الشعبى والسياسى فى التعاملات .. وقد تجاوزناها بشرف .. كما أن الصعوبات التى واجهتنا تخطيناها كلها بحكمة وعقلانية – لقد أضافت هذه البعثة لى الكثير .. وخاصة بعد خروجى للحياة المدنية واختيارى

للحياة التعليمية وإنشاء المدارس .. وذلك بعد حوالى خمسة عشر عام من هذه الأحداث.

اليمـن

بعـد رجـوعى إلـى القاهـرة انضـممت ثانيـة إلـى الجنـاح الخـاص .. والـذى كنـت قـد تركتـه وأنـا قائـد لهـذا الجنـاح .. وكان معى دفعتى (مختار الفار) و(أحمد منصور) وهم بعد منى بدفعة .. وقد ذهبت أنا للجـزائر وذهب (مختار الفار) إلى اليمن .. وقد تم ترقيتهم استثنائيا فى اليمن .. وصاروا أقدم منى.

وكان علىّ أن أخدم بالجنـاح فى هذا الوضـع .. والذى كنت أرفضـه بشـدة .. ولعلاقتـى معهم الحميمـة .. كانـت الأدبيـات محفوظـة .. فقد كنـت أنـا المتصـرف فـى كـل شـىء .. وقـد راعوا هم ذلك .. وبعد حوالى شـهرين طلب منـى أن أسـافر إلى اليمن.

ذهبت إلـى اليمن فى شـهر أغسطس 1965 .. وقـد تعينـت قائد سرية فى كتيبـة الصاعقـة الموجـودة فى منطقـة صـعدا وكان قائد الكتيبـة الرائد (جمال فهمى) وقائـد المنطقة اللواء (نبيه السرسى).

وكنت قد سمعت من زملائى وأخى هشام عن مـا يجرى فـى اليمن .. وخاصة من ناحية الجانـب الإنسـانى فـى المعـارك .. وعـن بعض التجـاوزات التـى كانـت تحـدث من بعض أفراد القوات المسلحة ضد الأفراد اليمنيين المقاتلين .. وقد كانت هذه الأشياء لا أقرها بداخلى – وقد قررت أن أراعى ذلك فى عملى باليمن من خلال أعمال القتال المعروض علينا.

وقد سمع أخى الأكبر بهذه الأحداث من أقربائنا العائدين من اليمن فقال لى مقوله أثرت فى وجدانى وأنا ذاهب إلى اليمن .. حيث قال (خلى بالك أنك حتحارب ناس بتقول الله أكبر زيها .. زيك).

وقد كرر علىّ هذه المقولة أثناء المواجهة مع ليبيا فيما بعد .. بعد أنضمامى لوحدتى باليمن بعده أسابيع تقرر أن تقوم أحدى سرايا الكتيبة بتدمير ثلاث منازل بمنطقة صعدا بحجة أنها مخازن أسلحة وذخائر وهى قريبة من جبل أسمه جبل الأخرس – وقد كلف النقيب (على خيرى) بهذه العملية وهو قائد لأحد السرايا بالكتيبة – وقد تقرر أن أرافقه فى هذه العملية .. حتى أشاهد المعارك على الطبيعة .. أو كما يسمون ذلك بـ(تطعيم المعركة) بالنسبة لى.

وفى ليلة العملية كنت ملازم لقائد السرية المكلف بالعملية فى مركز قيادته .. حيث قسم النقيب (على خيرى) سريته إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة مكلفة بمنزل من هذه المنازل الثلاث والتى بدعوى أن بها تشوينات أسلحة للمقاتلين اليمنيين.

وكانت كل مجموعة مكلفة بتدمير المنزل بالمتفجرات ثم رميها بقاذفات اللهب ومهاجمتها – وفى أثناء الاقتراب ومحاصرة المنازل والاقتراب منها .. وقد بدأت خيوط الفجر تظهر .. شاهدت رجل قد خرج إلى تراسى المنزل بالدور العلوى لمراقبة المنطقة .. حيث إنه يبدو أنه شعر بشىء ما يحدث حوله .. وقد لحقه طفل وطفلة .. وعندما لم ير شيئا

قال بصوت عال (الله اكبر) .. ثم دخل إلى الداخل – لقد تذكرت كلمة أخى الأكبر (سيد) فى هذه اللحظة – وفى لحظات كانت المفرقعات تهز المنازل وقوازف اللهب تمطرها .. بدأ الأفراد فى اطلاق النيران تجاه المنازل – ولكنى فوجئت أن هذه المنازل تفتح أبوابها ليخرج منها كم هائل من النساء والأطفال فى حالة ذعر وهرولة لأى اتجاه .. وقد بدأت خيوط النهار تضئ المنطقة .. وبدأ المقاتلون اليمينيون الموجودون بالجبل الأخرس الرد بالنيران – وظهر جليا لى أن الرجال تحتمى بالجبل ليلا ونترك النساء والأطفال بالمنازل – وظهر لى أيضا أن قواتنا تعلم هذا جيدا .. وخاصة عندما قلت لقائد السرية أن المنازل فيها أطفال عندما ظهروا خلف الرجل الذى ظهر .. فقال كلهم عدو .. وعند هذه اللحظة وقفت ووضعت البندقية على كتفى ولم أشارك فى القتال وبدأت العودة سيرا دون أن أشاركهم فى الانسحاب التكتيكى .. وقلت لنفسى لو أصابتنى طلقة .. فأننى استأهل .. لأننى شاركتهم فى هذا الموقف .. مع أنى لم أطلق طلقة واحدة .. وقد حاول البعض فى أن أرقد أو أشاركهم الانسحاب التكتبكى .. ولكنى رفضت واستمريت فى السير بالخطوة المعتادة.

وما أن وصلت إلى مركز القيادة الرئيس حيث اللواء (نبيه السرس) .. وكان قد سبقنى جميع أفراد السرية .. ويبدو أنهم ابلغوا اللواء (نبيه) عما حدث منى من عدم مشاركتهم فى القتال.

ولكن اللواء (نبيه) أراد أن يستقطبنى بأن قال حمد الله على السلامة يا بطل .. أنا كتبت اسمك فى كشف الترقية .. والريالات!! وما أن قال ذلك حتى انفجرت فيه معاتبا وبصوت عال .. على هذا النوع من القتال ضد النساء والأطفال.

وعلمت فيما بعد أنه كتب تقرير فى حقى بأننى تقاعست عن القتال .. ووصف ذلك بمصطلحات كثيرة.

وكنت قد دعوت الله متأثرا بذلك الموقف بأنى دعوت ألا يعود علىّ هذا الشهر إلا وقد تركت اليمن – وفعلا لم تمر عدة أيام حتى جاءت إشارة من القاهرة بأن أنزل فورا من اليمن وأسلم نفسى إلى وزارة الحربية.

وقد اعتقد الجميع أنى سوف أتولى السرية الجديدة والتى يتم إنشاؤها فى القاهرة والمعروفة بـ(سرية حرس المشير عامر) وأمام هذه الإشارة .. تم تمزيق التقرير المكتوب فى حقى .. كما ودعونى فى المطار كل من اللواء (نبيه) وقائد الكتيبة .. ظناً منهم أنى سوف أكون من المقربين عندما أتولى السرية المزمع إنشائها لحراسة المشير.

وهكذا استجاب الله لدعوتى وتركت اليمن.

وعندما وصلت القاهرة .. توجهت فى اليوم التالى إلى قيادة وحدات الصاعقة وكان قائد الصاعقة فى ذلك الوقت العميد (حسن عبد الغنى) .. وقابلته بمكتبه وكان موجود بالمكتب العقيد (صلاح عبد الحليم) قائد مدرسة الصاعقة .. وبعد أن جلست .. وقد وجدت ترحاب غير عادى .. وعلى استحياء

أخبرنى العميد (حسن عبد الغنى) أننى ضمن نشرة الحقائق رقم (5) .. والتى بها 65 ضابط قد تم الاستغناء عنهم .. حيث كانوا ضمن تنظيم الأخوان المسلمين عندما كانوا طلبة بالمدارس .. ولكنهم وجدوا منى عدم إكتراث .. وأنى استمريت فى نفس الحديث الودى وبروح مرحه.

فقال لى (حسن عبد الغنى) آيه حكايتك ياجدع أنت – أنا بلغت الرسالة دى لأثنين ضباط قبل منك .. وكانوا قاعدين على نفس الكرسى ولم يفيقوا إلا بالنشادر – فقلت له أنا فعلا سعيد بخروجى من الجيش .. لأنى لا أعتقد أنى كنت حقدر استمر بعد حكاية الترقيات الاستثنائية اللى حصلت فى الجيش مما جعل ضباط من تلاميذى أقدم منى .. والسبب حرب اليمن وخصوصا بعد ما حضرت معركة فيها.

وفجأة تكلم فى التليفون مع أحد ضباط المخابرات الحربية وكان أسمه المقدم (عوض) وكان يخدم فى المجموعة (13) .. وبعد عدة كلمات نظر إلى وقال أنت كنت فى مدرسة شبرا الثانوية .. فقلت له أنا لم أدخل حى شبرا إلا بعد تخرجى من الكلية الحربية فقال لى أكتب لى تسلسل دراسته فى الثانوى وذلك بعد أن قدم لى ورقة وقلم.

وبعد حوالى شهرين قضيتهم فى الحياة المدنية .. طلبنى العميد (حسن عبد الغنى) إلى مكتبه ليبلغنى رجوعى إلى الجيش مرة أخرى.

وقد كنت الوحيد من ضباط هذه النشرة (نشرة الحقائق رقم 5) الذى أعيد إلى الخدمة مرة أخرى.

مـع بدايـة صـيف 1967 .. ومـع حـرارة الجـو .. بـدأت تتصاعد القرارات السياسية والعسكرية على الجبهة الشرقية بسيناء. وقد بدأت بطلب مصر بسحب قوات الأمم المتحدة مـرورًا بغلـق خلـيج العقبـة أمـام الملاحـة الإسـرائيلية إلـى الحشـود العسـكرية للقـوات المسـلحة إلـى سـيناء .. ورفـع درجات الاستعداد للمواجهة المصرية الإسرائيلية.

حيـث ابتلعـت القيـادة المصـرية الطعـم الـذى أعـده الغـرب والصهيونية لمصر للمبادرة بالضربة الموجة لمصر فى هذا التوقيت بعد أن أُنهِك الجيش المصرى فى اليمن.

وذلك بغرض إسقاط نظام الحكم بقيادة (عبد الناصـر) كهدف للغرب واحتلال سيناء كجزء مهم تضـع الصـهيونية عينهـا عليـه .. فهـى لـم تـنسَ لثـورة يوليـو 52 أنهـا قامـت بـأهم إنجازات قضت به على ما قام به الغرب بعد الحرب العالمية الأولـى وأكـدتها فـى الحـرب العالميـة الثانيـة .. وهـو احـتلال الدول الكبرى للبلاد العربية والأفريقية وهذه الإنجازات هى:

تحرير كافة الدول العربية والأفريقية من المستعمر الأوربي.

إحياء القومية العربية.

مساعدة المد الثورى لأمريكا الجنوبية.

الاشتراك وتعظيم دور دول عدم الانحياز.

محاولـة تفعيـل دور جامعـة الـدول العربيـة وبدايـة إقامـة الولايات العربية المتحدة.

ولم ينسَ الغرب أن كافة الدول العربية والدول الأفريقية قد تحررت من الاستعمار بفضل القيادة المصرية بزعامة جمال عبد الناصر.
وكنت فى ذلك الوقت أخدم بمدرسة الصاعقة قائدا للجناح الخاص وهو جناح الجبال.
فى يوم 1967/5/29 .. صدرت تعليمات باختيار6ضباط لاستطلاع ثلاث مناطق بصحراء النقب .. كل مهمة مكونة من 2 ضباط .. كنت أنا والنقيب محمود محرم زميلى بالمدرسة فى مهمة واحدة.
وفى يوم1967/5/31 .. سلمنا أنا و(محمود محرم) أنفسنا إلى مكتب مخابرات الكونتلا .. والذى كنا وصلناه فى نفس اليوم وقابلنا الرائد (أحمد السيد) الذى كان يجلس على مكتب ميدانى متواضع داخل كشك خشبى .. وبجانبه فانوس (هيركان) حيث كان الوقت ليلا وكان سماره اللامع .. مع بياض العينين وسواد الحدقتين .. وتراقص إضاءة الفانوس .. أعطى لنا انطباع أهمية المأمورية.
وخصوصا أنها كانت أول مرة لنا أن نكلف بمهام قتالية .. وليست مهام تدريبية وكانت المهمة هى استطلاع مطار يسمى بمطار (متسابية رامون) بصحراء النقب وهى تقع فى الشرق لمنطقة (الكونتلا) والمعروف أن هذا المكان أرض هبوط للطائرات يستخدم فى حالة الطوارئ .. والمطلوب هل هو سيستخدم أم لا؟

ليلة 1967/5/31 .. الساعة العاشرة مساءً .. تم التحرك من الحدود المصرية باتجاه (متسابية رامون) .. وكان معنا دليل بدوى سيتولى توجيهنا إلى المطار .. والمقدر له مسافة 9 كم من الحدود .. وكنا نُعلم الطلبة فى فرقة الصاعقة .. كيفية الحفاظ على الاتجاه وكيفية السيطرة على الدليل حتى لا يكون هو صاحب القرار وقد وجدت نفسى أطبق نفس المبادئ .. ووصل ثلاثتنا إلى المنطقة .. والتى تم رصد أرض الهبوط والتى لم نجد فيها أى حياة مما يدل على عدم نية العدو استخدامها .. وتم الرجوع وتقديم التقرير إلى ضابط المخابرات الرائد (أحمد السيد).

الناصية الثالثة

رغم قصر هذه الفترة والتى لا تتعدى الأيام .. إلا أن غناها بأنها كانت المرة الأولى التى يتم فيها استخدام كل ما تم التدريب عليه أثناء السلم فى أول تجربة قتالية فى حياتى.

وقد اتسمت كل المواقف باليقظة وسرعة اتخاذ القرار معتمدا على عنصر المفاجأة والخداع لتحقيق الهدف وسلامة قواتى.

ولكن الفاجعة كانت متمثلة فى مشهدين:

المشهد الأول: مشهد الخيانة والسلبية على الجبهة الأردنية سواء من القيادة إلى وحدات الجيش الأردني.

المشهد الثانى: مشهد الفلسطينيين فى الضفة الغربية .. والذين لم يستعدوا لمثل هذا اليوم واعتقادهم بأن حرب 48 هى آخر المعارك واعتمادهم على القوات النظامية سواء المصرية أو الأردنية.

فى حين أن قلب إسرائيل كان حتى هذا الوقت فى قبضه ومرمى الأسلحة الصغيرة والمتوسطة للأردن والفلسطينيين سواء فى الضفة أو غزة.

الأردن

وفى يوم 1967/6/1 .. انضممنا إلى قوات الصاعقة والتى كانت موجودة بجانب مدينة الكونتلا وكانت بقيادة العقيد جلال الهريدى قائد الصاعقة وقتئذ وخلال أيام (1، 2، 3) كان يصل لهذه القوات أفراد مدنيون مستدعون للخدمة .. وكانوا بأعداد كبيرة وبملابسهم المدنية وغالبيتهم قد تم تسريحه من الجيش منذ 10، 15 سنة كما أنهم لم يخدموا بالصاعقة من قبل- هذا رغم أن هناك دفعة كان قد تم تسريحهم رديف من الصاعقة منذ أقل من شهرين - لكن أحدًا منهم لم نجده بيننا.

وفى يوم 1967/6/3 .. صدرت التعليمات بنقل عدد 2 كتيبة .. كل كتيبة مكونة من ثلاث سرايا (السرية حوالى 100 فرد) إلى الأردن بقيادة العقيد جلال الهريدى .. وأتذكر أن المقدم أحمد عبد الله كان قائد إحدى الكتائب وذهبنا إلى مطار (بير تمادا) لنستقل الطائرات إلى الأردن .. وأتذكر أننا استلمنا أفرولات وأحذية للأفراد الذين تم استدعاؤهم والذين كانوا مازالوا بالملابس المدنية .. وكانت هناك اختلافات كبيرة فى مقاسات الافرولات والأحذية .. أقلعنا من مطار (تمادا) ووصلنا فى ظهر نفس اليوم إلى مطار (عمان) .. كان الملك (حسين) فى استقبالنا وبرفقته مركز القيادة المصرى هناك بقيادة اللواء (عبد المنعم رياض) واذكر من المدفعية المقدم (منير شاش). وتوجهنا

إلى (رام الله) .. وانتشرنا هناك فى أماكن إيواء بجانب قيادة المنطقة برام الله.

وفى يوم 1967/6/4 .. بدأنا يومنا بأعمال إدارية ونظافة سلاح وبدأ الجنود الذين تم استدعاؤهم يتبادلون الملابس والأحذية فى محاولة لإيجاد مقاساتهم وأخذنا مواقع انتشار دفاعية حول المنطقة. كنت أنا و(محمود محرم) لسنا ضمن تنظيم الكتائب. فألحقنا على أحد الكتائب – وأذكر من قادة السرايا النقيب (شاكر مرسى) والذى خدم معى فى إنشاء مدرسة صاعقة ومركز تدريب بالجزائر لمدة حوالى ثلاث سنوات والنقيب مصطفى كامل والذى تولى محافظة بورسعيد فيما بعد. وأثناء العمل والتجهيز .. كنا نتبادل الكلمات الحماسية – جاء اليوم الذى سنحارب ونثبت وجودنا للعالم وبعض من الكلمات الحماسية – وأن هذه فرصتنا لاسترداد الأرض .. وغيرها من الكلمات الحماسية.

وفى يوم 1967/6/5 .. استيقظنا فى الخامسة صباحًا .. خرجنا إلى طابور الصباح الرياضى من السادسة إلى السابعة صباحا .. أخذنا حمام الصباح وتم تغيير الملابس وذهبنا إلى ميس الضباط بعد أن أطمأننا على إفطار الجنود وكان ذلك الساعة 7.45 دقيقة. تقابلنا فى الميس (المطعم) مع بعض الضباط الأردنيين وجلسنا فى الصالون الملحق بالميس. وجلسنا نتعارف قبل الإفطار .. وأذكر أنه كان جالسًا فى الصدارة العقيد (جلال الهريدى) وقائد قطاع منطقة رام الله برتبه عميد وكان رجلاً طويلاً وضخمًا ممتلأ

بشكل ملحوظ فى منطقة الوسط ومرت دقائق وقبل أن ننتقل إلى طعام الإفطار .. دخل ضابط أردنى برتبة صغيرة وفى حالة هلع مهرولا .. حتى وقف أمام قائد المنطقة وأدى التحية بشدة وقال افتح الراديو .. سيدى .. إسرائيل بدأت بهجوم جوى على مصر وفتح الراديو الموجود بالميس على محطة صوت العرب .. وكان إذاعة صوت العرب بصوت المذيع أحمد سعيد يكرر فى كل مرة .. جاءنا البيان التالى ويعلن عن سقوط العشرات من طائرات العدو.

مطـار اللد

كنا فى فرحة عارمة بالأخبار التى نسمعها.. وهنا ظهر (جلال هريدى) وقال .. "جه يومنا ياولاد .. فى أمر عمليات حيتم تلقينكم لتنفيذه اليوم". وكان قد مر حوالى نصف ساعة .. وهنا وقف العميد قائد القطاع وبصوت جهورى موجهًا كلامه إلى أحد الضباط الأردنيين .. المدفعية 155.. "أقصف". وكنا نعلم جميعا أن مدى المدفع 155 وهى أقوى دانه وأبعد مسافة بحيث يمكن أن تضرب من رام الله كل من تل أبيب ويافا واللد والرملة .. إلا أننا لم نسمع صوت طلقة واحدة حتى خرجنا لدورياتنا فى التاسعة مساءً. المهم أعطى العقيد (جلال هريدى) تعليماته بأن ينتقل المقدم أحمد عبد الله إلى نابلس حيث سيكلف هناك بخروج ثلاث دوريات قتال فى اتجاه إسرائيل للعمل ضد المطارات المقابلة – وتبقى كتيبه تقسم إلى ثلاث دوريات ضد المطارات المقابلة. وكان النقيب (شاكر مرسى) قائد السرية المكلفة للعمل على (مطار اللد) – فقلت للنقيب (شاكر) أنا و(محرم) حنطلع معاك الدورية.

ورغم أننى ومحرم أقدم منه .. إلا أننا قلنا له مش مهم الأقدمية إحنا مستعدين نشتغل أفراد .. المهم مش عايزين نقعد من غير شغل. فذهب (شاكر) إلى العقيد (جلال الهريدى) .. وقال عايز (رجائى) معايا .. فقال له .. بس رجائى أقدم منك .. فقال له .. مش مهم يا فندم .. إحنا واحد وممكن (رجائى) يقود السرية وأنا معاه .. وهكذا كانت روح

الصاعقة .. لا فرق فيمن يقود .. المهم أن نعمل سويا .. وإن هذا يوم لا يمكن لأحد أن يجلس بدون أن يؤدى واجبه .. حتى ولو كان جنديًا. كانت السرية حوالى 96 ضابطًا وجنديًا بعد أن انضممت أنا و(محرم) إلى السرية وأذكر من الضباط الملازم (نجم) والملازم (سيد أيوب) .. والذى كلف يحمل جهاز اللاسلكى لأن الجندى المكلف بذلك كان مستدعى ولا علم له بالجهاز. وبدأنا بتجهيز أنفسنا للخروج للدورية من إعداد وتجهيز مفرقعات وألغام ولبس الأفرول على الوجهة الزراعى أى (الغامق) حيث أن طبيعة العمل كانت بين الأشجار والمزارع وكان الرائد (نبيل الزفتاوى) هو قائد القاعدة التى سنتحرك منها .. وبعد أن تحركنا ونحن فى وسط المسافة إلى بلدة (بيت أليـاس) الحدودية لحق بنا المقدم (أحمد حلمى) والذى قال: "سأكون أنا فى القاعدة و(نبيل الزفتاوى) هو اللى حيكون معاكم كقائد للداورية".

لقد كان المكان الذى سنخرج منه هو من بلدة (بيت إلياس) وهى على الحدود الأردنية الإسرائيلية. نزلنا من السيارة وأخفينا السيارات بين منطقة أشجار عالية وأخذنا تشكيلنا فى اتجاه مطار اللد والذى يبعد حوالى 10 كيلومترات وقد بدأنا التحرك فى الساعة التاسعة والنصف تقريبا من مساء يوم 5 يونيو.

كنا نسير فى طابور فردى من الجنود وكل ضابط خلفه عشرة جنود وأنا وشاكر ومحرم خارج الطابور لتوجيه القوة للسير بالشكل المناسب وكنت أسير بعد نبيل ومجموعة

الإدلاء خارج الصف .. وكنت أتابع اتجاه الإدلاء .. وبما أننى أجيد الملاحة الليلية والسير على النجوم .. فقد وجدت أننا تركنا الاتجاه المفروض أن نسير فيه وأصبحت مجموعة النجوم التى نسير عليها للهدف قد أصبحت خلفنا – وكانت الساعة قد قاربت الواحدة والنصف وهنا أخبرت نبيل الزفتاوى بأننا قد حدنا عن الهدف .. بل الآن أصبحنا متجهين إلى الأردن ثانية .. إلا أنه قال دى بلادهم وهم أدرى بها .. وبعد مناقشات استمرت أكثر من ربع ساعة مع الإدلاء ومع إصرارى .. بدأنا نغير اتجاهنا إلى حيث أشرت .. وبعد مسيرة مسافة قصيرة ظهرت صحة كلامى عندما كنا نعبر مكان مرتفع .. وإذ بالمطار يضئ أنواره والتى كان يوقدها أثناء هبوط أو إقلاع طائرات ثم يعاود إطفاءها.
واذكر أننا قطعنا المسافة فى حوالى خمس ساعات ونصف والمفروض أن نقطعها فى التحرك الميدانى من 2.5 إلى 3 ساعات لكن هناك سببين:
عندما ضللنا الطريق عن عمد بواسطة الإدلاء.
وعندما تصادف مرور رتل من الدبابات والعربات المصفحة على طريق كان من المفروض أن نقطعه ولم نتعامل معه لأن الهدف كان مطار (اللد) .. وقد وقف هذا الرتل أمامنا أكثر من ساعة.
المهم وصلنا إلى منطقة المطار حوالى الساعة الثالثة صباحًا واقتربنا لأقرب مسافة وهى عبارة عن منطقة أعشاب كانت تغطينا ونحن وقوفًا على بعد حوالى 50 متر من طريق

مجـاور للمطـار ثـم السـلك الشـائك للمطـار .. وعـدة أبـراج مراقبة بها كشافات تضئ على فترات متقطعة للمنطقة.
وقد وقفنـا مكاننـا وذهـب نبيـل وشـاكر ومحـرم ومعهم سيد أيوب بالجهاز اللاسلكى للاقتراب واستطلاع المطار إلا أنـه بعد نصف ساعة لم يحضروا .. اضطررت أن أقّسم الدوريـة إلـى مجموعـات صـغيرة لتنفيذ العمليـة ظنـا منـى أن مكروهـا حـدث لهـم – وفعـلا اقتربنـا حتـى الشـارع الـذى يفصـلنا عـن المطار وشـاهدنا أن السـلك الشـائك الكثيـف يبعد عنـا بحـوالى 200م تقريبا وعندما أضاء كشاف المراقبة كـان هنـاك ثـلاث طـائرات نقل جنـود (نـور أطلس) وتحـت كـل طـائرة سـرية مظليـين أى حـوالى كتيبـه (300 فـرد) – فحـددنا أن هـذا الاتجاه هو الهدف الأول ثم نتجـه للمطـار– وفـى هذه اللحظـة رجـع (نبيـل) ومـن معـه .. ليخبرنـا أن المقدم (أحمـد حلمـى) اتصل .. ليقول أن العملية تم إلغاؤها وعلينا العودة!
وهنا حدث تمرد من الضباط الأصـاغر رافضـين العـودة قبـل تحقيق الهدف وخاصـة بعد أن تحركنـا إلـى مقربـة مـن السـور .. وكنت من المعارضين أيضًا .. إلا أن إصرار (نبيل) علـى إتبـاع الأوامـر جعلنـى أوافـق .. والآن هـؤلاء الضـباط علـى علاقـة حميمـة معـى حيـث كنـت معلمًـا لهـم جميعـا فـى فـرق الصـاعقة .. وكان علىّ أن أقوم بإقناعهم .. حيث تفهمـوا ذلـك – وأفهمتهم أن هنـاك اتفـاقًا عنـدما تصـلنا إشـارة باللاسـلكى أو الراديو (جلال وحلمى يعودا لقواعدهم).

إنها تعنى أن تعود الدوريات ولا تستمر فى العملية .. ولكننا للأسف لم نفتح الراديو الذى كان معنا وسمعناها باللاسلكى .. وكانت الساعة تعدت الرابعة صباحًا وبدأت خيوط الصباح تظهر وكنا قد دخلنا منطقة حدائق برتقال لنسير بداخلها مسافة طويلة متجهين شمالا لنبحث عن الثغرة التى مررنا بها فى الذهاب وهى ثغرة بين المستعمرات التى كانت تحيط المنطقة بالكامل – حيث اختفى الإدلاء الفلسطينيين بعد أن عبرنا هذه الثغرة فى الذهاب.

وفى الساعة السابعة صباحا وكانت الشمس قد ملأت الكون – وهناك اتخذت قرارًا أن اعتمد على الخداع للمرور صباحا فى داخل إحدى المستعمرات فخرجت من حديقة البرتقال مفاجأ لكل من معى من الداورية.

لأنادى عليهم بعد أن وقف النقيب (شاكر) أمامى وأقول (على شمال الدليل اجمع) ليتجمع الجنود والضباط فى صفين .. وناديت علق السلاح .. لليمين دور .. للشمال لف .. معتادا مارش – لقد كان هذا التصرف مفاجأة لجميع من معى بما فيهم الرائد (نبيل) نفسه .. وبدأت السير فى اتجاه إحدى المستعمرات والتى كانت تبعد بحوالى 100 متر وكانت المستعمرة عبارة عن مبانٍ بسيطة دور واحد وسقف مائل من القرميد .. وقد سرنا فى شارع فسيح داخل المستعمرة وكانت المنازل من اليمين واليسار .. وكان الإسرائيليون منهم من هو نائم أمام منزله أو يفتح الشباك على صوت خطواتنا ليتفاجأ بهذا المنظر .. وكانوا فى حيرة

حيث إننا نعبر من داخل الأراضى الإسرائيلية. وأن لبس الأفورول على الوجه الزراعى (الغامق) هو تقريبا نفس لون الجندى المظلى الإسرائيلى .. إلا أن الوجوه ليست المعتادة عليها .. وفى منتصف المستعمرة التى لا يبلغ عرضها أكثر من150متر كان هناك طريق مقاطع للطريق تسير به سيارة فى اتجاه مرور الدورية .. وهنا أوقفت الدورية لأشير إلى السيارة بالمرور .. وعندما أبطأت السيارة أمامى لتتفرس فى وجوهنا .. ضربت بيدى على الكبينة لأقول له (شالوم) وأشاور له بسرعة المرور .. وبتلقائية انصاع قائد السيارة للأمر .. وكنت أثناء السير قد أعطيت أوامر لبعض المتميزين بقيادة شاكر مرسى بأن يمدوا الخطوة .. وعند وصولهم البوابة الرئيسية والتى كانت أمامنا مباشرة يقومون بإطلاق النيران على الحراسة والخروج خارج المستعمرة لتغطية انسحابنا بعد أن نطلق النيران على من هم بالمستعمرة. وكان أول من سقط قتيلا فرد حراسه كان موجودًا بالبرج المجاور للبوابة وأفراد البوابة ثم بدأت المجموعة بإطلاق النيران على كل من فى المستعمرة مع الاستمرار فى الانسحاب .. إلى أن عبرنا الطريق المقابل للمستعمرة وكذلك خط السكة الحديد إلى أن دخلنا سلسلة الجبال متجهين إلى قرية بيت إلياس.

وفى منتصف الطريق إلى القرية شاهدنا أتوبيس كبير وبجانبه 9 مجندين عبارة عن 7 رجال وامرأتين – فأمرت الملازم نجم بمهاجمتهم وتم قتلهم جميعا ونسف الأتوبيس

وإحضار جهازهم اللاسلكى والمعدات التى كانت معهم .. ويبدوا أنهم كانوا نقطة إنذار.

ولأول مرة نعلم أن طلقة (RPJ2) وهو القاذف المضاد للدبابات والمركبات لا تعمل قبل 100متر حيث أطلقنا أكثر من واحدة ولم تؤثر على الأتوبيس فى شئ .. وقد تكون هذه المعلومة جديدة لنا .. حيث أبلغنا زملاءنا بعد أن عدنا وتقابلنا معهم أنهم قد اشتبكوا مع العدو فى سيناء عن قرب فى أعمال فدائية .. إلا أنهم صدموا بذلك – لكن عموما استبدل بعد ذلك (RPJ2) بـ(RPJ7) والذى يعمل على المسافات القريبة. ووصلنا إلى قرية (بيت إلياس) عصرا ليخبرونا أن الضفة الغربية قد احتلت من القوات الإسرائيلية.

وعندما وصلنا إلى القرية وجدنا فراخًا مسلوقة قدمت لنا من أهالى القرية الفلسطينيين فى طشوت كبيرة من البلاستيك – وكذلك زعتر وزيت زيتون فى قصعة وكمية كبيرة من العيش المخبوز فى الفرن بالمنازل وبحثت عن العربات التى تركناها مخبئه بين الأشجار وكان قرارى أن أستغل عنصر المفاجأة والخداع مرة أخرى حيث أحضرت بعض سائقى العربات وقلت لهم هل تعرفون الطريق إلى أريحا عبر المدقات بعيدًا عن الطرق الرئيسية .. فأجابوا بالإيجاب.

وفى الثانية صباحًا بدأنا التحرك بقول العربات المكون من عدد أربع لوارى .. وذلك عبر المدقات فى اتجاه بلدة أريحا معتمدين على ظلام الليل وحالة السكون التى فيها العدو .. وفى أحيان كثيرة كانت المدقات تقترب من الطرق الرئيسية

ولمسافات كبيرة .. وكانت مدرعات ودبابات العدو بجانبنا فى حالة سكون تام إلى أن انقشع ظلام لليل وظهرت خيوط ضوء الصباح لأشاهد منظرًا من أسوأ المناظر .. وهو طابور ممتد من الفلسطينيين المدنيين عبارة عن شيوخ وشباب وأطفال وعجزة .. كل منهم يحمل كيسًا كبيرًا أو مخدة أو لحافًا .. فى حالة هجرة إلى الشرق حيث بلدة (أريحا) .. وهنا عرفت أن العدو لم يصل إلى هذه المنطقة .. فبدأنا نأخذ طريقنا على الطريق الأسفلتى الرئيسى ونسير بسرعة عادية فى اتجاه (أريحا) والتى وصلناها مع بزوغ الشمس .. لنجد كمًا كبيرًا من المهاجرين لأخذ الراحة بأريحا ثم الاتجاه إلى الضفة الشرقية للأردن عبر نهر الأردن.

ووقفنا ببلدة (أريحا) وقد شاهدت بعضًا من الجنود الأردنيين بملابسهم العسكرية المكوية والمنشاة .. وأعتقد أنهم حتى لم يعرقوا فيها .. وكأن هناك اتفاقًا لترك الضفة الغربية بسلام بين الطرفين – وهذا ما اتضح عندما وصلت عمان .. اللهم إلا كتيبة فى بلدة نابلس .. رفض قائدها الأردنى الانسحاب وظل محتفظ بالبلدة لمدة أربعة أيام فى حالة قتال مع العدو حتى استشهد.

المهم عبرنا نهر الأردن عبر جسر اللمبى واتجهنا إلى (عمان) .. وقابلنا العقيد (جلال الهريدى) واعتقدنا أننا سنأخذ مهام قتال أخرى .. إلا أننى عندما ذهبت لمركز القيادة وكان به اللواء (عبد المنعم رياض) و(جلال هريدى) وبعض القادة المصريين وعندما دخلت المبنى مع الرائد

(نبيل الزفتاوى) .. كانت هناك صالة طويلة بها بعض الكراسى البسيطة ثم دخلنا غرفة كبيرة مربعه .. ملقى بها على الأرض حوالى أربع مراتب عليها ملاءات بيضاء .. وفى ركن منها كانت ترابيزة مستطيلة وبعض الكراسى وعلى الترابيزة بعض الخرائط وأعتقد أن ذلك كان هو مركز القيادة .. كانت الأوامر أن الانتظار حتى صدور أوامر وتعليمات من القاهرة.

العودة إلى الأردن

وفى يوم 1967/6/7 .. كان اليوم الثانى صباحًا للمعركة – أى منذ رجعنا إلى الحدود الأردنية عند بيت إلياس وتحركت كما قلت من قبل من بلدة (بيت إلياس) الساعة الثانية مساءً فى اتجاه أريحا مارا بأطراف رام الله .. إلى أن وصلت إلى عمان فى حوالى العاشرة صباحًا – قابلت جنودًا أردنيين وقادة فى مواقعهم .. ورغم حرارة الجو فأننى لم أجد جنديا واحدًا يتصبب عرقًا .. وبكامل الهندام المكوى .. ولم تغير علينا أى طائرة حربية .. ولم أسمع أى صوت لتبادل إطلاق نيران .. ولم أجد أى رتبة كبيرة فى مركز القيادة المصرى الأردنى المشترك.

إلا أننى شعرت وكأن هناك اتفاقًا بين الحكومة الأردنية والحكومة الإسرائيلية فحواه (سلم واستلم) .. بل لم أشاهد أى موقف عدائى .. حتى مع الفلسطينيين المدنيين المنسحبين من ديارهم .. مشهد لا يذهب من ذاكرتى .. أرويه حاليا وقلبى ينزف دمًا وليس غريبا بعد ذلك أن تشيد الحكومة الإسرائيلية ببسالة الجندى الأردنى وتصفه أنه كان الجندى المستبسل فى مواجهته وتصف الملك الحسين بالقائد الشجاع.

ولكنى كشاهد عيان فى الميدان لم أسمع عن أى قلق من المملكة الأردنية غير ما سبق أن ذكرت عن الكتيبة الموجودة فى نابلس التى قاومت أربعة أيام وبدون أوامر للصمود.

كما أن منظمة فتح كانت وليده .. ولم نسمع عن أى مقاومة لها رغم انفتاح المسرح أمامها .. واعتقد أنه لو كان تم استخدام نصف القوات الأردنية أو منظمة فتح .. لاختلف الأمر تماما – حيث كانت معظم المدن الإسرائيلية فى متناول يد الجميع.

لكن يبدو أن الجميع كان فى غفلة عن المواجهة على تلك الجبهة .. ولم يأخذوا من حرب 48 درسًا .. ولم يعدوا أنفسهم لهذا اليوم – وكانت الدعاية الإسرائيلية تشيد بهم لتحطيم معنويات الجبهة المصرية وعبد الناصر شخصيًا بعد أن كُسرت القوات المصرية فى سيناء. ولى وقفة هنا عن معركة 67 على الجبهة المصرية – وأقول معركة لأنها ليست حربًا .. لأن الحرب بدأت بمعركة 67 مارة بمعارك الاستنزاف وهى بالمئات وانتهت بمعركة 73. لأن الحرب تبدأ بمعركة أو معارك تقصر أو تطول المدى فيها .. المهم أنها أخيرا حققت الهدف المرجو منها أو تخيب فى تحقيقه بمعركة فاصلة .. وهنا يحسب المكسب أو الخسارة للحرب.

لقد بدأت الحرب العالمية الثانية سنة 1941 وانتهت 1945 وسميت المواجهات سواء فى فرنسا وبولندا وستالتجراد ونورماندى وشمال أفريقيا وغيرها بمعارك ولم تسمى حرب فرنسا أو نورماندى أو .. أو .. – ونفس الشىء فلقد كانت حرب 67 – 73 (الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة) لمدة لمعارك بدأت فى عام 67 بمعارك 67 فى سيناء والجولان والضفة مرورًا بمعارك الاستنزاف وانتهت بمعركة 73.

واعتقد أن إسرائيل خسرت تحقيق الهدف فى تدمير الجيش المصرى واحتلال الأرض وكسر الإرادة السياسية المصرية .. وأن مصر لم تمنح العدو غرضه بل كسرت الإرادة السياسية الإسرائيلية وأفقدتها مقولة الجيش الذى لا يقهر.

والمعلوم أن ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية اجتاحت فرنسا فى أربعة أيام .. واكتسحت بولندا فى 12 ساعة وغيرها من البلاد الأوربية وقامت هذه البلاد بتحرير أراضيها بواسطة قوات الحلفاء.

لكن كان الشرف لمصر أنها حررت أراضيها بواسطة جنودها المصريين. ولكن حزنى أننا كمصريين نهوى لطم الخدود وجلد أنفسنا .. وهذا تقليد متوارث من أيام الفراعنة .. لم نذكر 67 إلا ونعيد ما نعيد .. ولكننا لم نجد فرنسا أو بولندا وغيرها من البلاد .. تلطم الخدود فى ذكرى انكسارها. بل تناست ونظرت إلى الأمام لتبنى بلادها من جديد.

فليرحمنا الله .. ونرحم أنفسنا من كلمة نكبة .. ونكسة – إلا أننا قد خرجنا فى كل مرة أقوى مما كنا عليه .. ولكن علينا الآن أن نعى الدرس .. وإن العدو مازال قائمًا – وإن السلام حتى لو طالبنا به .. فإن العدو لا يعرفه – والعدو على يقين أن كلمة السلام تعنى نهايته .. وإنه مقتنع تماما أن وجود الأول يلغى الآخر.

لقد كانت معركة 67 معركة فى صحراء خالية من البشر وأمام جيش أُمر بالانسحاب – ولكن عندما واجه العدو

المصـرى فـى بلـده فـى 67 فـى بـور فـؤاد أو فـى 73 فـى الإسـماعيلية أو السـويس لـم يقـوى علـى الاختـراق .. وأخـذ دروسـا لـن ينسـاها وحتـى فـى 56 .. بمعاركهـا ببـور سـعيد والمقاومـة مـن العسـكريين والمـدنيين والتـى أرهقـت القـوات الإنجليزية.

فتح

فـى يـوم 1967/6/8 .. تجمعـت قـوات الصـاعقة الموجـودة بالأردن فى بلده الزرقا والقريبة من الحدود السورية – وكنـا قد علمنا واستوعبنا ما حدث علـى الجبهـة المصـرية .. سرى فيما بيننا أن هنـاك منظمـة فلسطينية تسمى فتح وأنهـا ستقوم بعمليات ضد العدو الإسرائيلى.

وتجمعنـا حـوالى 10 ضبـاط واتفقنـا علـى أن ننضـم إلـى المنظمـة .. وبـدأنا الاتصـال بياسـر عرفـات عـن طريـق أحـد الأدلـة الفلسطينيين الـذين كـانوا معنـا – وأخيـرا وافـق (ياسـر عرفـات) علـى الانضـمام إليهم. وفـى نفس اليـوم الـذى اتفقنـا على الهروب من المعسكر للانضمام إلى المنظمة .. وكنـا قد وصلنا إلـى عدد 22 ضـابط – وكنـا قد خلدنا إلـى النـوم فـى تمام التاسعة مساءً .. على أساس أن نستيقظ فى الثانيـة مسـاءً ونتجمع بالسلاح والـذخيرة لنغـادر المعسكر لمقابلـة المنـدوب الـذى سـوف ينتظرنـا خـارج المعسـكر – ولكـن فـى السـاعة الثانية عشر وجدنا أوامر بإيقاظ كافة وحـدات الصـاعقة .. ثـم تم التتميم علينا .. وكان هنـاك رتـل مـن الأوتوبيسـات المدنيـة فـى انتظارنـا .. وعلمنـا بعـد أن تحركنـا أننـا متجهـين إلـى سوريا.

وكان إجراءً مفاجئًا خصوصا أننا كقادة لم نأخذ أى تلقين ممـا ساورنى الشك أن خطتنا تسربت .. وخاصة أن أحد الضـباط عرض على أن نكلم المقدم (أحمد عبد الله) للانضـمام إلينـا .. ولكنـى عارضـته .. لعلمـى أنـه ملتـزم فـى حياتـه العسـكرية

ويخشى فعل مثل هذا الشيء .. وإن علم به فسوف يبلغ قيادته بذلك.

المهم .. وصلنا دمشق فى صباح نفس اليوم .. وتوقفنا فى أحد المعسكرات .. وعوملنا معاملة غريبة .. كان فيها حذر شديد منا .. بحيث لم يسمح لنا بالظهور أو التحرك من خارج المعسكر .. وأوعزنا ذلك لعقدة النظام البعثى من الصاعقة وخاصة أن المقدم (جلال الهريدى) هو قائد هذه المجموعة .. وكأنهم لم ينسوا أن قوات الصاعقة هى التى تحركت إبان الانفصال عن سوريا وبنفس القيادة وهو (جلال الهريدى) قائد الصاعقة.

تحركنا بعد عدة ساعات إلى لبنان .. وكان منظرًا جميلاً جدًا وهو السير خلال الجبال الخضراء لجبل الشيخ – وكان لا يعكر جمال هذه الطبيعة إلا صور حافظ الأسد وهى مزروعة على الطريق بأحجام كبيرة .. ولم نستغرب ذلك لأن هذا هو حال البلاد ذات الحكم الدكتاتورى الفردى صحيح إن مصر كان بلدًا أيضا حكم بالدكتاتورية .. لكن مظاهرها لم تصل إلى هذه الدرجة .. حتى القاعدة الرخامية الموجودة فى ميدان التحرير وكان من المعلوم أن هناك تمثال لعبد الناصر على هيئة رأس مثل تمثال رأس لينين كان سيوضع على هذه القاعدة بعد مماته إلا أنه كان هناك حياء لوضعه وهو على قيد الحياة .. عموما فهو لم يوضع واختفت من الوجود هذه القاعدة من ميدان التحرير والتى كانت تعتبر تحفه معمارية. غريب أمر هذا الحكم البعثى فى سوريا .. فرغم احتلال إسرائيل لأرض سورية وهى الجولان ومرور أكثر من أربعين عام .. فإنها لم تثير أى معارك استنزاف ضد العدو فى الأرض المحتلة ولا حتى برميه حجر– وفى نفس الوقت تركز كل ثقله فى لبنان وهى أرض شقيقة .. وإن كنت أحترم سياستها فى الاعتزاز بقوميتها وكرامة الدولة أمام الهيمنة الغربية وخاصة أمريكا .. فهل هى تقايض بذلك أمام الأرض ..؟ وصلنا بيروت مساءً .. وقضينا ليلة ونهار كامل مع كرم وسماحة شعب من أجمل الشعوب العربية (لبنان) .. ثم أقلعنا فى مركب إلى

الإسـكندرية لنصـل فـى منطقـة المكـس غـرب الإسـكندرية ونركب القطار الذى كان فى انتظارنا لنصل إلى أنشاص.

الناصية الرابعة

فى هذه الفترة كان الحافظ هو الله .. والله خير حافظ.

إن موقفى الرافض لوقف القتال بعد معركة 67 .. كان موقف ككل المصريين .. ولكن مظاهرة عندى فيه شىء من الإيجابية والتى تعرضنى لخطر المواخذه والتى قد تصل للسجن.

وقد تمثل ذلك عقب 67 فى محاولة لتنظيم وتشكيل منظمة تخرج عن النظام وتقييم فى سيناء للعمل ضد العدو (منظمة سيناء العربية) والتى لازمنى فيها الصحفى (وجيه أبو ذكرى).

والأخرى بعد عام 71 بعد إيقاف النيران وأعمال معارك الاستنزاف عندما قمت بتنظيم انقلابى للأخذ بزمام الحكم للاستمرار فى العمل القتالى .. حتى تحرير كامل سيناء .. ولكن قرار الحرب فى 73 أشفى صدورنا .. وجانبنا الاستمرار فى ذلك التنظيم.

وقد اتسمت هذه الفترة باعتزازى بكونى مصرى وذلك لما شاهدته من كل المصريين وإصرارهم على حماية الأرض وطرد العدو .. سواء المواطن البسيط والذى اختار عن رضا أن يعيش على الكفاف لتوفير كل شىء لقواته المسلحة – أو للمجند الذى استمر بالخدمة لأكثر من ست سنوات كمجند .. حتى تحررت أرضه .. وخاصة الجندى ذا المؤهلات العالية.

وإلـى المـرأة المصـرية للجنـود والضـباط والتـى كانـت تقـوم بدور الرجل والمرأة فى تربية وإدارة شئون بيتها .. بـدلا مـن زوجها المقيم تقريبا على الجبهة.
وأهم ما فى هذه الناصية هـى التحـالف الحقيقـى لكل مقدرات الشعب مع جيشه استعدادًا لمعركة التحرير.

العودة إلى مصر

عندما وصل المركب التى أقلتنا من بيروت إلى الإسكندرية .. وكنا عليها حوالى 700 جندى وضابط مصرى من قوات الصاعقة .. كانت أوقاتنا حتى قبل الوصول إلى الإسكندرية عادية .. لأننا لم نكن نعلم بحجم الفجيعة حتى الآن .. اللهم إلا أخبارًا متفرقة عن انسحاب الجيش المصرى .. وكنا نستعجل العودة متوهمين أننا سنشارك فى المعارك الدائرة فى سيناء. ولكن بمجرد رسوّ المركب على رصيف الميناء بالإسكندرية .. ثم تحركنا إلى القطار الذى سيقلنا إلى أنشاص حيث معسكرات الصاعقة .. شعرنا بحجم الهزيمة التى لحقت بنا وأن القتال توقف فى الحد الفاصل وهو قناة السويس .. رغم أننا سمعنا من قبل قبول مصر قرار وقف إطلاق النار .. إلا أن قلوبنا كانت لا تصدق ذلك .. أو أنه لأيام .. وأكيد سنعاود الاستمرار فى القتال .. أو أن ذلك للخداع ثم سنعاود.

لكننا شعرنا بخيبة الأمل فى وجوه كل من قابلناهم فى طريقنا من الميناء حتى القطار والذى كان بداخل منطقة الميناء .. شعرنا به دون أن ينطق أى منهم كلمة – وحتى ونحن راكبون القطار المتجه إلى القاهرة ثم أنشاص .. ورغم سرعة القطار إلا أن شعورنا وكأننا نسير خطوة جنائزية بطيئة على مارش الوداع المخصص للجنائز.

ووصلنا مقر قوات الصاعقة بأنشاص لنتقابل مع أقرنائنا من قوات الصاعقة .. ورغم أننا كنا آلاف مؤلفه .. لكن شعورى

كان يشبه وكأن معسكرات الصاعقة صوان جنائزى كبير – ومن العادة أن العزاء بالصوان هناك مفجوع واحد ومعزيين ولكن أول مرة أشعر أن الكل المفجوع ولا معزيين خاصة أن هذه الآلاف من قوات الصاعقة لم تأخذ الفرصة للاشتراك فى المعركة .. إلا حالات نادرة وتعتبر فردية أو بمجموعات صغيرة جدًا .. وكنا نحتضن بعضننا البعض لنرمى همنا الجاثم فوق صدورنا أو نحمل هموم البعض منا .. وهناك رغبة فى أن تطول الفترة .. فماذا سأقول لأخواتى أو أمى أو زوجتى .. أو الجيران وتعمدت فى هذا اليوم بالعودة للمنزل بالعباسية بعد حلول الظلام .. حتى لا أقابل على الأقل الجيران وأهل الحى. ودخلت المنزل لنتبادل الأحضان .. وكان أخى (هشام) والذى كان ضمن قوات الصاعقة قد سبقنى بساعات وأخبرهم بمجيئى.

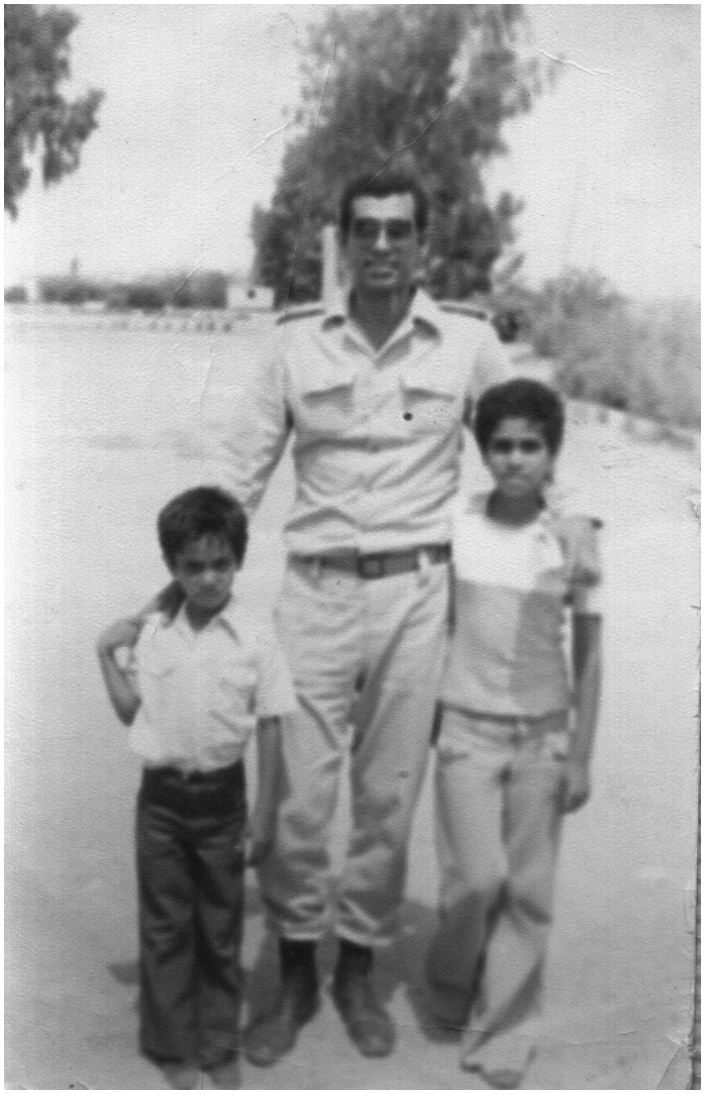

مع أبنائى محمد وإسلام

لأن أسرتى كباقى الأسر .. والتى سمعت اسم أبنائهم فى إذاعة إسرائيل .. أنهم ضمن القتلى – وكان ذلك نتيجة كشوف الأسماء التى استولوا عليها من مركز القيادة برام الله .. وكان ذلك ضمن الحرب النفسية لإسرائيل. وكانت زوجتى والتى تركتها فى 1967/5/30 وكان المفروض أن تلد مولودنا الأول خلال أسبوعين لم تلد حتى الآن .. وفى الصباح الباكر لليوم التالى جاءها المخاض لتلد ابننا الأول (محمد) .. ورغم أن أخى الأكبر والأصغر لقبوا أبناءهم نفس الاسم إلا أننى سميت ابنى نفس الاسم .. وهو اسم والدى – وكان هذا من تقاليد العائلة .. أو معظم العائلات فى هذا العصر .. عصر الأصالة.

فى هذا اليوم بعد أن أوصلت زوجتى ومعها أمى إلى مستشفى غمرة العسكرى للولادة .. ذهبت إلى مدرسة الصاعقة بإنشاص .. وعندما علم قائد المدرسة من زملائى أن زوجتى بالمستشفى للولادة .. أمرنى بمغادرة المعسكر للاطمئنان على زوجتى وكان ذلك يوم 1967/5/22.

وعشنا كقوات صاعقة كباقى القوات المسلحة فى حالة استكمال للأفراد والسلاح والتدريب .. وكأننا سنقاتل غدا .. وإن كانت قوات الصاعقة معدومة الخسائر تقريبا لأنها لم تأخذ أى فرصة للاشتراك فى المعركة وحياتنا المدنية منحصرة فى اللقاءات الاجتماعية فى المناسبات .. ورغم أنها مناسبات سعيدة سواء من أعياد ميلاد أو ولادة أو زواج .. إلا أن الابتسامة اختفت وإن ظهرت فلا معنى لها .. وإن

كان هناك ضحك فإننى كنت أشعر به كهستريا أكثر منها ضحكات .. وكان ينتهى بنا الأحاديث إلى تحليل لمعركة 67 .. وقد ينتهى بورقة وقلم ووضع الخطط العسكرية خاصة إذا كان المجتمعون بينهم أكثر من رجل عسكرى – بل إنى شاهدت ذلك فى أشخاص مدنيين بالقهاوى فى المدن .. وعلى المصاطب بالقرى .. بل بين الناس فى المصايف – الكل رافض .. وقد تمثلت ذروة هذا الرفض وهذا الشعور .. عندما خرج شعب مصر عن بكرة أبيه فى المدن والقرى بدون اتفاق .. لتهتف (سنحارب) .. عندما أعلن عبد الناصر تنحيه عن الحكم – كنت أحس بصدق هذا الوعد يوم بعد يوم من خلال مشاعر الشعب المصرى وتصرفاته .. ولا تعلم هل هذا الشعار أو الصراخ إن أردت أن تسميه .. هو نداء لعبد الناصر بألا يتركنا .. أم أننا سنحارب سواء كنت أو لم تكن .. أو هو تحدى للعدو الذى لم يتغلب علينا حيث كان عبد الناصر رمزًا للصمود والنصر .. وكان إسقاطه وإسقاط النظام المصرى هو أهم وأول الأهداف لهذه المعركة .. والتى ثبت بعد ذلك أن المعركة كان مُعد لها سواء أقدمنا نحن عليها أو لم نقدم .. والتى دلت عليها كافة الوثائق الدولية .. وقد خطط لها لكى يبدو أن النظام المصرى هو الذى بدأ .. والتقط النظام المصرى الطعم والذى شاركت فيه دول كبرى .. وعندما لم نبدأ بالهجوم .. بدأ العدو بالسير فيما خطط له.

فـى أعقـاب رجـوع (ناصـر) عـن التنحـى وعودتـه للحكـم .. بـدأت الخلافـات والصـراع بـين (ناصـر) والمشـير (عـامر) تأخذ فى الحدة .. والتى انتهت بانتحار المشير (عامر) والذى اختلفت فيه الأقاويل هل هو انتحر أم استنحر .. والذى فقدت الصـاعقة جـراء هـذا الصـراع مجموعـة مـن اكفـأ ضـباط الصـاعقة ورمـوزها أمثـال جـلال الهـريدى وأحمد عبد الله وفاروق شكرى وعبد اللطيف البسيوني ومختـار الفـار وعلـى عثمان وسعيد عثمان .. وغيـرهم ممـن اتصـل بالمشير عـامر والـذى زُج بهـم فـى السـجون دون جـرم يـذكر .. غيـر أن (جلال الهريدى) و(أحمد عبد الله) اتصلوا بالمشير كنـوع من الوفاء .. أو المؤازرة .. والتـى أرى أنهـا لا تستحق كل هذه الإهانـات بمثل هذه الرمـوز .. وخاصـة أن مصـر كانـت فـى أشد الحاجة لكل يد تحمل السلاح .. وهى ليست كأى أيدى .. ففـى سـابقة لـم تشـهدها القـوات المسـلحة مـن قبـل تـم التنكيـل بهؤلاء الضباط بالسجن الحربـى من ضـباط المفروض منهم أنهم زملاؤهم وعلى رأسهم العميد (إبراهيم سلامه) و(زاهر بسيونى) و(حمزة البسيونى) وغيرهم .. بل وصل الأمـر إلـى إشراك صـف ضـباط فـى التنكيـل بهم أمثـال صـفوت الروبـى وغيره .. والتى انتهـت حيـاتهم بمـا يقـال .. اللهم لا شماتة .. بل إن الذين تسببوا فى ذلك بشكل غير مباشر لحقوا بهم بعد عدة سنوات قليلـة بضـباط الصـاعقة فـى سجن أبـو زعبـل .. ولا أحـب أن أذكـر أسـماءهم هنـا لأنهـم أدوا خـدمات جليلـة لمصر .. أمثال الفريق أول (محمد فوزى) .. الذى لـولاه لمـا

تم إعادة بناء الجيش المصرى بهذه السرعة وهذه الكفاءة، لما تميز به من حزم .. وحكمة – إلا أن قوته والتى كانت مطلوبة لإعادة بناء الجيش .. أفقدت الروح المعنوية للأفراد – وكأن القدر كان على ميعاد لبعث الروح المعنوية فى الجيش بتولى الفريق (محمد صادق) وزارة الحربية .. والذى كانت تهمه المعنويات قبل كل شىء .. فهى إرادة الله لخير مصر لبناء الجيش ماديا ومعنويا ليوم الحسم فى أكتوبر 1973.

وقد قلت عن سابقة إهانه الضباط بالسجن الحربى لم يكن لها وجود فى الجيش المصرى .. فإذا ما قورنت بوقفة عرابى وزملائه أمام خديوى مصر .. ومحاربة جيش عرابى أمام قوات الاحتلال فى معارك انتهت بمعركة التل الكبير والتى هزم فيها عرابى نتيجة خيانة الاميرلاى (خنفس باشا) وبعض البدو والتى كانت ضمن قوات عرابى فإن قوات الاحتلال لم تنكل بهم .. بل تم نفى الزعيم .. عرابى إلى جزيرة سيشل وسبب ذلك النفى نشر الإسلام بالجزيرة .. و(أحمد باشا عبد الغفار) إلى لبنان .. و(سامى باشا البارودى) .. الذى رفض الاستسلام وتسليم سيفه إلى قوات الاحتلال .. وقال أنا فى منزلى ولا أذهب لتسليم سيفى .. إلى أن تم القبض عليه ونزع سيفه وتم نفيه – ولم ينكل بهم ولا بمن كان معهم.

وأذكر أن رفيقى وزميلى الحميم (مختار الفار) تعمد بعد أحدى طوابير الرياضة الصباحية أخذنى إلى تراك ملعب

كره القدم بوحدات الصاعقة .. ليعرض على أن أنضم إليهم وقال لى أنا عرضت فكرة انضمامك على المقدم (أحمد عبد الله) لكنه رفض وقال له (أحمد عبد الله) سأذكر لك الأسباب بعدين .. لكن (مختار) قال لى أنا مُصر أقولك لتنضم لثقتى فيك ..

(ولكنى قلت له يا مختار أنا لا أحمل السلاح إلا لسببين .. أما فى وجه العدو لتحرير مصر .. أو فى وجه من يستسلم لإنهاء الحرب .. وعبد الناصر لم يستسلم ولم ينه الحرب).

منظمة سيناء

فى أعقاب رجوع عبد الناصر عن التنحى وحادثة المشير (عامر) – أنشئت القوات الخاصة بقيادة (سعد الشاذلى) بعد انضمام كل من قوات المظلات وقوات الصاعقة تحت قيادة واحدة .. وكانت قوات الصاعقة تنفرد بأنها تضم ضباطًا من كافة الأسلحة وقد تم حجزهم لكفاءتهم أثناء فرق الصاعقة المتعاقبة .. فصدر قرار بأن يرجع كل ضابط إلى سلاحه عدا ضباط المشاة .. ومن يرغب فعليه أن يكتب طلباً لتحويله إلى سلاح المشاة.

بعض الضباط فضلوا الرجوع إلى أسلحتهم .. ورغم اعتزازى بالصاعقة .. لكنى أيضا كنت فخورًا بسلاحى وهو سلاح المدفعية لأنه السلاح الذى علمنى أصول العسكرية وكرامتها .. واعتقد أننا كضباط مدفعية بسلاح الصاعقة وكنا أكثر من عشرين ضابطًا قد أضفنا الكثير من تقاليد سلاح المدفعية إلى وحدات الصاعقة .. وكان اعتراضى على التحول إلى سلاح المشاة .. قيمتى كمقاتل ليس المهم أن أحمل شارة الصاعقة وهو النسر أو شارة المدفعية وهى الشرابنل .. وبالتالى كانت مجادلتى فى أن أخدم بالصاعقة وأنا أحمل الشرابنل .. ولكن الأوامر العسكرية هى الأوامر. فتم نقلى إلى مدفعية المظلات ضمن القوات الخاصة المُشكلة حديثا بقيادة اللواء (سعد الشاذلى) – وكان على أن ارتدى برية المظلات (القرمزى) بدلا من باريه الصاعقة الزيتى ذو الخط الأحمر وللمرة الثانية ارفض. وقد أخذ هذا الموضوع

شهور قليلة كنت أثناءها دائما أطلب مقابلة اللواء (سعد الشاذلى) .. وفى كل مرة أقول له إننا كضباط صاعقة يجب أن نقوم بعمليات خلف الخطوط .. وكان صبورا على كثيرًا ولكنه كان يرفض كلامى ويقول مش وقته .. ومش عايز بلبلة – ولكنه رأى أخيرا أن يتخلص منى بأن أصدر خطابًا بنقلى من القوات الخاصة إلى الكلية الحربية كمعلم.

لكن ما حدث خلال هذه الأشهر أمر آخر وتزامن نقلى إلى الكلية الحربية مع توقيت اللواء (محمد صادق) لإلحاقى بالمخابرات الحربية للعمل الخاص خلف الخطوط كان لذلك قصة أحب أن أرويها.

كنت كمعظم الضباط وخاصة ضباط الصاعقة الرافضين للسكينة دون العمل الإيجابى ضد العدو. ولكنى قد أكون أكثر إيجابية .. أو أكثر شرودا عن الخط الطبيعى لكى أصل إلى ما فى داخلى .. وهو العمل الفورى ضد العدو.

كنت فى أثناء ذلك أتابع الصحفى وجيه أبو ذكرى بجريدة الإخبار .. وكان دائم الكتابة عن المنظمات الفلسطينية ونشاطهم ضد العدو – وفى أحد الأيام توجهت إلى جريدة الأخبار .. وسألت عن (وجيه أبو ذكرى) .. وقادنى أحد السعاة إلى مكتبه وكان فى صالة كبيرة بها عدة مكاتب يجلس خلفها الصحفيون. وكان يجلس حول مكتبه .. الصحفى (محمد يوسف) والصحفى (حامد زيدان) وفتاة هى الصحفية المشهورة حاليا باسم (صافى) وهى (صافيناز

كاظم) وكانت ترتدى فستانًا أسود ذات شعر مسترسل بدون تصفيف .. وعرفت فيما بعد أنها رغم مرور شهور طويلة إلا أنها ترتدى السواد حتى نأخذ بثأرنا من العدو. المهم .. بعد أن سلمت على الجميع وعرفت نفسى .. ورحبوا بى خاصة أنى قدمت نفسى كضابط .. ومن هنا بدأت أسئلة كثيرة.

وبعد فترة ليست بالوجيزة انتقلت إلى جانب وجيه وقلت له أنا عايزك فى كلمة .. فانسحب الجالسون فى هدوء .. قلت لـ(وجيه) بصوت خافت .. من كتاباتك عن المنظمات الفلسطينية شعرت أن لك علاقة كويسة بهم .. ونحن مجموعة من الضباط لم نتمكن من الانضمام لفتح وإحنا فى الأردن .. فهل من الممكن أن تعرفنى بأحد هذه المنظمات للانضمام إليهم والقتال ضمن صفوفهم .. وأنت شايف إن هنا فى مصر رافضين على أساس أننا فى مرحلة استعداد .. فنظر إلى (وجيه) وقال .. فى اللحظة دى بس حسيت أن ولاد مصر لسه بخير ووافق على الذهاب معى إلى منظمة فلسطينية موجودة فى شارع شامبليون وسط البلد وتواعدنا فى اليوم التالى ومررت عليه فى بيته بمصر الجديدة والذى كان يقطنه آنذاك .. وكان يسكن قريباً منى – وتوجهنا للمنظمة وقابلنا المناضل (أحمد جبريل) وكان معه اثنان من الفلسطينيين. عرفتهم بنفسى وعرضت عليهم الأمر بأنى ومعى عدد كبير من الضباط .. ووجدت أغرب رد لم أكن أتوقعه .. حيث قال أحد الجالسين بالنص (والله يا أخى .. هذا

مـا وقـت للمـؤامرات .. طيـب ولـيش مـا تعملـوا زينـا منظمـة وتحـاربوا فـى سـيناء) .. ظنـا منـه أننـا مدسوسـون مـن قبـل المخابرات عليهم .. فوجئت أنا و(وجيه) بهذا الرد .. وتركنـا المجلس – وعند عودتنا ورغم غضبنا وخيبـة أملنـا .. قررنـا ونحـن عائـدون فـى الطريـق وأنـا أقـود سـيارتى إلـى مصـر الجديدة – أن نقوم بتكوين منظمة.

وفى أثناء عودتنا .. ومـع حمـاس الشـباب الـذين لـم يتجـاوزوا الثلاثـين عامًـا .. والفكـر الثـورى الـذى يجمعنـا .. وقلوبنـا المعجونة بـالكره للإسـرائيليين والرغبـة فـى اسـترداد الكرامـة – اتفقنا على أن نسمى المنظمة منظمة سيناء العربية.

وبدأت الاتصال بالضباط وبعض الصف ضباط الراغبين فى الانضمام إلى المنظمة وكان هذا يتطلب السرية والحذر فـى من اتصل به .. وكنت أضم من يريد الانضمام علـى فتـرات وبحـذر شـديد .. وقـد تمكنـت مـن تجميـع عـدد مـن الضـباط والصف ضباط لا بـأس بـه – وكـان لابـد مـن الاتصـال ببـدو سـيناء وبالـذات بـدو جنـوب سـيناء .. والتـى أعـرف دروبهـا جيدًا ومسـالكها .. كمـا أنهـا منطقـة جبليـة يسـهل الاختفـاء بهـا والتعايش وسط كهوفها وجبالها – وأحضرت الخرائط لأحدد أماكن التمركز .. وفى ميدان الضـاهر بالقـاهرة حيـث كنيسـة سانت كاترين وهى المقر لكنيسـة دير سـانت كـاترين بجنـوب سـيناء .. حيـث هنـاك قهـوة بلـدى بجانبهـا وكانـت مقـرًا لبـدو جنـوب سـيناء وخاصـة قبيلـة الجباليـة والتـى تسـكن منطقـة ســانت كـاترين بجنـوب ســيناء حيـث جبـال موســى وجبـل

المناجاة وجبل كاترين وقصر عباس وغيرها من الجبال التى تصل ارتفاعها إلى آلفين وثلاثة آلاف متر وهى جبال وعرة.
كما استغللت صلتى بأحد جنود السجن الحربى وكان بلدياتى .. وبدأت بالاتصال بضباط الصاعقة المسجونين بالسجن الحربى فى قضية المشير عامر .. وبالأخص زميلى (مختار الفار) وعرضت على الضباط عن طريق مختار خطة لتمكنهم من الهرب ووضعت خطة لذلك على أساس أن معظمهم من خبراء منطقة جنوب سيناء أمثال الرائد (سعيد عثمان) و(مختار) .. وبالتأكيد أن منهم من سيرغب فى الانضمام للمنظمة – ولكن مختار أبلغنى بعدم الرغبة فى الهروب خوفا على من المغامرة فى حالة هروبهم وبالطبع لم أبلغ أحدًا منهم عن المنظمة. كما اتصلت بشاب وتعرفت عليه وتحمس للفكرة .. وكان يعمل موظفًا بمحافظة سيناء فى العلاقات العامة والتى كان مقرها حلميه الزيتون وكان يدعى (سعيد) .. وقد سهل لى الاتصال بمجموعة من شباب بدو سيناء والموجودين سواء بالقاهرة أو بلبيس بالشرقية.
كل هذه التحركات كان يرافقنى فى تنظيمها زميلى والذى جمعنا الحماس وهو (وجيه أبو ذكرى) وفى بعض الأحيان كان ينضم إلينا صحفى آخر بأخبار اليوم اسمه (حامد زيدان) .. وكانت كل مقابلاتنا .. إما بالقهوة بالضاهر أو كازينو بشارع رمسيس أسمه كازينو مصر والسودان .. بجوار ضريح (أحمد ماهر) بالعباسية .. وقد تم بناء

مستشفى حاليا مكانه. وكان الاتفاق بينى وبين وجيه على أنه سيتولى وهو فى القاهرة مؤازرتنا عندما نستقر بجنوب سيناء إعلاميا وماديا حيث اتفقنا على بيع كل منا سيارته لتمويل هذه العملية بصفة مبدئية. وفى الخطوات الأخيرة وعندما اتصلت ببعض المشايخ وخاصة شيخ قبيلة المزينة ويدعى الشيخ (بريك) والشيخ (المغبش) عن طريق ابنه (عيد المغبش) والذى كان بالقاهرة فى فترة وجيزة والشيخ (سليمان مدخل) شيخ قبيلة العليقات – وجدت إن الجميع أشار على بضرورة الاتصال بشيخ مشايخ سيناء وهو الشيخ (عيد أبو جرير) والموجود بجزيرة (الطحاوية) بجوار مدينة (الحسنية) بفاقوس شرقية وكان ذلك هو النظام القبلى لسيناء عبارة عن مشايخ ويعلو عليهم شيخ المشايخ .. وهؤلاء يشكلون الرموز .. الذى للأسف أفسده النظام الأمنى مؤخرا عندما تولت الشرطة الأمن بسيناء فى العقد الأخير من القرن العشرين.

تحركت أنا و(وجيه) وصحبت معى صديقى ببلدتى الأستاذ (أحمد واكد) وهو صديق الطفولة .. لما له دراية بمنطقة الحسنيه للذهاب إلى مقابلة الشيخ (عيد أبو جرير).

وعندما وصلنا إلى المنطقة التى يقطن بها الشيخ (عيد) .. وهى منطقة صحراوية بجانب بلدة الحسينة .. وكانت عبارة عن مضرب خيام وبها بيت الشيخ وهو الوحيد المبنى بالطوب اللبن ومسقف بالخشب والجريد وكان بجانبه مقعد عربى عبارة عن مسطبة طويلة حوالى 20 متر عليها بطول

المصطبة مظلة بالخشب والجريد (جريد النخل) وكان بطول المصطبة يجلس عليها البدو .. والشيخ عيد يجلس فى الصدارة على مصطبة صغيرة متصلة بالمصطبة الأصلية .. وهذه المنطقة يؤمها كل البدو والنازحين من سيناء سواء بصفة متصلة أو مؤقتة.

جلسنا فى آخر المصطبة وكان الجالسون يتحركون واحدًا تلو الأخر فى اتجاه الشيخ عيد .. ويتكلم معه عن مشكلته .. فيضع يده على رأس الشاكى ويقرأ بعض الآيات أو يضع مسبحته فى الشاى ويشرب الضيف الشاى .. وغيره من أمور التبرك مع الشيخ.

وبعد أن تكلم مع اثنين أو ثلاثة .. وجدت الشيخ قد قام وسار فى اتجاهنا .. حيث كنا نحن الأفندية الوحيدين ثم أشار إلينا لكى نتبعه إلى مكان بعيد قليلاً – وارتكز على الأرض وقمت أنا ووجيه بتقليده فى الارتكاز .. وقال طلباتكم – فسردت له كافة التفاصيل وما ننوى عمله وعن اسم المنظمة .. ونظر لى نظرة طويلة وكأنه كان يقرأ أشياء كثيرة .. أو كأنه يمارس فراسته البدوية فى كلامى .. ثم قال .. فى لواء وطنى وشجاع أسمه محمد صادق أعرض عليه الكلام .. وأكيد سوف يأخذ الكلام ده موضع جاد ويساعدكم .. فقلت له وقد أصابنى خيبة أمل .. أنت تعلم أن اللواء (محمد صادق) ده هو مدير المخابرات الحربية – فقال أنا عارف .. وعارف وطنيته كويس – ثم عاود الصمت والتفرس فى وجهى مره أخرى ليقرأ انفعالاتى غير مرحبة بكلامه ..

حيث قلت له ده ممكن لو عرف يقبض علينا – فقال مش ضرورى تقوله على كل حاجة ثم عاود وقال .. شوف يابنى لو رفض صدقنى حكون قبل منكم ومعاكم فى سيناء ثم وقفنا وحضننى وهو يردد .. حكون قبل منكم وتعانقنا وفى مشهد حماسى غير مألوف وضعنا يدنا فى يد بعض وحاول كل منا أن يقبل يد الآخر. لكنى لا أعلم لماذا تحمست بعدها لما قاله .. وأخذت الموضوع كأنه إلهام إلهى أوحى به الله له .. قد يكون تأثيرًا لما شاهدته منه فى المجلس مع البدو. وفى أثناء عودتنا تشاورت أنا ووجيه فيما سنفعله .. وقررنا أن نقوم بهذه المغامرة غير محسوبة .. وكان لها احتمالان لا ثالث لهما – وهى إما أن يتبنى اللواء (صادق) هذا العمل وأما أن يتم القبض علينا وإيداعنا فى السجن .. فقررنا أن أقوم بالذهاب للواء (صادق) لمقابلته بإدارة المخابرات الحربية.

المخابرات الحربية

فى اليوم التالى توجهت إلى إدارة المخابرات الحربية بشارع الثورة بمصر الجديدة .. وتوجهت إلى مكتب اللواء (محمد صادق) .. ودخلت إلى مكتب سكرتيره وهو المقدم (محمد قناوى) .. وكان المكتب يعج بضباط برتب كبيرة ومدنيين .. كلهم فى انتظار مقابلة اللواء صادق. وقلت للمقدم (قناوى) مدعيا أن اللواء (صادق) طالبنى وأنا حضرت حسب الميعاد وذلك بعد أن قدمت له نفسى وإنى من ضباط الصاعقة برتبة نقيب .. والغريب أنه لم يكتب اسمى فى ورقة كالعادة لتقديمها للواء (صادق) .. بل دخل مباشرة وأخبر اللواء (صادق) والذى قال لى المقدم (قناوى) مشاورًا أن أدخل – وكان ذلك دون انتظار دورى فى الدخول.

أديت التحية للواء (صادق) .. وبعد أن فردت الخريطة التى كانت معى لجنوب سيناء – وشرحت له خطة العمل فى سيناء خلف خطوط العدو متحفظًا على ذكر أى أسماء ممن تتكون منهم المنظمة سواء عسكرى أو مدنى – إلا أننى ذكرت أن معظم ضباط الصاعقة اللى فى السجن الحربى هم أكفأ الناس بمعرفة جبال سيناء – وهنا قاطعنى بحده وقال خليك فى نفسك .. فأكملت له الشرح .. ونظر إلى وقال كويس إنك حضرت بنفسك وتشرح لى الكلام ده .. بدل ما كان حينقبض عليك ثم أسرد تعرف تدخل جنوب سيناء وتكتشف لنا فين المطار اللى بتطلع منه طائرات الميراج اللى بتهدد طائراتنا الميج 17 اللى موجودة فى مطار

(الغردقة) .. لأن المعلومات أن مطار شرم الشيخ بتاعنا ومطار (الطور) لا يعملان .. وعلى فكرة فى اثنين ضباط دخلوا قبل منك ووقعوا فى الأسر .. وهو الملازم أول (بهجت خضير) والملازم أول (رأفت جمعه) – فقلت له ما فيش غير ثلاث أماكن تصلح أنها تكون مطارات وهى (سهل الراحة) بمنطقة (كاترين) و(رأس نصرانى) وهى شمال شرم الشيخ بحوالى 20 كم ومنطقة (وادى نبق) شمال رأس نصرانى .. فقال المعلومات المؤكدة أنه لا يوجد مطار بمنطقة كاترين وبشكل عفوى أخرجت من جيبى علبه سجائرى من النوع الصغير (البوكس) وكانت تحمل عشر سجائر وكان بها سجارتين أو ثلاثة وضعتهم فى جيبى وفردت العلبة وتناولت قلم من المكتب ورسمت جنوب سيناء فى شكل مثلث .. وقلت له ممكن يا فندم أخرج من الغردقة ثم اتجه بحرًا إلى منطقة (رأس جاره) بسيناء ثم الدخول فى وادى (تعالبى) ثم إلى جبل (الجعيدة الكبير) والذى يطل على منطقة (رأس نصرانى) لرصد المطار وتصويره إن وجد – وإن لم أجده فسوف أتحرك إلى (وادى نبق) لاستطلاع المنطقة. تناول منى اللواء (صادق) ما كتبته وكان وقتها قد ترك المكتب وجلس أمامى على الكرسى وبيننا ترابيزة صغيرة وأمسك بقلم أحمر وأشر تأشيرة غريبة على نفس الورقة (همجى .. تصدق) ووقع عليها. ثم استمر فى الكلام .. على فكرة اللواء (الشاذلى) أصدر أمر بنقلك من الصاعقة إلى الكلية الحربية .. استلم الجواب وتيجى هنا علشان تلتحق

على المخابرات الحربية. ثم اتصل تليفونيا بمكتب مخابرات السويس وكان قائده العقيد (بشير) وكان يشرف على الغردقة حيث إنه لا يوجد مكتب للمخابرات بالغردقة حتى الآن .. وأخبره أنى سوف أحضر له وعلى المكتب أن يتولى دفعى لاستطلاع منطقة رأس نصرانى .. ثم التفت لى وقال بعد ما ترجع نبقى نشوف موضوع منظمة سيناء. فأديت التحية وسلم على باليد .. وقال على فكرة (وجيه) بتاعك ده (ويقصد زميلى وجيه أبو ذكرى) أنا حبعته يشتغل فى الكويت بدل ما أقبض عليه – وهنا تأكدت أن جميع تحركاتنا كانت مرصودة .. وهنا تذكرت كلامه فى أول المقابلة (كويس أنك جيت برجليك .. بدل ما أقبض عليك) .. وهنا عرفت سر دخولى مكتبه فى غير دورى.

وخرجت من مكتبه وأنا لا أصدق نفسى وأحسست أنى وضعت قدمى على أول طريق لتحقيق أحلامى .. وهو العمل ضد العدو خلف خطوطه وفى العمق وتذكرت كلام الشيخ عيد أبو جرير .. وهنا أيقنت أنه فعلا كلام رجل ملهم .. وأخبرت (وجيه) بما تم بينى وبين اللواء (صادق) وتوجهت فى اليوم التالى إلى قيادة الصاعقة .. حيث تسلمت بعد عدة أيام خطاب نقلى إلى الكلية الحربية – فتوجهت به إلى المخابرات الحربية وتم إلحاقى بالمخابرات الحربية فرع الخدمة الخاصة.

قدمت نفسى إلى العقيد فائق صادق رئيس فرع الخدمة الخاصة .. وبعد عدة أيام توجهت إلى مكتب مخابرات

السويس حيث قابلت العقيد فاروق بشير قائد المكتب والرائد (يحيى شبايك) وهو أحدى أعضاء المكتب والمسئول عن التشغيل ودفع المأموريات خلف الخطوط إلا أنى وجدت منهم تخوفًا من دفعى خلف الخطوط حاليا .. وذلك نتيجة أنهم لم يوفقوا فى مأموريتين سابقتين إلى جنوب سيناء حيث تم أسر الضابطين وهما الملازم أول (بهجت خضير) والملازم أول (رأفت جمعة) .. واللذين تم استبدالهما بأحد الأسرى الإسرائيليين المحتجزين بمصر. وطلبوا منى أن أرجع إليهم بعد أسبوع .. وفعلا رجعت إلى القاهرة لأخبر اللواء (صادق) بذلك – ولكنى فوجئت بعد عدة أيام بأن العقيد فائق استدعانى إلى مكتبه وكان يجلس عنده رائد يدعى (عاشور) .. وكان أمامهم خريطة لتلقينى بمأمورية فى شمال سيناء .. وكانت عبارة عن التحرك بين مضيقى (متلا) و(الجدى) والهدف هو أن أتمم على أعمال مجموعاتنا المزروعة خلف خطوط العدو .. وشعرت وقتها بضحالة الهدف والفكرة والتخطيط – وكان عندى الشجاعة الكافية للرفض وإبداء الرأى وهو أني أريد أن أعمل عمل إيجابيًا .. لا أن أقوم بدور وسيط أو دور المفتش على أعمال سلبية خلف الخطوط .. وقد اعتبرته تفكيرًا غريبًا لرجل مخابرات.
توجهت بعد أسبوع إلى مكتب مخابرات السويس .. ليخبرنى العقيد فاروق بشير أن الوقت حاليا غير مناسب وعلى أن أرتد إلى القاهرة .. وأنه سوف يخبرنى فى الوقت المناسب.

فخرجت من مكتب السويس .. وقد قررت أن اتجه إلى الغردقة – حيث كنت على علم أن بالغردقة بعض المهجرين من جنوب سيناء .. وقد قررت أن أجند مندوبًا وأتولى بنفسى التخطيط والتحضير للعملية.

فبدأت مشوارى ظهرًا وكان معى الشاويش (محمد عبده موسى) وهو أحد أفراد الصاعقة المشهور له بالوطنية والجرأة وكنت قد طلبت أن يلحق معى من الصاعقة على أساس أن يخرج معى لعملية الاستطلاع أو أن أدفعه لكى يستطلع مطار (الطور) – وأتذكر حتى الآن رقم السيارة الجيب الروسى التى كنت أتحرك بها وهى (527 ملاكى السويس) وكان سائقها شاويش يدعى (جرجس) – وكان طريق السويس الغردقة ردئ السفلتة ومكسر فى معظم المناطق .. ووصلنا إلى الغردقة ليلاً بعد أن هاجمتنا الطائرات الإسرائيلية أكثر من مرة وكنا نتفاداها بالمراوغة فى الصحراء المنتشرة طوال الطريق. وهناك التقيت ببعض البدو والذين سبق لى معرفتهم أيام خدمتى بمنطقة جنوب سيناء عندما كنت معلمًا بجناح الجبال بالصاعقة وفرحت عندما أخبرونى أن قائدًا مكتب مخابرات الحدود هو المقدم (محمود فهمى) .. لمعرفتى الوطيدة به .. أيام خدمتى بجنوب سيناء وكان قائد لنفس المكتب بجنوب سيناء – وقد رحب بى وساعدنى فى تجهيز الدليل الذى سوف يرافقنى .. وكذلك مركب الصيد الذى سيقوم بعملية الإبرار والالتقاط بعد تنفيذ المهمة – وكان لا ينقصنى إلا التصديق على

الخطة من اللواء (محمد صادق) فسافرت فى اليوم التالى إلى القاهرة وقابلت اللواء (محمد صادق) .. وأطلعته على التخطيط فرحب بتعاون المقدم (محمود فهمى) وصدق على أن تتم العملية عن طريقه مادام مكتب مخابرات السويس يؤجل بدء العمل فى هذه المأمورية.

استطلاع منطقة رأس نصرانى
(العملية رجائى1)

العملية رجائى: سُميت بذلك عندما عدت من المأمورية من قبل اللواء (صادق) حيث كانت العملية (رجائى2) هى استطلاع مطار الطور والتى قام بها الرقيب (محمد عبده) .. والتى قمت بالتخطيط لها وتجهيزها ودفعه إلى منطقة الطور. كان علىّ أن أدبر المبلغ الذى سوف أجهز به إداريات الدورية وهى عبارة عن المأكولات المطلوبة واللبس البدوى حيث قمت بشراء جلباب وأخذت جاكت قديم من أخى الأكبر (سيد) واشتريت صندل من النوع الذى يرتديه البدو .. وكذلك مبلغًا مناسبًا سوف أعطيه للدليل لإعطائه لأهله للإنفاق منه خلال فترة المهمة وكان فى حدود خمسة وعشرين جنيهاً وكذلك عشرين جنيهًا أخرى لمركب الصيد عن ليلة الإسقاط وليلة الالتقاط – فقابلت شقيق صديقى المقرب لى وهو الرائد (عادل فؤاد) قائد مكتب بورسعيد والذى شارك فى إزعاج العدو بعدد هائل من العمليات الخاصة خلف الخطوط تجاوزت المائة عملية سواء من خلال مكتبه ببورسعيد أو مكتب مخابرات القنطرة التابع له وكان قائد مكتب القنطرة النقيب (مدحت مرسى) .. لقد كانوا أبطالا قاموا بأروع العمليات التى أوجعت العدو الإسرائيلى .. ولكن التاريخ نسيهم .. ولكن الله لن ينساهم.

شرحت للرائد عادل الأمر فصرف لى مبلغ ستين جنيهًا فحجزت مبلغ 40 جنيهًا لكل من الدليل والمركب الذى

سيقلنا وفصلت جلباب بيج سادة بمبلغ جنيه ونصف وصندل بخمسين قرشاً واشتريت معلبات من سردين وتونة ودقيق بمبلغ 6 جنيهات ولم أنسَ برطمان السمن البلدى والذى أحضرته من منزلى .. والذى أوصانى به البدوى (الدليل) وكذلك الدقيق والذى قام بصنع فطيرة منها أثناء الدورية على الحجر والتى كانت القطمة منها تشبعنا لعدة ساعات.

وقد تبقى معى اثنى عشر جنيهًا حيث قابلت الرائد عادل بعد عودتى لأرد له الباقى والذى أخبرنى أنه لا يمكن ردهم للخزنة مرة ثانية – الأمر الذى صار يؤرقنى لمدة طويلة وشعورى أنى مدين للجيش بهذا المبلغ لقد كنا فى هذا الجيل من العفة - وإن كنت صرفتهم .. بل أضفت عليهم من جيبى الخاص لخروج الدورية الثانية (رجائى2) وهى استطلاع مطار الطور.

سير العملية: فى إحدى ليالى الشتاء القارس عام 1968 تحركت من الغردقة وبصحبتى الدليل العربى (سليمان أبو سالم) والذى تعدى سن الخمسين بفترة وذلك فى أحد مراكب الصيد المتواجدة بالغردقة وكان ريس المركب شاب اسمه (حسين عايد) ومعه ميكانيكى للقارب – وقد قام بتجهيز المركب لهذه الرحلة رئيس شركة المصايد بالغردقة اسمه الأستاذ (محمد عوض) وهو بورسعيدى الأصل ومن العائلات التى هجرت من بلادها بسبب الحرب .. وقد كان له دور فيما بعد فى المشاركة فى الخدمة الوطنية للدوريات التى قامت من الغردقة وتوطدت الصداقة بعد ذلك بيننا

عندما خدمت بعد عدة سنوات بمكتب مخابرات الغردقة وقد لمست خدماته الجليلة للوطن والمساهمة للأعمال الحربية .. وقد تولى فيما بعد رئيس مجلس مدينة الغردقة ثم رئيس مجلس محلى البحر الأحمر لما تمتع به من شعبية بين أهل الغردقة. تحركنا من منطقة نائية من شمال مدينة الغردقة مباشرة وتسمى منطقة جبل أبو شعر (وهى الجونة الآن) بمركب الصيد إلى الجانب الشرقى لخليج السويس حيث تم إنزالنا بمنطقة (رأس جارة) وهى جنوب مدينة الطور بحوالى 40 كم تقريبا .. حيث توقف قارب الصيد قبل الشاطئ بحوالي 200 متر ونزلنا فى قارب صغير يسمى فيما بينهم (الدنجى) حيث رسى بنا على الشاطئ ثم رد بالدنجى مرة أخرى لقارب الصيد.

ولم أنسَ فى حياتى لحظة وصولى إلى الشاطئ .. وعندما رقدنا لاستطلاع الأرض أمامنا حيث لمست يدى رمال سيناء .. ووجدت نفسى أضع يدى والعالق فيها من الرمال على صدرى من خلال الجلباب ثم أدلك صدرى ورقبتى بتلك الرمال وبعد مسافة حوالى 1 كم وجدنا طريق الطور شرم الشيخ فعبرناه بطريقة معينة لكى نخفى أى أثر لأقدامنا .. وتحركنا إلى أن وصلنا إلى مدخل وادى تعالبى عند الفجر تقريبا .. وبحث الدليل الذى معى على مغارة بجانب بئر مياه كان على علم بها ومكثنا بتلك المغارة النهار كاملاً .. حيث كان مقررًا أن نسير ليلا ونختبئ بالنهار وكان على مقربة من المغارة مضيق (طريق رملى) .. كنا قد عبرناه بطريقة

تخفى أثر أقدامنا .. واتجاه السير – وفعلا عندما مرت داورية مكونه من عدد أثنين عربة جيب لاقتفاء أى أثر للأقدام .. وتوقفت فترة متشككة فى أن أحد قد مر من هنا .. ولكنها لم تهتدى لشىء .. وحمدنا الله أن طريقة عبورنا للمضيق كانت موفقة .. وكنت قد أعطيت قائد لنش الصيد (حسين عايد) دوباره .. وقلت له مع بداية كل نهار تعقد الدوبارة عقدة وفى العقدة التاسعة تحضر ليلا لالتقاطنا من نفس المكان عند منطقة (رأس جارة) .. حيث قدرت لخط السير أربعة أيام ذهاب وأربعة عودة ويوم احتياطى.

وفى الليلة الثانية تحركنا من وادى (تعالبى) إلى وادى (العاط الغربى) حيث أختبأنا طوال النهار .. وفى الليلة الثالثة تحركنا من وادى (العاط الغربى) إلى وادى (العاط الشرقى) من خلال نقب العاط (والنقب عبارة عن مكان خانق بين الجبلين) ولكن ما أن عبرنا نقب العاط ودخلنا فى وادى العاط الشرقى .. فوجئنا بخيمة على الجانب الأيسر وتبعد عن المدق بحوالى عشرة أمتار .. بجانبها أربعة جنود إسرائيليين حول راكية نار وبقرب المدق بخطوات جنديين يتحدثان مع بعضهما – وكنت أسير فى الأمام والشيخ سليمان خلفى مباشرة وكان القمر فى ليلة 14 وساطعاً .. فأستمريت فى السير بنفس الثبات .. ورغم الظلام إلا أننى أكاد المح بياض أعينهم .. وبنفس الثبات ألقيت السلام (شالوم) .. ولم يرد أحد منهم ولم التفت إليهم بعد أن عبرتهم .. ولكن فى خلال الخطوات حتي صرت بحزاهم .. كنت قد

أخرجت من جيب الجاكتة قنبلة يدوية كنت قد احتفظت بها عند تجهيزى حيث أنى أرفض فكرة الأسر وكنت أنوى أن أنزع التيلة لتنفجر فينا جميعاً فى حالة حدوث أى مشكلة .. ولكن مر الأمر بسلام واستمرينا فى السير عبر الوادى إلى نهايته ووصلنا نهاية منطقة جبال (العاط الغربى) وهى منطقة مرتفعة تطل من بعد علي خليج العقبة وكان المفروض أن نستمر فى السير إلى جبل الجعيدة والذى يطل على خليج (العاط) حيث منطقة (رأس نصرانى) .. والتى من المفروض أن نستطلع منها هل كان هناك مطار من عدمه. إلا أن الدليل أخبرنى أن المسافة طويلة وأن النهار سيطلع علينا ونحن فى أرض مكشوفة فمكثنا فى منطقة جبل (لعاط الغربى) على قمة جبل مرتفع داخل إحدى الخيران .. وعند طلوع النهار بعد ساعتين اكتشفت أن جبل (الجعيدة) قريب منا على مسافة مسيرة ساعة .. أى كان من الممكن الوصول إليه أثناء الليل لتنفيذ المهمة .. وهنا أحسست أن الدليل يخشى الاقتراب أكثر من ذلك .. والذى أكد لى ذلك أنه عندما تبادلنا كالعادة النوم والحراسة .. اكتشفت أنه فى أثناء حراسته ونومى أنه قد أفرغ المياه التى كانت معنا حتى أضطر للتصوير والاستطلاع من بعيد .. حيث أن مكوث يوم آخر سوف يعرضنا للعطش ثلاثة أيام بدون مياه .. وكانت إمكانيات الكاميرا التى معى لا تسمح بذلك والتصوير من هذا البعد .. وقد رأيت من هذه المسافة أن منطقة رأس نصرانى والمحيطة بخليج العاط بها مبانى مما يدل على أن

هناك مطارًا .. خاصة بعد أن شاهدت إقلاع وهبوط طائرات مقاتلة من هذه المنطقة وهنا قررت أن أقطع هذه المسافة المفتوحة إلي جبل (الجعيدة) فى عز النهار وكان قرارى هذا فى الساعة الواحدة ظهرًا .. وكانت المسافة حوالى 5 كم .. أى ممكن قطعها فى ساعة زمن .. ورفض الدليل هذه المخاطرة فذهبت وحدى حيث وصلت جبل الجعيدة فى الساعة الثانية والنصف لأراقب حركة المطار من بعد حوالى 1 كم تقريبًا .. وبدأت فى تصوير المطار وعمل بانوراما كاملة له وتصوير حركة هبوط وإقلاع الطائرات .. وفى وقت المغيب صورت

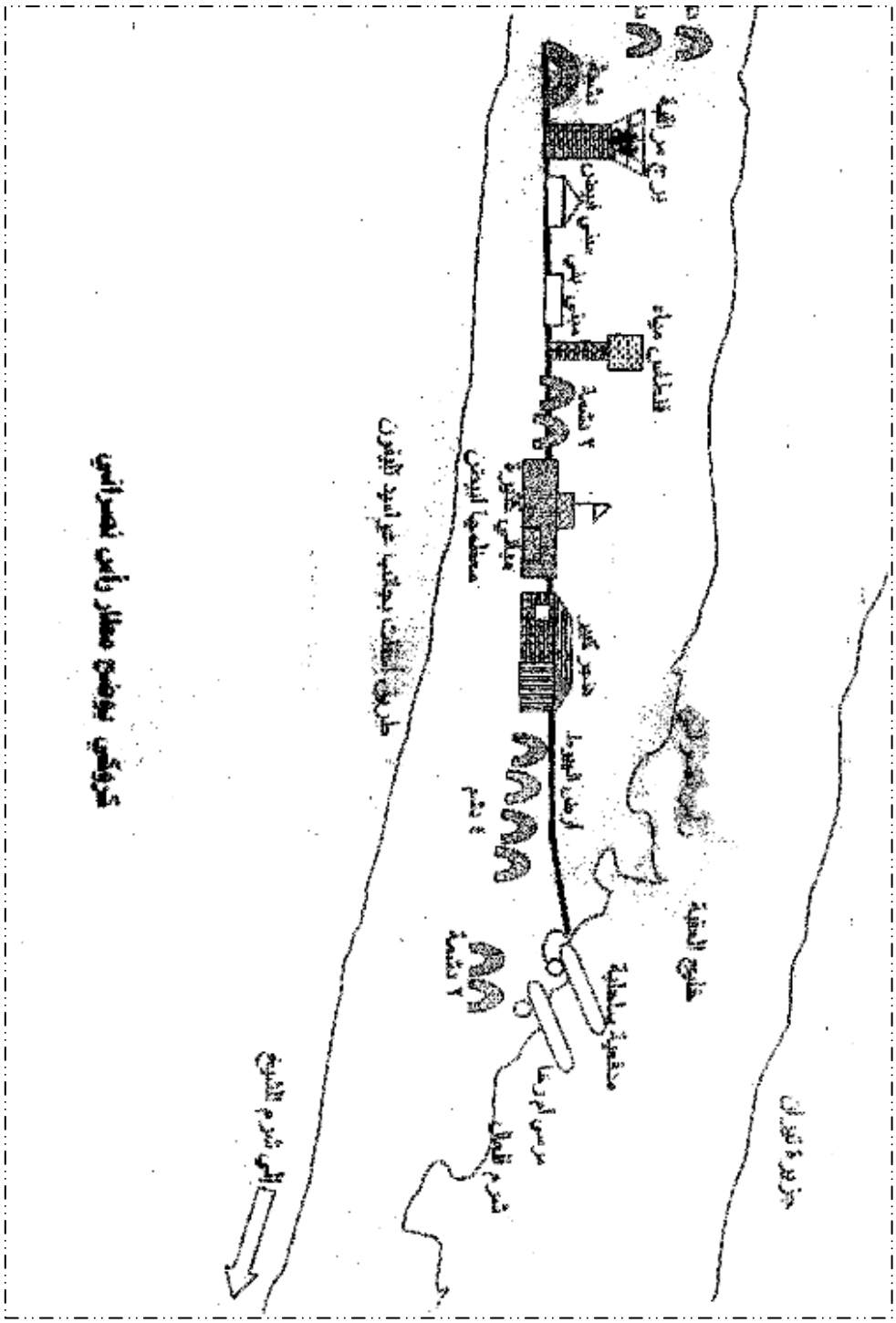
كوبري يوضح معلار رأس نصراني

سيارة مكروباص تحمل أفرادًا وتخرج بهم خارج المطار فى اتجاه شرم الشيخ والتى كانت تبعد حوالى 20 كم من المطار وعندما حل الليل عدت إلى مكان الدليل والذى قابلنى عند العودة فى منتصف الطريق بالصدفة .. حيث كان يسير على آثار أقدامى وكان على أن أواصل السير فى نفس الليلة للعودة عند نقطة البداية والتى تركناها منذ أربعة أيام .. وفى نفس الوقت يجب قطع العودة فى يومين بدلا من أربعة على الأكثر وذلك لعدم وجود نقطة مياه معنا – وبالتالى يجب السير نهارًا مجازفاً بعنصر الأمن .. كذلك قررت تغيير خط السير حيث تعرضنا لخيمة الحراسة الإسرائيلية عند نقب العاط .. كل هذه القرارات اتخذتها بعد نجاحى فى تصوير مطار رأس نصرانى بثلاثة أفلام والفيلم 36 صورة.

وفى أول ليلة للعودة لم أعتمد على الدليل وبدأت السير بالاتجاه العام باستخدام النجوم والجبال متجنبا الوديان .. ومن المعلوم أن السير فى الجبال ليلا فيه صعوبة ومجازفة – ومع بداية ظهور أول ضوء أخذنا راحة فى أحد المغارات لكى نعاود السير فى النهار .. ولكننا استيقظنا على صوت طائرة هليكوبتر تجوب الجبال وهنا أيقنت تماما أن الإسرائيليين شعروا بوجودنا وأنهم يبحثون عن أى تحركات بالمنطقة. وعندما هدأت حركة الهليكوبتر بدأنا فى السير نهارًا عبر الجبال وفى الاتجاه العام لأول مغارة كنا قد مكثنا بها والتي بها بئر مياه .. وعندما كنا نسمع صوت الطائرة الهليكوبتر كنا نعاود الاختفاء بين الصخور – واستمر الحال

علـى هـذا المنـوال طـول النهـار وأكملنـا السـير لـيلاً إلـى أن وصلنا إلى وادى تعالبى حيث المغارة الأولى وكـان علينـا أن نظل بها يومين بدون حراك حتى يأتى اليوم التاسع وهو يوم الالتقاط مع لنش الصيد.

لقد كان نشاط الهليوكبتر المعادى على أشده .. لدرجة أنه فى أحدى المرات وقفت الهليوكبتر محلقة علـى ارتفـاع موازى للمغـارة التـى نختبـأ بهـا .. ولكنهـا لـم ترانـا لأن الظلمـة داخـل المغارة تمنع الرؤية.

وقـد مـر اليومين فى انتظـار ميعاد اللنش بين القلق والملل .. لدرجـة أنه تربت صداقه بينـى وبـين بعض الفـئران الجبليـة الحمـراء .. فقـد كانـت فـى آخـر يـوم تأخـذ الطعـام مـن يـدى مباشرة.

ومـع العقدة التاسعة للدوبارة .. أى اليـوم التاسـع هبطنـا مـن الجبـل لـيلا إلـى الأرض المكشـوفة ولمسـافة 27 كـم حيـث منطقـة (رأس جـاره) المطلـة علـى خليج السـويس .. وعنـدما اقتربنا من المنطقة رأينا اللنش وكانت المفاجأة حيث شـاهدت تجمع ما يقرب 12 – 15 فردًا قبالة اللنش وسمعت أصـواتًا عالية .. فانتظرت فـى مكـانى وبـدأت فـى الاقتـراب مستخدما كـوديى الحشـائش .. عـلاوة علـى أن طبيعـة الأرض فـى هـذه المنطقة قرب الساحل بها مرتفع طولى رملى يشبه الجـدار .. إلـى أن وصـلت لمسـافة قريبـة جـدًا مـن هـذا التجمـع محـاولا سماع أصواتهم لمعرفة هل هم بـدو أم إسـرائيليين .. فسـمعت أن كـل المتكلمـين مـن البـدو .. وكـان صـوتهم العـالى فـى

محاولة لتوضيح ريس اللنش (حسين عايد) أنهم بدون أى عدو معهم .. وهناك ظهرت لهم وقابلونى بالأعناق وقال لى أحدهم أنا كنت عارف أنك موجود فى سيناء وذلك من أثر القدم اللى تركته على الرمال عند نزولى فى الذهاب .. وأنه يعلم أثر قدمى جيدًا أيام أن كنت شبه مقيم فى جنوب سيناء وقت أن كنت معلمًا بالمدرسة بجناح الجبال وكنا نتدرب فى جنوب سيناء .. المهم أنى طمأنت (حسين عايد) وأمرته بإرسال الدنجي لكى نستقله إلى اللنش.

وعندما غادرنا الشاطئ وبعد ساعة تقريبا شاهدت مركب إسرائيلى عن بعد وكانت زاوية ظهور القمر على سطح المياه تساعد على إظهار المركب الإسرائيلى .. فأمرت (حسين عايد) بإبطال موتور اللنش لعلمى أن حركة الموتور تجعلنا مكشوفين علي رادار مركب العدو .. وفعلا ضل العدو الطريق إلينا.

وبعد أن اطمأننت لذلك عاودنا التحرك فى اتجاه الغردقة .. وهنا أحب أن أذكر أن قائد اللنش (حسين عايد) أراد أن نتجه إلى جزر أبو طويلة القريبة من البر الغربى لخليج السويس .. وهى قريبة من جبل الزيت وذلك بعد أن ضل العدو طريقة إلينا .. وذلك لقربها والاختباء ضمن مراكب الصيد المصرية المنتشرة هناك – ولكنى رفضت بشدة .. ووصلت إلى استخدام العنف معه .. وفى صباح وصولنا للغردقة جاءت إشارة إلى مكتب مخابرات الحدود أن العدو هاجم الصيادين فى جزر أبو طويلة وأسر بعد الأفراد المشتبه فيهم

– وهنا حمدنا الله وأيقنت أن العدو كان فى ترصد لنا منذ أن قابلت العدو الإسرائيلى فوق الجبال عند نقب العاط .. وذلك بعد تحركات هيلوكبتر العدو ومراكب حراسته فى خليج السويس.

وفى نفس اليوم تحركت بالعربة الجيب رقم 527 ملاكى السويس إلى القاهرة حيث إدارة المخابرات الحربية – وهناك تم تحميض الأفلام التي قمت بتصويرها وكتبت تقريرى والذى قدمته للواء (محمد صادق) والذى أرسلنى بالتقرير إلى رئيس فرع المعلومات المقدم جمال بركات .. حيث شرحت له كل شىء .. وتحدد تماما أن العدو نقل مطاره إلى منطقة رأس نصرانى بدلا من مطار شرم الشيخ الذى سبق أن استولى عليه .. ويشرف هذا المطار على خليج العاط والذى استبدلوه باسم خليج نعمة .. وهذه قصة أخرى أحب أن أسردها .. حتى يعلم المسئولون مدى ما ننساق إليه من أخطاء أدبية وقومية .. وعسى أن تصحح الأجيال القادمة هذا الخطأ.

خليج العاط (نعمة)

كما ذكرت من قبل أن خط سير المهمة إلى مطار رأس نصرانى كان من منطقة رأس جارة على خليج السويس إلى وادى العاط الغربى ثم نقب العاط إلى وادى العاط الغربى .. إلى أن ينتهى عند خليج العاط بخليج العقبة واسم العاط يقال أنه نسبة إلى العاطى وهو الله .. وفى قول آخر نسبة إلى قبيلة بنى عطية الموجودة على الجهة المقابلة على الشاطئ السعودى بمدنية تبوك وهى أحد القبائل العربية الكبيرة.

إلا أن الإسرائيليين غيروا اسم العاط باسم نعمة .. ونعمة هذه لها قصة .. وهى أن بنى إسرائيل بقيادة (بن نون) وبعد وفاة سيدنا موسى .. قادهم (بن نون) إلى أرض الميعاد .. وكان العاصمة فى ذلك الوقت هى بلدة أريحا .. فضربوا خيامهم حول المدينة لرعى الأغنام وممارسة بعض الحرف مثل أى قبائل غجرية موجودة بجانب المدن – فأرسلوا بعضًا من نسائهم وكان أشهرهم سيدتين على جانب كبير من الجمال وهم رحاب ونعمة .. وقد أنشأو حانة فى بلدة أريحا يقام فيها السهر والرقص وشرب الخمر.

وقد أصبح سادة أهل أريحا وقادتهم من الحكام والمحاربين من زبائن هذه الحانة – وبعد فترة وفى مناسبة لأحد الأعياد أقاموا بالحانة حفلاً كبيرًا .. وسهر فيها هؤلاء القادة الفلسطينيين من أهل أريحا حتى الثمالة وهم فى حالة سكر ومجون مع هؤلاء الغوانى الإسرائيليات .. اللاتى أمعنوا فى مجونهن .. حتى فقد هؤلاء القادة السيطرة على أنفسهم.

وفى الفجر هجم قوم إسرائيل على الحانة وقاموا بقتل كل من فيها واستيقظ أهل المدينة ليجدوا أن بنى إسرائيل استولوا على البلدة .. ومن هذا التاريخ يمجد بنى إسرائيل هاتين السيدتين وغيرهن بإطلاق أسمائهم على المستعمرات والأماكن .. فقد سميت مستعمرة باسم رحابوت ومستعمرة باسم نعماتيات – وقد بدلوا اسم خليج العاط باسم خليج نعمة ونحن بجهالة مازلنا نشاركهم .. وصدق قول الشاعر: (يا أمة ضحكت من جهلها الأمم). تماماً عندما سميت أسماء الشركات التى أقامها مصريون مثل مصانع ياسين للزجاج وشركات عبود للملاحة وطلعت حرب وبدلناها باسم مصانع النصر للزجاج وشركة النصر للملاحة .. وغيره .. وغيره. وفى نفس الوقت تركنا اسم (بنزيون) أى (أبناء صهيون) على المتاجر والمحلات من الإسكندرية حتى أسوان .. ومن المعروف أننا نحارب الصهيونية.

أننا لم نكتفى بأن إسرائيل أطلقت اسم هذه المرسى على قطعة غالية من ارض الوطن .. بل أطلقناه نحن على أماكن أخرى سياحية .. وفى إعلامنا .. ووصل الأمر بأنه تم أخراج فيلم لهذا الاسم.

مطار الطور

من المخطط أن يتم استطلاع فاعلية مطار الطور .. وهو أحد المطارات المصرية القديمة .. ولكن كان علينا أن نتأكد من درجة استعداده من قبل إسرائيل – وبذلك يكون تم تغطية القوة الجوية المؤثرة فى منطقة جنوب سيناء.

بعد أسبوع من العودة من مهمة استطلاع رأس نصرانى – رجعت إلى منطقة الغردقة وعن طريق مكتب مخابرات الغردقة والذى أنشئ فى خلال هذه الفترة الوجيزة تم التجهيز لهذه المأمورية والتى تولت التخطيط لها وقد اخترت أحد أبنائى بالصاعقة وهو الرقيب (محمد عبده موسى) لهذه المهمة وهو من الأفراد القلائل الذين قابلتهم ويتمتعون بالذكاء والشجاعة والحماس والمبادرة فى آن واحد. وقمت بتلقينه خط سير الدورية والأماكن المحيطة بمطار الطور حتى يتمكن من أداء الاستطلاع بشكل وافٍ.

وتم دفعه من منطقة شمال الغردقة وهي منطقة الجمشة فى لنش الصيد الذى كان يقوده (محمد المبروك) المشهور بلقب (المجرم) ومعه دليل من قبيلة (المزينة) ويدعى سالم بريك وهو ابن شيخ (قبيلة المزينة). وكان المخطط أن يرسو اللنش قبالة قرية الصيادين جنوب مدينة الطور والتى أعلم أن الإسرائيليين قد دمروها وهجروا من فيها .. ثم التحرك ليلا إلى منطقة الجبانات والاختباء فيها وهى على بعد عدة كيلومترات من القرية .. وقضاء طوال النهار فى الجبانة لتصوير المطار .. ثم الانتقال ليلا إلى منطقة (الكرنتينا)

حيث يتم الاختفاء فى مواسير المجارى المهجورة بمنطقة (الكرنتينة) وقضاء نهار كامل ليتم التصوير للمطار ورصد التحركات .. على أن يرجع فى الليلة الثالثة إلى منطقة قرية الصيادين ليتم التقاطه والعودة إلى منطقة الجمشة بخليج السويس. وقد تمت المأمورية بنجاح واستقبلته لأعد تقرير بما شاهده وما ظهر بالصور – وثبت أن المطار لا يستخدم كمطار حربى ولكنه يستغل كمنطقة إدارية وأن ما يهبط بالمطار هو طائرات النقل للتشوينات بالمنطقة بالإداريات اللازمة لمنطقة جنوب سيناء .. حيث ثبت أن مدينة الطور هى مركز للشئون الإدارية لمنطقة جنوب سيناء .. ابتداء من رأس سدر حتى شرم الشيخ وأن بها قاعدة إدارية كبيرة .. وقد تم تسليم التقرير إلى فرع المعلومات بعد أن عرضته على اللواء (محمد صادق) مدير المخابرات.

وقد ساعدت هاتين المأموريتين على إعادة نشاطى بالاتصال ببدو سيناء ومعرفتهم عن قرب .. وكذلك ببعض من أصحاب لنشات الصيد .. وقد أفادنى هذا كثيرًا فيما بعد فى المأموريات التى قمت بها فى جنوب سيناء وخاصة عندما خدمت بمكتب مخابرات الغردقة عام 1971 – وكذلك فى الأعمال الحربية على جنوب سيناء فى معركة أكتوبر 1973 حيث قمت أثناء خدمتى بمكتب مخابرات الغردقة بحوالى 24 عملية خلف الخطوط فى الفترة بعد إيقاف النيران عام 1970 – كما قمت بإعداد وتدريب مجموعة من البدو تقدر بحوالى 13 فرد من الشباب .. وتم تدريبهم

علـــى الاســـتطلاع والمراقبـــة والتصـــوير وزرع الألغـــام والضـرب بالصـواريخ .. وقد قامـت هـذه المجموعـة بأعمـال سيتم ذكرها فيما بعد.

الناصية الخامسة

فى هذه الناصية تجمع كل ما اكتسبته منذ نعومة أظافرى حتى هذه الناصية من معارف وثقافات ومبادئ من الدين والدنيا .. لكى أضعه وأعمل به فى سبيل الله والوطن .. لقد نذرت كل ما أقوم به قربانًا إلى الله .. راجيا أن يتقبله منى.

فإنى لم أسعى إلى نياشين .. كنت قد حصلت عليها .. فإن أى نيشان حصلت عليه كنت ألقى به فى أرضية دولاب ملابسى .. خوفا أن تقلل من نصيبى عند الله.

كما أنى لم أسعى إلى ترقية حيث ترقيتى إلى رتبة المقدم وكنت لم أمكث برتبة الرائد أكثر من ثمانية أشهر – علما بأن من ترقى فى معارك الاستنزاف لم يتجاوز عددهم أربعة من الضابط طوال معارك الاستنزاف من 67 إلى 73 وكنت أحدهم.

حقيقة واحد كنت أعيشها .. وهو أنى كنت أتمنى الشهادة فى سبيل الله والوطن.

وكانت اسعد أوقاتى فى أى عملية حربية تبدأ فى الصباح عند مغادرتى المنزل وعند عودتى إليه – فبرغم أنى لا اذكر شىء لأى أحد عن العملية التى سوف أقوم بها .. إلا أنى ألاحظ أن أمى وزوجتى وأحيانا جدتى عندما تتواجد فى بعض الأحيان معنا .. وكأنهم فى داخل مشاعرهم أنه ذاهب إلى عملية ما .. حيث كنت أجد فى أعينهم لمعان الفخر والاعتزاز بى .. وليس القلق أو الخوف .. وكانت جدتى تخصنى بدعاء (الله يخفى عين العدو عنك) .. رغم أنها لا

تـرددده فـى أى يـوم آخـر – أمـا السـعادة الثانيـة عنـدما أعـود للمنـزل فـى أى وقـت مـن الليـل أو النهـار .. لأجـد أمـى فـى صالة مدخل المـنزل وهـى جالسـة فى الظـلام تسـتمع إلـى الراديو لأى أخبـار من محطـة (B.B.C البريطانيـة) والتـى لا تحرك ساكنا عند دخولى لتقول (حمد الله على السلامة) بنغمه لا تفارق أذنـى حتـى الآن .. وفـى نفس اللحظـة تخـرج زوجتـى من غرفتهـا لأستقبالى .. رغم السكون الذى يحيط بالمنزل حتى عند دخولى إليه.

فى هذه الناصية اذكر ظروف أنشاء ومعارك المجموعـة 39 قتـال التابعـة لفـرع العمليـات الخاصـة بالمخـابرات الحربيـة حيـث كـان المقدم (إبـراهيم الرفـاعى) رئـيس فـرع العمليـات الخاصة وكنت أنـا منذ إنشـاءها إلـى إيقـاف النيـران عـام 70 قائد لهذه المجموعة (وهى سريه من ثلاث فصائل صاعقة + فصيلة قوارب من الصـاعقة البحريـة) .. وفـى نفس الوقت كنت رئيس لقسم الاستطلاع والتدريب بـالفرع وكـان الرائد (عصام الدالى) رئيس فرع العمليات.

أن الفخـر لأفـراد هـذه المجموعـة أنهـم الـرواد فـى العمـل الخـاص خلـف خطـوط العدو .. وكـان هذا يتمنـاه كل ضـابط وجنـدى بـالقوات المسـلحة .. ولكـن الله خصـنا بهـذا العمـل الريـادى .. ويجـب ألا ننسـى أن أفراد ووحدات كثيرة سواء من الصاعقة أو الجيوش قامت بنفس أعمالنا فيما بعد وبنفس الكفاءة.

أننى اذكر فى كتابى هذا كأحد القيادات لهذه المجموعة وأوضح للتاريخ وللأجيال خلاصة أعمال هذه المجموعة والتى كانت أعمال عظيمة من كمها ومضمونها بقيادة المقدم (إبراهيم الرفاعى) رئيس فرع العمليات الخاصة والذى بث روح التعاون والشجاعة والفدائية فى أفراد الفرع والمجموعة 39 قتال – لأن هناك من زايد على أعمال المجموعة فى تصريحات إعلامية أو كتب أصدروها .. فمنهم من يقول خمسون عملية وأخر سبعون آخرون يقولوا مائة وخمسة عملية .. وذلك مما يسئ لمصداقية أعمال المجموعة .. بل أن هناك صحفى قد رافقنا فى عمليتين أو ثلاثة وأصدر كتابا مؤخرًا .. لا أعلم من أين أتى بهذه العمليات .. ووصل الأمر بأن أحد الضباط الصغار فى ذلك الوقت .. من هو يذكر أن تجربة قارب جديد على شواطئنا فى البحر الأحمر .. على أنها عملية حربية.

والأدهى .. أنه عندما كرم الفريق أول (محمد صادق) وزير الحربية آنذاك أحد الضباط .. بأن أرسله ملحق حربى باليمن .. فقد ذكر فى كتاب له .. أن أعمال القوات البحرية فى أثناء معركة 73 والتى كانت تأمين وأعمال سلبية أمام المرور البحرى الإسرائيلي .. على أنها من أعماله وكأنها امتداد لأعمال المجموعة 39 قتال .. كيف !!.

فكرة المجموعة 39 قتال

فى أعقاب معركة 1967 والتى كانت آخر معركة فيها هى معركة رأس العش والتى تحالفت فيها كل قوى الجيش الإسرائيلى من مدفعية وطائرات ودبابات ومشاه لكى تزحزح هذه الفصيلة والتى كان قوامها ثلاثين فردًا بقيادة ضابط برتبة ملازم .. حديث التخرج ومعه رقيب اسمه (حسنى سلامة) متمرس ووطنى لكى تحتل هذا المكان الذى يفتح أمامها الطريق إلى مدينة (بور فؤاد) – ولكنها لم تتمكن من ذلك .. بل منيت بخسائر جعلها لا تفكر فى إعادة الكرة مرة أخرى وهنا ظهر معدن الجندى المصرى عندما صدر له أمر بالصمود فى المعركة بعد أن كانت الأوامر السابقة كلها انسحاب – والغريب أن نفس الموقف حدث فى معركة 1973 فى موقع على القناة يسمى موقع كبريت وهى آخر معركة بمعارك 1973 .. إذ هاجمت قوة مصرية الموقع الإسرائيلى بكبريت والذى استولت عليه فى أربعة ساعات .. وعندما حاصرت القوات الإسرائيلية هذا الموقع وعزلته عن القوة الرئيسية وهو الجيش الثالث واستمر حصاره لمدة 62 يومًا حتى ميعاد إيقاف النيران واستخدمت إسرائيل كافة قواتها فى محاولة لاسترداد الموقع .. لكنها لم تتمكن من ذلك وكان قائد الموقع اسمه المقدم (إبراهيم عبد التواب) والذى قام بصد هجمات العدو .. برغم قلة الذخيرة والمياه والذى كان يعتمد على تحليه مياه البحر بالطرق البدائية وقلة الطعام والذى كان يشترك أكثر من خمسة جنود فى علبة

طعام محفوظة ولنا أن نعلم أن هذه القوة المصرية كانت تتكون مما يقرب من 180 ضابط وصف ضباط وجندى وقد واجهت إمكانيات الجيش الإسرائيلى فى معركة تحدٍ .. ورغم أن قائد هذه الكتيبة قد استشهد قبل إيقاف النيران بساعة واحدة إلا أن الموقع لم يستسلم وظل صامدًا.

ونرجع إلى الموقف على الجبهة المصرية والذى كان فى حالة إعادة بناء قوته من جديد وتجهيز مواقعه الدفاعية غرب القناة ومع إيقاف النيران .. واستفزازات العدو المستمرة من العدو الإسرائيلى .. مثل الشتائم والألفاظ المعايرة .. والإتيان بحركات لا أخلاقية بين المجندين والمجندات الإسرائيليين – فقد ظل الجنود المصريون يجهزون مواقعهم الدفاعية على طول خط القناة بالشاطئ الغربى وقد كانت حالة الغليان على أشدها بين أفراد القوات المسلحة المصرية .. وعلى استعداد للقيام بأى عمل ضد العدو .. إلا أن الأوامر العسكرية تمنع ذلك .. ومع هذا كان أى أمر باستطلاع العدو يستغله المنفذ فى عمل إيجابى – فلا ننسى اللواء (مدكور أبو العز) قائد القوات الجوية حين ذاك .. عندما أخذ أمرًا باستطلاع المضايق (متلا والجدى) بالطائرات وهى على بعد حوالى 60 كم من القناة .. فقد حول هذا الأمر إلى ضرب مواقع العدو بضربة جوية مركزه جعلت الجنود الإسرائيليين يفرون من مواقعهم إلى الحدود عند غزة والعريش ظنا منهم أن القوات المصرية ستقوم بالهجوم المضاد .. وكان ذلك بعد معركة 67 ولم يمر

عليها شهرين. وكذلك القوات البحرية عندما خرج عدد 2 لنش طوربيد لاستطلاع قطعة بحرية إسرائيلية كبيرة وهى المدمرة إيلات والتى قد اخترقت المياه الإقليمية .. إلا أن قائد أحد اللنشات قام بتدميرها وكان عليها طلبة الكلية البحرية الإسرائيلية وكانت كارثة بالنسبة للعدو.

أما بالنسبة للقوات البرية والتى كانت مشغولة بتجهيز مواقعها الدفاعية على الضفة الغربية للقناة بدءًا من الكيلو 10 رأس العش ببور فؤاد إلى منطقة الكاب والتينة والقنطرة غرب وهى منطقة تسمى باسم (رقبة الوزة) إلى الإسماعيلية ثم جنوبا بمنطقة البحيرات المرة (الصغرى والكبرى) والتى تبعد عنها مسافة بيننا وبين العدو فى أعرض مكان 14 كم ثم جبل مريم وبحيرة كبريت حتي جنوبا بالسويس حيث موقع بور توفيق وهى مسافة تشكل جبهة مع العدو فى حدود 200 كم.

وقد كان الدور الرئيسى للقوات الاستعداد، إلا أن أعمال الاستطلاع كانت تقوم بها المخابرات الحربية من خلال مكاتبها بواسطة البدو – وقام فرع الاستطلاع من خلال الرائد (عصام الدالى) والذى كان وافدًا من بعثة بموسكو فى أعمال الاستطلاع .. فقد قام بزرع نقط استطلاع على المحاور الرئيسية فى عمق العدو وكان يرسل لكل نقطة استطلاع ضابط .. يمكث لمدة شهر ومعه جهاز لاسلكى لإرسال المعلومات أول بأول – كما قام المقدم (إبراهيم الرفاعى) والذى كان بفرع الاستطلاع أيضا بعملية فدائية

لنسف الذخيرة التى جمعها العدو من قواتنا بعد الانسحاب. وقد استغلت مكاتب المخابرات البدو خاصة مكتب بور سعيد والقنطرة فى زرع ألغام مضادة للمركبات بصفة دورية – وكذلك قام المقدم (الرفاعى) بصفة دورية بزرع ألغام على طول الجبهة – وكان كل من يقوم بزرع لغم يبقى فى حالة قلق إلى أن يصطاد اللغم فريسته من مركبه أو دبابة ومهما طال الوقت فإن اللغم سيؤدى واجبه فى وقت ما .. مما شكل إزعاجًا شديدًا للعدو .. حتى أننا كنا نطلق على اللغم اسم الابن البار حيث كان معدل خسائر العدو من 2– 3 مركبة أو دبابة أسبوعيا وهو يشكل خسائر جسيمة للعدو وخاصة أن ما بين عام 67 إلى معركة 73 ما يقرب أكثر من 300 أسبوع.

وإذا حسبنا خسائر العدو من جراء التلغيم والشراك الخداعية نجدها مساوية تقريبا لخسائرنا فى معركة 73 – وهنا تظهر عظمة معارك الاستنزاف. وقد بدأ العدو فى تسيير دقاقة يوميا فى كل صباح علي طول الجبهة فى أكثر من مكان وذلك لتفجير الألغام وتأمين الطرق .. إلا أننا لم نترك الدقاقات فى حالها ووضعنا لها كمية من الألغام وأحب هنا إن اذكر تفاصيل هذه العملية فى باب عمليات التلغيم.

فكرة المجموعة 39 قتال

مع حرارة صيف عام 1969 وفى شهر أغسطس بالتحديد .. وفى قرار مفاجئ – صدرت الأوامر من اللواء (صادق) مدير المخابرات الحربية إلى المقدم (إبراهيم الرفاعى) بفرع الاستطلاع بالقيام بعمل إيجابى ضد العدو وبالملابس العسكرية .. وهذا يعنى الإعلان رسميا عن خرق لإيقاف النيران الصادر من الأمم المتحدة .. وهذا يشمل ضمنيا رسالة للعدو الصهيونى أن مصر قادرة على التصدى .. ورسالة أيضا لأبناء الوطن والشعب المصرى بأننا قبلنا التحدى. وفى هذا الوقت لم يكن قد صدر تشكيل للمجموعة 39 قتال – ولكن كان هناك بعض أفراد من الصاعقة البحرية ليشكلوا فصيلة تقريبا معظمهم صف ضباط بقيادة النقيب (إسلام توفيق) والملازم (ماجد ناشد) – كما كان هناك رائد طبيب (عالى نصر) وكان ملحقًا على فرع الاستطلاع حيث ألحقه اللواء (صادق) لخلافات بينه وبين زملائه فى الصاعقة البحرية بالإسكندرية نتيجة وشايه قام بها على أحد زملائه بالصاعقة البحرية.

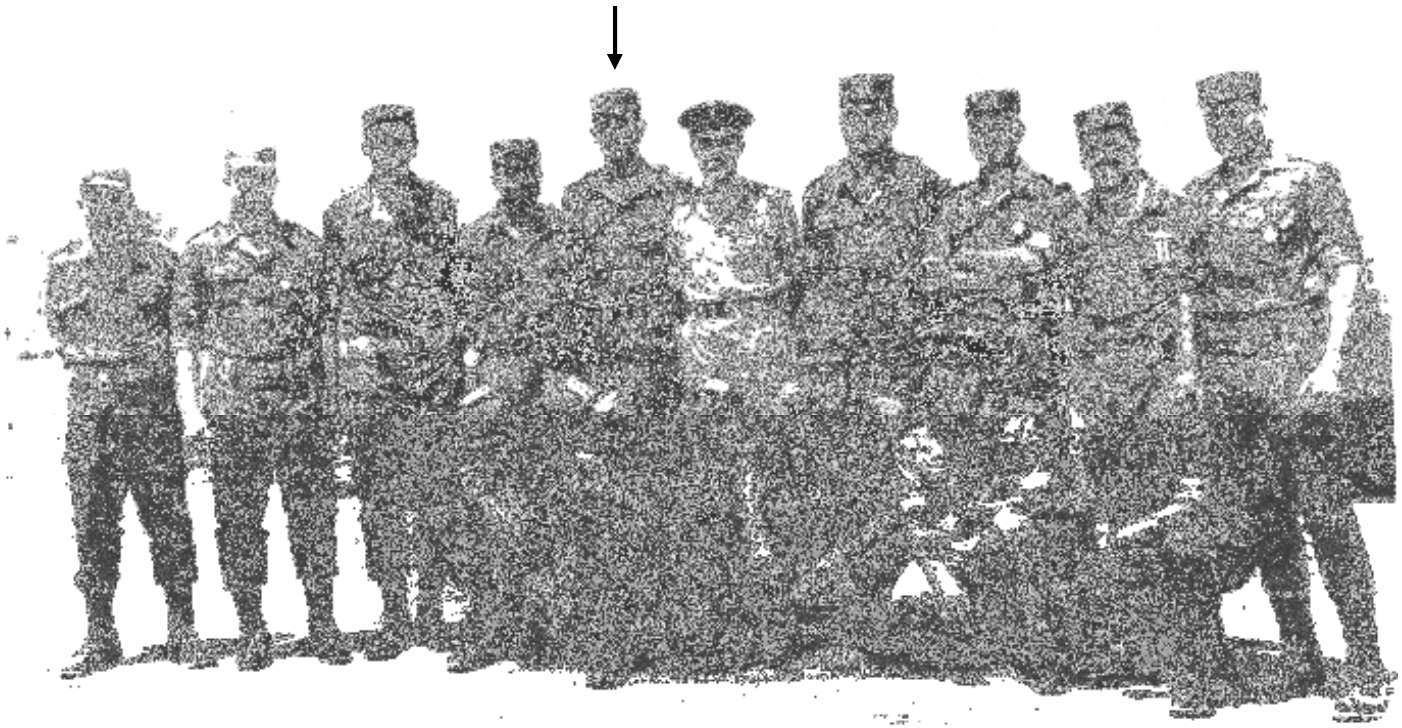

صورة جماعية لأبطال المجموعة (39) على يمينى إبراهيم الرفاعى

وكان النقيب (عصام الدالى) يتولى قسم الاستطلاع خلف الخطوط بفرع الاستطلاع وكنت أنا بفرع الخدمة الخاصة.
وهنا شعر المقدم (إبراهيم الرفاعى) بأهمية العملية وحساسيتها فاتصل بى الرائد (عصام الدالى) .. وكنا نحن الثلاثة من قوات الصاعقة الوحيدين الموجودين بإدارة المخابرات الحربية – وأبلغنا بالمهمة وببحث المعلومات المتوفرة عن أماكن دوريات العدو الراكبة وتوقيتاتها .. فقد وقع الاختيار على منطقة جبل مريم المطلة على قناة السويس لعدة أسباب.
أولاً .. لضيق عرض قناة السويس فى هذه المنطقة.
ثانياً .. وجود بحيرة صغيرة أسفل جبل مريم غرب القناة ولها قناة صغيرة تفتح على قناة السويس .. مما يسهل التجهيز فى قوارب فى منطقة مستورة ثم الاندفاع للعبور عبر قناة السويس إلى البر الشرقى.
ثالثا .. وجود فنطاس مياه غرب القناة يسهل الاستطلاع ووضع رشاشات ثقيلة تقوم بستر القوات عند الانسحاب والمساعدة بالنيران.

أردت أن اذكر هذا التمهيد لأسجل أن حتى هذا التاريخ وهو 16 أغسطس 69 لم تنشأ حتى هذه اللحظة المجموعة 39 .. ولكنها تشكلت عقب هذه العملية باسم فرع العمليات الخاصة بالمخابرات الحربية والتى تبعها تكوين المجموعة 39 قتال ورغم وجود المقدم (إبراهيم الرفاعى) والنقيب (عصام الدالى) وأنا فى إدارة المخابرات إلا أننا لم نجتمع من قبل فى أى عملية وكان كل منا يعمل منفردًا.

عملية جبل مريم

تقرر أن تشكل المجموعة فى ثلاث مجموعات اقتحام وكل مجموعة ثلاثة من الصف ضابط وضابط .. الأولى بقيادة ضابط بحرى (إسلام توفيق) والثانية بقيادة (عصام الدالى) والثالثة بقيادة ضابط بحرى ماجد ناشد والمجموعة الرابعة هى المجموعة الساترة بقيادتى ومجموعة القيادة والذى يقودها (إبراهيم الرفاعى) – وكان معظم الصف ضابط من الصاعقة البحرية – والخطة أن تقوم المجموعة الأولى بإيقاف وتدمير العربة الأولى والثانية لاقتحام العربة الثانية وإحضار الأسرى والثالثة لقطع الطريق عن أى تدخل خارجى.

كانت هناك بحيرة صغيرة خلف جبل مريم – وجبل مريم هذا جنوب الإسماعيلية بعده كيلومترات – وهذا البحيرة تم فيها تجهيز قارب مطاط بدون موتور وتم ربط حبل طويل .. قام فرد من الصاعقة البحرية بالتعدية للشاطئ الآخر ومعه طرف الحبل .. ثم تم جذب الحبل حيث القارب وهو محمل بالأفراد إلى البر الشرقى.

قبل أحدى عمليات الضرب بالصواريخ

قاذف صاروخى محمل على قارب مطاط استعدادًا لأحدى العمليات

تم اتخاذ الموقع على البر الشرقى للقناة .. وفى حوالى الثانية والنصف مساءً بدأت دورية العدو المكونة من 2 عربة جيب فى الاقتراب من الجنوب للشمال .. وكان على المجموعة بقيادة (إسلام توفيق) التعامل مع السيارة الأولى، والثانية يتعامل معها (عصام الدالى) .. ولسبب ما لم يوفق (إسلام) فى التعامل مع العربة الجيب الأولى فى الوقت المناسب مما اضطرنى كمجموعة ساترة ومجموعة القيادة بقيادة (إبراهيم الرفاعى) بالتعامل معها من بعد .. وذلك عندما أتت السيارة الثانية أمام (عصام) وبدأ يتعامل معها بالنيران وطوقها واحضر أسير وهو الوحيد الذى بقى على قيد الحياة – وتم رجوع المجموعة بنفس طريقة الذهاب .. وأخذ (إبراهيم الرفاعى) الأسير بسرعة إلى المستشفى لعلاجه .. ولكنه مات متأثرًا بجراحه ولأول مره تعلن مصر أن قوة كوماندوز تعبر القناة وتدمر دورية للعدو وتأسر فردًا من الإسرائيليين وذلك سواء فى الإذاعة أو التليفزيون أو الجرائد .. وبهذه العملية شعرنا بارتفاع المعنويات سواء بين الجيش أو الشعب – وكانت فرحتنا نحن أفراد أبناء القوات المسلحة أننا لأول مرة نقوم بعمل ونحن بزينا العسكرى خلف خطوط العدو.

وفى اليوم التالى صدرت أوامر بتشكيل المجموعة 39 قتال وذلك بإنشاء فرع جديد بالمخابرات الحربية باسم (فرع العمليات الخاصة) ورئيس الفرع المقدم (إبراهيم الرفاعى) وبه قسمان .. قسم العمليات برئاسة الرائد (عصام الدالى)

وقسم التدريب والاستطلاع يرأسه النقيب (أحمد رجائى عطيه) يتبعها سرية صاعقة مدعمة بفصيلة صاعقة بحرية وكانت هذه المجموعة أو السرية المدعمة بقيادتى بجانب أنى رئيس فرع التدريب والاستطلاع بالمجموعة وكانت فصيلة الصاعقة البحرية هى وحدة القوارب التى من صلب تنظيم السرية بقيادة (إسلام توفيق) ومعه ملازم (ناشد) وملازم (وسام حافظ) – وقد انضم للفرع رائد بحرى طبيب (عالى نصر) ولم يكن ضمن التنظيم إلا أنه كان مرافقا لـ(إبراهيم) فى معظم العمليات حيث كان يقود القارب مع (إبراهيم) .. وكان شجاعا وله أعمال فردية مميزة .. فقد اشترك فى إحضار ثلاثة صواريخ من الجبهة والتى ذكرتها قبل ذلك .. كما أنه كان يتميز بأعصاب هادئة جدًا وقد أفاد المجموعة فى عملياتها التى تتميز بالأعمال الدقيقة فى تجهيز الأشراك الخداعية وكمائن الألغام المركبة .. لما يتميز به من أعصاب هادئة وشجاعة.

أما باقى ضباط المجموعة كانوا قادة الفصائل التى تكونت منهم المجموعة هم ملازم أول(محسن طه) وملازم أول(محى نوح) وملازم أول(رفعت الزعفرانى) وملازم أول(مجدى عبد الحميد) وملازم أول(وئام سالم) وكانوا ضباطًا يتميزون بالشجاعة النادرة وحسن التصرف وقد ظهر ذلك جليا طوال العمليات اللاحقة. ومع أن هؤلاء جميعا قد تجمعوا لأول مرة إلا أن رباط تجمعهم هو الشعور أنه لهم الحظ فى اختيارهم لمواجهة العدو مبكرًا بعد طول انتظار ..

لأن كافـة أفـراد القـوات المسـلحة كـانوا يتمنـون ذلـك وأن تعطيهم قيادتهم هذه الفرصـة .. وقد أعطـى ذلك نـوع الفخر للأفراد.

تم الاستقرار فـى منطقـة حلميـة الزيتـون .. وكنـا دائمـا نعمل لـيلا ونهـارًا فـى التـدريب المسـتمر وأعمـال الاسـتطلاع والتخطيط لأى عملية تطلب منا وفـى أى مكـان سواء بسيناء أو داخل إسرائيل. وكنـت أنـا و(عصـام) لصـفتينا من رؤسـاء للاستطلاع والعمليـات

بعد أحدى العلميات بمكتب مخابرات السويس

صورة بعد العمليات القتاليه

قد قمنا بتجهيز عدة عمليات بأدق التفاصيل وجاهزة للتنفيذ فى أى وقت وذلك بعد عرضها على رئيس الفرع (إبراهيم الرفاعى) .. والذى بشخصيته المحبوبة تمكن من ربط الأشخاص بعضهم البعض فى أقل وقت.

إلا أنه فى طوال تواجد المجموعة كان اللواء (صادق) سواء أكان مديرًا للمخابرات أو رئيس أركان القوات المسلحة أو وزيرًا للحربية كانت الأوامر تصدر منه شخصيًا للمجموعة .. وإن كان فى بعض الأحيان يختار فردًا منا سواء (إبراهيم) أو (عصام) أو أنا ليكلفه بمأمورية خاصة دون علم الآخرين مثل ما حدث عندما كلف (عصام) بضرب إيلات بالصواريخ ردًا على عملية إسرائيل عندما ضربت مدرسة بحر البقر أو عندما كلف (إبراهيم) بضرب مصنع (سودوم) بالنقب ردًا على عملية ضرب إسرائيل لمصنع (أبو زعبل) أو عندما كلفنى بالاتصال بالعدو بالقتال لمعرفة نواياه عندما قام العدو بالإنزال فى منطقة الزعفرانة.

وهكذا كان ميلاد المجموعة 39 قتال من خلال فرع العلميات الخاصة فى أوائل عام 1969 .. ومن هنا فإنى أعتبر أن اللواء (محمد أحمد صادق) مدير للمخابرات الحربية والاستطلاع هو من أشجع القادة العسكريين حيث تحمل المسئولية الأدبية بإنشاء وحدة قتال ليس مهمتها استطلاع فقط بل والقتال لرفع معنويات الجيش والنيل من معنويات العدو .. وهذا ما لم يقدم عليه أى قيادة تشكيل قتالى أو حتى الوحدات الخاصة من الصاعقة أو المظلات والذى

كان قائدهم فى هذا الوقت اللواء (سعد الشاذلى) – وإن كانوا قد لحقوا بعد ذلك بعمليات قتاليه ضد العدو وكانت فى منتهى الروعة من الأداء .. مما يدل على كفاءة المقاتل المصرى – فلن ننسى عملية الهجوم على بور توفيق بكتيبة صاعقة وكان يقودها النقيب (أحمد شوقى الحفنى) وما سجلته من روائع فى فن القتال.

وكذلك كما حدث فى عملية (رقبة الوزة) حيث قامت وحدة من الصاعقة بعمل عدة كمائن فى يوم واحد حيث أوقعوا خسائر فادحة بالعدو وكان يوم سبت فسماه اليهود بالسبت الحزين وكان ذلك بمنطقة الكاب والتينة وهى بين مدينة الإسماعيلية وبورسعيد .. وعشرات العمليات قامت بها الجيوش المصرية الميدانية وكانت كلها ناجحة وأوجعت العدو سواء فى سيناء أو إسرائيل.

لقد كانت الأعمال القتالية التى قامت بها المخابرات الحربية من خلال أعمال مكاتب المخابرات الحربية وخصوصا مكتب بور سعيد بقيادة الرائد (عادل فؤاد) ومكتب القنطرة بقيادة النقيب (مدحت مرسى).

وكذا الأعمال القتالية الخاصة خلف الخطوط أيضا للجيوش الميدانية (الجيش الثانى والثالث) .. والأعمال القتالية لوحدات الصاعقة – هذا علاوة على أعمال القوات البحرية والتى كانت موجعة مثل ضرب المدمرة إيلات والضفادع البشرية فى ميناء إيلات كما شاركت القوات الجوية سواء بهجمة اللواء(مدكور أبو العز) على المواقع أو أعمال

الهليكـوبتر المسـاعدة للأعمـال الخاصـة والاعتراضـات الشجاعة لطائرات العدو والتى أسقطت العديد من طائراتهم.
قد كانت معظم هذه المعارك بشكل رسمى ما بين 1969 إلى منتصف عام 1970 حيث تم إيقاف النيران بناء على طلب إسرائيل والتى وصلت فى بعض الأشهر بعشرات المعارك ..

فى استقبال الوزير (ضياء الدين داود) .. واللواء (سعد الشاذلى) بالصاعقة

والتى كانت كلها معارك ناجحة وحققت أهدافها وفى المقابل فشلت كل محاولة إسرائيلية للقيام بعمل خاص عدا ضربها لبعض الأهداف المدنية بالطائرات مثل مصنع أبو زعبل أو مدرسة بحر البقر أو العملية الاستعراضية للنزول بمنطقة الزعفرانة أو عملية الرادار برأس غارب وهى مناطق نائية لم تقدم عليها إلا بعد سيطرتها الجوية.

لقد جعلت معارك الاستنزاف هذه .. وزير الخارجية الأمريكى يتحرك فى جولة مكوكية بين مصر وإسرائيل .. حتى وافقت مصر على إيقاف النيران لمدة ثلاثة أشهر – وأعتقد أن عبد الناصر وافق على ذلك رغم نجاح معارك الاستنزاف فى تحقيق غرضها وذلك لضرورة إدخال الصواريخ المضادة للطائرات إلى الجبهة استعدادًا للمعركة الفاصلة وذلك بما سمى عملية حائط الصواريخ .. والتى تم تحريكها من الإسكندرية إلى طول قناة السويس فى أروع عملية خداع .. أشرف عليها مدير المخابرات الحربية بنفسه وقتئذٍ وهو اللواء (مصطفى محرز) حيث تولى اللواء (صادق) رئاسة أركان القوات المسلحة فى ذاك الوقت.

لقد وجدت إسرائيل نفسها عاجزة عن مجاراة مصر فى معارك الاستنزاف ولو كانت الجبهة السورية فى الجولان قامت بنفس الشىء لاختلف الأمر .. إلا أنها حتى الآن ونحن فى عام 2008 وأنا أكتب مذكراتى هذه لم تلقى حتى بحجر على العدو – وكذلك الجبهة الأردنية .. ولا أقول الملك (حسين) حيث أن اتجاهه معروف ولكن ألوم منظمة

التحرير الفلسطينية والتى كانت تسيطر على الجبهة هناك وفى إمكانها أن تطول مدن إسرائيل الكبيرة .. عدا بعض العمليات البسيطة .. والتى لا تصل إلى درجة الكفاح المسلح.

ولكنى أرجع إلى أعمال (المجموعة 39 قتال) والتى كان لها شرف الريادة فى معارك الاستنزاف بفضل اللواء (محمد صادق) وجاءت من بعدها أعمال باقى الوحدات المصرية والتى سجلت أروع العمليات العسكرية .. مما يثبت أن المقاتل المصرى خير جند الأرض.

أعمال المجموعة 39 قتال

لقد نُسب إلى المجموعة الأعمال التى تمت قبل الإعلان عن تشكيلها .. حيث قام بها نفس الأفراد باسم المخابرات الحربية وتحت القيادة المباشرة للواء (محمد صادق) .. ثم توالت عشرات العمليات ما بين الهجوم على المواقع الحصينة للعدو والكمائن وأعمال ضرب الصواريخ وأعمال التلغيم والتى برعت فيها المجموعة .. حيث تحققت أكبر الخسائر فى العدو بأقل الإمكانيات وسأذكر أهم الأعمال .. بعد عملية كمين جبل مريم والإعلان الرسمى عن المجموعة 39 قتال (فرع العمليات الخاصة) والتى أطلق عليها فى الجرائد (قوات الكوماندوز المصرية) .. كثفت المجموعة أعمالها بين الاستطلاع والقتال .. فزادت أعمال تلغيم المدقات وكمائن النيران سواء على الطرق الممهدة أو الغير الممهدة وذلك على كافة خطوط المواجهة وفى العمق – وكذلك ضرب مواقع العدو بالصواريخ وخاصة منطقة الطور ومطاره .. وموقع عيون موسى تل سلام والذى كان له تأثير على مدينة السويس. إلا أن هناك عمليات بارزة فى تاريخ المجموعة وكان لأهميتها أنها ردت على مواقف معينة أو لردع العدو .. وسأذكر أهم العمليات العسكرية.

عملية لسان التمساح الأولى يوم 1969/4/19

كان لاستشهاد الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة يوم 69/3/9 أثرا سيئاً على معنويات

الجيش والشعب. فأصدر جمال عبد الناصر أوامره بالرد على هذه العملية .. وبما يرفع معنويات الجيش والشعب.
وعلى أثر ذلك أصدر اللواء (محمد صادق) مدير المخابرات أوامره للمقدم (إبراهيم الرفاعى) بالقيام بالعمل المناسب لذلك – واجتمع (إبراهيم) بى و(بعصام الدالى) بفرع العمليات حيث تم الاستقرار على مهاجمة الموقع الذى خرجت منه دانه الهاون والتى أصابت الشهيد (عبد المنعم رياض) وتدميره تدميرًا شاملاً .. وبدأنا أعمال الاستطلاع للموقع .. وإنشاء ماكيت (نموذج) للموقع والتدريب على مهاجمته وقد وقع ذلك على كاهلى .. يكون (عصام) كان بمأمورية خارج القطر المصرى على الجبهة الأردنية .. وتم تحفيظ كل فرد واجباته عملياً .. ولم أشعر بقيمة التدريب إلا عندما هاجمنا الموقع .. فقد كان أداء الأفراد وكأنها فرقة موسيقية تعزف سيمفونية .. فى أداء وتنسيق رائعين .. وكان الجميع لا يعرف الهدف إلا قبل التنفيذ بساعات وعند الاستطلاع النهائى للهدف من مبنى الإرشاد بالإسماعيلية.
وكانت القوة عبارة عن:
(1) مجموعة قيادة وساتره بقيادة (إبراهيم الرفاعى).
(1) مجموعة قطع وعزل بقيادة (محسن طه).
(4) مجموعة الهجوم بقيادة (أحمد رجائى عطية) + 7 فرد ومعه الضباط (محى نوح + 8 فرد، وئام سالم + 8 فرد، حنفى معوض + 8 فرد).

(1) مجموعة نقل بحرى بقيادة نقيب طبيب بحرى (عـالى نصر).

وكانـت كـل مجموعـة تشـكل مـن (8) صـف ضـابط وجنـدى وهنـاك عناصـر مـن مدفعيـة الميـدان الموجـودة بـالبر الغربـى تكون تحت الطلب أو الاشـتراك فى التغطية وقت الانسـحاب من الموقع وكنت مكلف بإدارة النيران لكونى ضابط مدفعية.

بـدأت العمليـة بـالتجمع فـى رصـيف الإصـلاح البحـرى بالإسماعيلية والواقـع علـى بحيـرة التمسـاح والـذى يبعـد عـن موقـع لسـان التمسـاح بـالبر الشـرقى بـثلاث كيلـومتر وهـو عرض بحيرة التمساح فى هذه المنطقة.

وفى التاسعة مساءً بدأت تنطلق الأفراد فى القوارب المطاط إلى البر الشرقى على مسافة 150 متر جنوب الموقع .. وذلك ليرسو مجموعة القطع على البر ليتقدم التشكيل إلى مكان القطع وعزل الموقع من أى نجدة – ثم من بعده مجموعة القيادة لتتمركز قبل الموقع بمسافة 50 متر – ويليها الأربع مجموعات الخاصة بالاقتحام لتتجه كل مجموعة إلى الدشمة المكلف باقتحامها والتعامل معها .. وكانت خطة التعامل أن تقسم كل مجموعة اقتحام إلى قسمين كل قسم 4 أفراد لتقوم إحداهما بإلقاء قنابل الدخان والغاز المسيل للدموع وينتظر القسم الآخر فى المقابل الآخر للدشمة لمهاجمة الأفراد بالبنادق والقنابل اليدوية.

وقد كان العدو كالفئران المذعورة داخل الدشمة .. وقد أبيد جميع أفراد العدو إما بالطلقات أو السلاح الأبيض .. وأذكر فى أحد المواقف أن أصيب مساعد أول (محمود الجيزى) بطلق نارى فى أسفل ظهره فأمرته بالانسحاب إلى منطقة الالتقاط .. واستمرت المعركة .. ولكنى وجدته بعد ذلك يقاتل بجانبى وهو مصاب واستمر فى المعركة .. حتى نهايتها .. رغم أن الطلق النارى أصابه فى الآلية من الخلف .. لتخترق فخذه وتخرج من الأمام.

لقد كانت الصعوبة بعد ذلك أن تقنع المقاتلين بالانسحاب بعد أن سيطروا على الموقع وحصلوا على عدة أسلحة خاصة بالعدو .. كما قام الملازم (محسن) قائد مجموعة القطع بالتعامل مع دبابات العدو والتى حضرت لنجدة الموقع فدمر

الدبابات وقتل الأفراد المصاحبة لهذه الدبابات. ولقد بدأنا الانسحاب إلى منطقة القوارب تحت ستر نيران المجموعة الساترة بقيادة (إبراهيم الرفاعى) .. كذلك تحت ستر نيران مدفعيتنا والتى أمنت عودتنا وألحقت هى الأخرى خسائر بالعدو .. وركبنا القوارب وبدأنا العودة.

لقد كان عنف تعاملنا مع أفراد العدو حتى أنه لم يبق أى منهم لكى نحضره أسيرًا .. وعادت القوات كاملة دون أى خسائر إلا المساعد أول (الجيزى) والملازم أول (محى الدين خليل نوح) والذى أصيب كل منهم ببعض الشظايا .. وتم علاجهم فور عودتنا واستكمل علاجهم بمستشفى القوات المسلحة بالمعادى .. والذى قام الزعيم (جمال عبد الناصر) بزيارتهم بالمستشفى.

لقد كان لهذه العملية أثر كبير فى رفع معنويات الجيش والشعب وخاصة أنها كانت انتقامًا لاستشهاد الفريق (عبد المنعم رياض) .. وإن كانت كرمز للانتقام لشهدائنا جميعا .. وقد كسرت هذه العملية أسطورة المقاتل اليهودى السوبر .. وعرف عنه أنه أقل من العادى.

وأحب أن أنوه إلى أن هذا الهجوم كان أول أمر هجوم لقوات مصرية بعد عشرين عامًا .. حيث كان آخر أمر هجوم لقوة مصرية كان عام 48 على التبه 68 بمنطقة بئر سبع حيث دمروا العدو فى هذه الموقعة أيضا واستولت القوات المصرية على بئر سبع ولكن للأسف جاءت الهدنة ومن ثم الأوامر بالانسحاب من بئر سبع.

وهنا تظهر بسالة الجندى المصرى عندما يأخذ الأمر بالهجوم أو الصمود ضد العدو .. ولكن للأسف كانت كل الأوامر فى 67 بالانسحاب ولم يأخذ الجندى المصرى فرصته.

عند العودة إلى الضفة الغربية كان هناك مجموعة من قادة القوات المسلحة وخاصة قيادات الجيش الثانى اذكر منهم العميد (أحمد بدوى) والعميد (محمد أبو غزالة) واللذين أصبحا كلا منهم فيما بعد وزير الحربية.

ولا انسى مشاعرهم الفياضة بالفخر تجاهنا .. حيث كانوا يسألوننا عن العدو وهم يتحسسون ظهورنا وأكتفانا بأيدهم .. ولا تعلم هل هذا بمثابة عناق عن بعد لجنود مصريين .. أم أنهم يتأكدوا أننا مازلنا أحياء بعد معركة مع العدو الذى لا يقهر .. أم ليتأكدوا أننا من دم ولحم مثلهم .. رغم أنها يعرفوننا جيدًا ومعظمنا من تلاميذهم.

عملية لسان التمساح الثانية يوم 1969/7/7

بعد عدة عمليات (للمجموعة 39 قتال) على الجبهة وفى العمق – وبعد عدة شهور .. تقرر الهجوم على نفس الموقع وهو موقع لسان التمساح – ومن المعلوم أن العملية الخاصة لا تكرر فى نفس المكان .. ولكن أردنا أن نقوم بذلك ولكن بتغيير فى الأسلوب .. لقد كانت العملية الأولى الاعتماد على المفاجأة .. ولكن فى الثانية تم التخطيط لها على أن يتم التمهيد بالنيران والهجوم تحت ستر نيران المدفعية .. وأن تكون مجموعات الاقتحام بمصاحبة العربات البرمائية (بردم) والتى كانت ستقل كل مجموعة اقتحام حتى الدشمة المكلف بالهجوم عليها.

وكان الغرض من ذلك هو إجراء بروفة وتدريب حى على أسلوب اقتحام النقط القوية للعدو فى الهجوم الشامل وخاصة أنه تم تجهيز مواقع العدو بشكل مخالف يصعب معه اقتحام هذه المواقع وكان لابد من إجراء هذه العملية للتخطيط للمعركة القادمة والفاصلة .. ولكن للأسف صدرت الأوامر فى آخر لحظة وقبل بدء العملية مباشرة بعدم استخدام العربات (البرمائية) والتى كانت عنصرًا أساسياً فى الهجوم وبالفعل ..

إبراهيم الرفاعى ورجائى عطية وعالى نصر
والعميد مصطفى كمال
فى مكتب مخابرات الإسماعيلية للتنسيق للعملية

بدأنا فى تنفيذ العملية بدون هذه المركبات .. وبنفس التشكيل والأفراد تقريبا بدأنا العملية تحت ستر التمهيد النيرانى والذى كنت أقوم بتوجيه النيران لكونى ضابط مدفعية .. وكانت غلالة النيران التى نتقدم تحت سترها بمسافة 50 متر وهى مسافة خطرة ما لم تستخدم بمهارة وحكمة إلى أن وصلنا إلى الموقع وبدأنا عملية الهجوم والاشتباك بالنيران والسلاح الأبيض فى قتال عنيف .. ونجحنا فى تدمير معظم الموقع وأفراده وقد استشهد منا 8 شهداء 4 ضمن مجموعات الاقتحام و4 من المجموعة الساترة أثناء تغطية الانسحاب.

لقد كان الموقع فى العملية الأولى بدون أسلاك كثيفة أو ألغام محيطة بالموقع وفى العملية الثانية فقد ذادت عملية التحصين ونشر الألغام التى تحت السيطرة والتى أصبت أنا شخصيا منها إصابات شديدة ولكنى صممت على الاقتحام للموقع إلى نهاية العملية .. وقد أستشهد الفردان اللذان كان أحدهما عن يمينى والثانى عن يسارى.

لقد أثبتت هذه العملية إمكانية اقتحام هذه النقط القوية رغم تحصينها .. وقد كانت خسائر العدو من ضربات المدفعية المصرية القوية سواء على الموقع أو مواقع أخرى مجاور مثل موقع نمرة 6 .. وكذلك الخسائر الكبيرة للعدو فى قوة النجدة التى اندفعت لنجدة الموقع والتى وقعت فى الكمين الذى نُصب لها من مجموعة القطع بقيادة الملازم أول(محسن طه) لقد كانت الفلسفة أو الحكمة من هذه العملية .. هى استطلاع بالقتال لمواقع العدو بعد أن تحصنت

بالأسلاك الشائكة والألغام وصارت بما يشبه القنفد (ولذلك سميت بالمواقع المقنفدة) – وليس الغرض منها تدمير الموقع كعنصر أساسى وقد أفاد ذلك فيما بعد عملية الهجوم التى قامت بها وحدات الصاعقة بواسطة كتيبة بقيادة النقيب (أحمد شوقى) وبعض الضباط اذكر منهم الملازم (زغلول) والملازم (ممدوح) وقد نجحت هذه القوة مستفيدة من معلوماتنا فى تجنب أى مقاومة واجهتهم .. وتمكنت من تدمير موقع بور توفيق المواجه لمدينة السويس والسيطرة عليه لعدة ساعات.

لقد كانت عملية لسان التمساح الثانية وعملية بور توفيق هما اللتان تم التخطيط بناءًا عليهما لاقتحام كافة المواقع الإسرائيلية (المقنفدة) فى معركة 6 أكتوبر والتى تم التدريب على اقتحامها بناء على المعلومات من هاتين العمليتين.

وهنا أقول ما أروع المخطط المصرى والذى مهد بالاستطلاع القتالى والتدريب والتخطيط .. لكى تقع كافة النقط القوية للعدو على الضفة الشرقية لقناة السويس فى يوم 6 أكتوبر فى عدة ساعات .. وهذه المواقع التى اعتقد العالم قبل العدو أنها لن تنهار أبدًا.

ولكن عندما احتل الجنود المصريون هذه المواقع .. لم تتمكن أى قوه إسرائيلية من إعادة احتلال أى موقع .. حتى موقع كبريت والذى كان منعزلاً .. فإنه صمد شهرين كاملين دون الوقوع فى يد العدو الإسرائيلى .. وهنا يظهر الفرق بين الجندى المصرى والجندى الإسرائيلى.

إيلات .. المنسية

لقد تمت أكثر من معركة باسم إيلات – فهناك معركة إيلات البحرية والتى دمر فيها لنشات الطوربيد المصرية المدمرة إيلات الإسرائيلية .. عندما دخلت المياه الإقليمية المصرية .. أمام بور سعيد.

والمعركة الثانية هى عملية الضفادع البشرية داخل ميناء إيلات والتى قام رجال الضفادع البشرية المصريين بتدمير عدة سفن إسرائيلية داخل ميناء إيلات وهى سفينة بيت شيفع وبات يام الإسرائيليتين – وهى الأكثر شهرة حيث تم عمل فيلم سينمائى يجسد هذه العملية.

أما المعركة الثالثة والتى باسم إيلات هى المعركة التى قام بها الشهيد الرائد (عصام الدالى) فى ربيع عام 1969 ابريل نفس توقيت عملية لسان التمساح الأولى وهى من أكثر العمليات التى حققت خسائر للعدو .. ولذلك أسميتها (إيلات .. المنسية) .. لأنها لم تذكر كثيرًا .. فى وسائل الإعلام .. رغم أنها أكثر العمليات التى حققت الخسائر للعدو.

لقد كلف اللواء (محمد صادق) الرائد (عصام الدالى) شخصيا بهذه المهمة رغم أنه كان ضمن المجموعة 39 وصدر إليه الأمر التالى .. تذهب فى مهمة إلى الأردن .. وهناك ستقابل المقدم (إبراهيم الدخاخنى) قائد مكتب مخابرتنا فى الأردن وسوف يعطيك ثلاثة صواريخ .. وسوف تقوم بضرب ميناء إيلات العسكرى – ولكن عليك

الحذر أن يقع أى صاروخ على الميناء المدنى أو مدينة إيلات.
وقد قابلته بعد عودته من مكتب اللواء (صادق) .. والمفروض أن من يأخذ مهمة منفردا لا يذكرها لأحد .. ولكننا كنا نتبادل الأسرار .. فقلت له ماذا ستعمل بعد أن ذكر كلمة حذارى أن يقع صاروخ على الميناء المدنى أو مدينة إيلات فرد بسخرية – "أنا حضرب المدينة طبعا (إيلات) .. أنت ناسى أنهم لسه ضاربين لنا مدرسة بحر البقر بالطائرات وعلى كام هدف فى الصعيد" .. استمر فى كلامه .. أن لم نكن نحن من يصعد معارك الاستنزاف .. فمن الذى سيصعدها .. كان هذا فكر وعقيدة الشباب المصرى حينذاك – وكانت الثقة بالنفس وتحمل المسئولية والقرار من الطبائع التى عودنا عليها قادتنا.
ذهب (عصام الدالى) إلى الأردن على الطائرة المدنية مصر للطيران باللبس المدنى واستلم الصواريخ الثلاثة .. من المقدم (إبراهيم الدخاخنى) ولكنه فى نفس الوقت اتصل عن طريق مكتب المخابرات العامة بالمصريين الذين يعملون مع منظمة فتح .. وطلب منهم أكبر عدد من الصواريخ .. وقد وفروا له مطلبه من الصورايخ .. رغم أن ذلك خارج نطاق واجباتهم .. ولكن كان هذا هو شباب مصر فى هذه الآونة .. وفعلا أحضروا له ثلاثين صاروخًا وتم نقلهم بواسطة منظمة فتح إلى ميناء العقبة فى الجبال المطلة عليها .. وقام بتجهيز الصواريخ .. ووجه الثلاثة وثلاثين صاروخ إلى مدينة

إيلات .. وأطلقهم دفعة واحدة فى اتجاه البلدة وقد اعترفت إسرائيل فى جرائدها الرسمية بأن الخسائر 94 قتيل وأكثر من 400 جريح .. وأعتقد أن الخسائر كانت أضعاف ذلك العدد لما تعود عليه العدو من إخفاء خسائره.

وقد كانت الإصابات دقيقة لأن (عصام الدالى) فى الأصل كان ضابطًا مدفعية قادرًا على توجيه النيران بمهارة.

وأذكر هذه العملية بالذات .. لأننى أعتبر أن هذه العملية قطعت اليد الطولى لإسرائيل والتى كانت تتباهى أنها تطول أى هدف فى العمق – ولكننا أثبتنا أن لنا أيضا يدًا طولى وقادرة على ضرب أهداف فى العمق الإسرائيلى – حيث تلى ذلك ضرب مصنع النحاس (بتمناع) ومصنع (سدوم) بصحراء النقب .. بالصواريخ بواسطة المجموعة 39 قتال أو بواسطة المصريين الذين يعملون مع منظمة فتح فى ذلك الوقت أمثال النقيب (على عثمان) والنقيب (عبد الله الشرقاوى) مما جعل إسرائيل تفكر ألف مرة فى ضرب أى هدف مدنى داخل مصر مع الفارق أنهم كانوا يضربون أهدافهم بالطائرات .. ولكننا كنا نعانى ونغامر حتى نصل لأهدافنا فى عمق إسرائيل.

عملية الكرنتينه

وبذكرى الرائد (عصام الدالى) .. أحب أن أتذكر العملية التى استشهد فيها الرائد (عصام الدالى) ذلك البطل الذى باستشهاده فقدت المجموعة بطل بمعنى الكلمة .. مصرى حتى النخاع .. شهم .. وبقيادته لقسم العمليات فى فرع العمليات الخاصة فقد كان المايسترو والمخطط لكل العلميات التى قامت بها المجموعة .. ذو فكر مستنير ورؤية بعيدة.

وبناء على المعلومات سواء التى كنا نقوم باستطلاعها أو المعلومات عن طريق فرع المعلومات بإدارة المخابرات .. كان يضع لكل هدف أكثر من عملية وكل عملية مخططة على الورق بها معلومات عن العدو – تشكيل القوة المنفذة وأسلحتها خط سير العملية – الخسائر المتوقعة فى قوات العدو.

وقد كان الهدف الذى استشهد فى هذه العملية من الأهداف الثمينة وقد تم وضع لهذا الهدف أكثر الذى عملية .. وكان هو منطقة الكرنتينه وهى تقع فى خليج السويس فى المنطقة المواجهة للعين السخنة.

الشهيد الرائد (عصام الدالى)

بعد أن أمضيت أنا و(عصام) فرقة القاذف الصاروخى (جراد .. ب) حوالى أسبوعين .. ذهبنا إلى المجموعة .. فرع العلميات الخاصة صباح يوم السبت التالى لانتهاء الفرقة مباشرة .. لنجد أن المجموعة تعد العدة للقيام بعملية ضد العدو.

وعندما جلسنا مع المقدم (إبراهيم) .. أخبرنا أن هذه العملية فى منطقة الكرنتينا .. وفى الوهلة الأولى فرحنا وقلت له .. كويس أن القيادة وافقت على تنفيذ هذه العملية وطبعا حنستخدم ونجرب القنبلة (حسام) المضادة للذبابات (هذه القنبلة اخترعها مهندس مصرى بالمصانع الحربية واسمه (حسام)).

فقال (إبراهيم) .. أحنا المرة دى حنكتفى بنسف السقالة الخاصة بالكرنتينه .. وتصوير هذه العملية بشكل إعلامى .. يعنى حاجة كده بسيطة لرفع المعنويات .. لأن الجبهة بثقالها مادة ساكنة – ولكنى اعترضت بشدة لأن ذلك يفقد عنصر المفاجأة فى المستقبل إذا تم التنفيذ كما هو مخطط لها .. ويبدوا أن اعتراضى أخذ شكل حاد .. فأخذني (عصام) من مكتب (إبراهيم الرفاعى) .. ليجلس بمكتبى ونحن فى حالة غضب من ذلك الأسلوب فى تنفيذ العملية .. فقال لى عصام خليك أنت وأنا سوف أقنع (إبراهيم) بالعدول عن العملية .. ولكن بعد دقائق وجدت أصوات عالية من (عصام) اعتراضا على العملية .. فقمت أنا بنفس الدور لاسمية خارج الفرقة وهو فى حالة غضب.

لم تفلح فى إثناء (إبراهيم) عن قراره .. فخرجنا فى نفس اليوم مع القوة المنفذة ولا أنسى كلمة (عصام) .. إحنا حنشترك معاهم .. علشان نكون مع رجالتنا. وفعلاً ذهبنا إلى منطقة العين السخنة عند جبل الجلالة وعدنا خليج السويس فى أربعة قوارب وكنت أنا قارب الاستطلاع والتأمين ثم قارب (عصام) ومعه معدات النسف والقارب الثالث لـ (إبراهيم الرفاعى) ومعه معدات التصوير والقارب الرابع بقيادة النقيب (حنفى معوض).

وبعد أن قمت بتأمين منطقة السقالة الموجودة فى الكرنتينا .. تقدم (عصام) وقام بعملية إعداد السقالة للنسف وكان قارب (إبراهيم) وقارب (حنفى) يقومون بتأمين العمل من الأجناب .. وبعد أتمام تجهيز السقالة للنسف .. انسحبت كافة القوارب الأربعة إلى المياه على بعد 500 م من السقالة.

وفى الزمن المحدد لعمل العبوات الناسفة لم تعمل .. وكان ذلك نتيجة بعض الرطوبة التى تصيب الأفلام الزمنية المجهز بها – ولكن (إبراهيم) تشكك فى ذلك الأمر وتركنا للعودة إلى السقالة .. وقد حاولت أنا و (عصام) والعميد (مصطفى) الذى كان بالقاعدة على الضفة الشرقية للخليج بأن نعيده إلى مكانه عن طريق الأجهزة اللاسلكية .. ولكن أعتلى السقالة وهى مجهزة للنسف وأشعل جهاز إشعال .. مما أثار انتباه العدو .. والذى بادر بإطلاق الرشاشات نصف موجه فى اتجاه السقالة .. وبمجرد أن قذف (إبراهيم) نفسه فى المياه .. بدأت السقالة تشتعل بفعل العبوات الناسفة.

وكنا نحن الثلاث قوارب نقف فى مكاننا على بعد 500 م من السقالة .. ولكن المنظر الذى شاهدناه أوحى بأن هناك مكروه قد أصاب المقدم (إبراهيم) .. فأندفع الرائد (عصام الدالى) فى اتجاه السقالة لإنقاذ (إبراهيم) .. حسب ما شاهدناه.

وكانت مياه البحر ساكنة كصحائف الفضة بعد ترك القمر ضوءه عليه .. وكان اندفاع الرائد (عصام الدالى) بالقارب قد ترك خط أبيض من الأمواج فى وسط هذا السكون .. مما نبه العدو على اتجاهنا .. فبدأ فى إطلاق قذائف من الدانات من دبابات فى اتجاهنا والتى كانت تمر حولنا بكثافة عاليه .. وقد أصابت واحدة منها الرائد (عصام الدالى) والمساعد الذى كان يجاوره .. واستشهد فور الإصابة.

واستمرينا حوالى نصف ساعة نقوم وننادى على الرائد (عصام الدالى) باللاسلكي ولكننا لم نعثر عليه .. ليخبرنا العميد (مصطفى كمال) والموجود بالقاعدة أن قارب الرائد (عصام الدالى) قد وصل إلى الشط .. وأخبرنا أنه مصاب .. ولكن عندما عدنا إلى القاعدة التى خرجنا منها .. أنبأنا بالحقيقة .. أنه استشهد.

موقع الهوك
أو عملية شرق البحيرات المرة

جلبت معلومات الاستطلاع لمؤخرة العدو والتى كانت منتشرة فى سيناء بواسطة ضباط مصريين .. كانت هذه المجموعات قد قام (عصام الدالى) بنشرها فى فترة خدمته بفرع الاستطلاع .. ثم تولى أحد الضباط هذه المهمة من بعده .. وبعد أن انتقل (عصام الدالى) للمجموعة 39 قتال (فرع العمليات الخاصة).

وذلك أن هناك عملية إنشاء دشمة كبيرة على الطريق الأوسط أمام منطقة الدفرسوار وكان الاعتقاد فى حينها أنها دشمة للطائرات ولكن كبر حجمها صار الاعتقاد أنها لأكثر من طائرة – وبعد ذلك جاءت معلومات أنه تم إدخال جسم كبير معدنى .. ولم يتمكن فرع البحوث بإدارة المخابرات الحربية تفسير هوية هذا الجسم المعدنى والذى تم تصويره بالصور الأرضية .. ولذلك تقرر أن يتم تصويره جويا .. وكان المطلوب أن يتم فتح ثغرة فى الدفاع الجوى لكى تتمكن طائرة استطلاع بالقيام بالتصوير الجوى .. وفعلا صدرت الأوامر للمجموعة 39 قتال .. بهذه المهمة – وقد كلفت بهذه المهمة .. فتم تصنيع لونشر صواريخ مكون من 16 صاروخ 130 مم بالمصانع الحربية وقمت بتركيب جهاز تنشين على اللونشر وتم معايرته وأحب أن اذكر هنا نموذج مشرف من أبناء مصر .. حيث ذهبت إلى إحدى المصانع الحربية وكان يرأسه مهندس اسمه (فهمى) وقابلت

فى الصباح شباب المهندسين بالمصنع وطلبت تصنيع لونشر الصواريخ بمواصفات معينة وأمهلونى عدة أيام – ولكن فى نفس اليوم ليلا فى حوالى الثالثة صباحا .. أتصل بى المهندس (فهمى) بالمنزل ليخبرنى أن القاذف جاهز للتجربة .. وفعلا ذهبنا فى فجر نفس اليوم لتجربة القاذف فى منطقة جبل حمزة بطريق مصر – إسكندرية الصحراوى.

وقد تحدد أن يتم تنفيذ العملية من خلال البحيرات المرة الكبرى .. وخرجت الدورية من قطاع الجيش الثانى رغم أن الهدف أمام قطاع الجيش الثالث. وقد كانت هذه العملية لها ظروف وملابسات غريبة ولكنها انتهت بنجاح كبير لم يكن متوقعًا.

ففى 25 مارس 1970 خرجنا فى قاربين مطاطين الأول به لونشر الصواريخ بعد أن تم تثبيته بالحبال على القارب وكنت أنا و(محمد عبده موسى) بالقارب الأول .. والثانى به مجموعة الحماية وكان به (إبراهيم الرفاعى) ومجموعة الحماية بقيادة أحد الضباط والصحفى (عبده) مباشر وقد قمت بتجهيز القارب الذى يحمل اللونشر حيث وضعت اللونشر على طبلية خشب مربعة ومثبت فيها بمسامير قلاووظ ثم قمت بتثبيت الطبلية بالحبال فى القارب وقد قام بحمل الطبليه مركب عليها الونشر أكثر من ثمانية أفراد .. كذلك قمت كضابط مدفعية بربط كافة البيانات اللازمة لضرب الهدف على آلة التنشين مستخدما النجم القطبى

والمسافة من الخريطة وهى طريقة معلومة لدى المدفعية وتسمى بطريقة (نقص الإمكانيات).
وبدأنا العبور عبر البحيرة المرة لمسافة 14 كم فى القاربين .. ولكن عندما وصلت لمنتصف البحيرة تذكرت كيف سيتم إنزال اللونشر من على القارب .. وما سيصاحب ذلك قد يؤثر على أدوات التنشين والتى تم ربط كافة البيانات من مسافة واتجاه عليها فقررت أن اندفع بسرعة عالية إلى أن يتم رسوا القارب المطاط على الشاطئ وقد تم ذلك فعلا .. ثم أفرغت القارب من الهواء حتى يكون اللونشر ثابتاً على الأرض وكذلك وضعنا رمالاً مبللة بالمياه على كامل القارب حتى لا يتأثر بالنيران التى تخرج من خلف الصواريخ ثم قمت بتوجيه الصواريخ على الهدف المحدد وهو موقع صواريخ الهوك مستعينا بالنجم القطبى وتم ضرب الستة عشر صاروخًا فى اتجاه موقع الهوك – وبدأنا فى نفخ القارب بسرعة عالية وأنزلنا القوارب فى البحيرة لنبدأ العودة.
وقبل أن نغادر المنطقة شاهدنا السنة اللهب تتعالى من موقع الهوك .. ويبدو أنها كانت ضربة موفقة حيث ظلت النيران تشتعل وينفجر الموقع لمدة أكثر من ساعتين .. حيث إن صاروخًا أصاب مكان تخزين صواريخ الهوك. وقد كتب عنها عبده مباشر الصحفى بالأهرام فى اليوم التالى – والذى رافقنا فى هذه العملية أن قوات الكوماندوز تدمر موقع هوك تحت عنوان قال تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة الأنفال الآية (17).

ومع صباح فجر اليوم التالى خرجت طائرة استطلاع مصرية من خلال الثغرة التى حدثت فى نظام الدفاع الجوى للعدو – لالتقاط صور للموقع الذى يبعد 40 كم عن القناة واتضح أنه كوبرى معدنى .. معد لأى هجوم إسرائيلى غرب القناة. وهو فعلا نفس الكوبرى الذى عبرت به القوات الإسرائيلية فى عملية الثغرة فى معركة 73 ولكن حتى الآن لا أعلم لماذا لم يخطط لضرب هذا الهدف فى طلعات القوات الجوية فى معركة 73 ولا أعلم لماذا لم تنفذ الضربة الجوية الثانية والذى كان مخططًا لها ما بين الساعة الرابعة والنصف أثناء إنزال قوات الصاعقة بواسطة الطائرات الهليكوبتر.

أعمال الضرب بالصواريخ

لقد كانت أشهر عمليات الضرب بالصواريخ هى عملية ضرب مدينة إيلات والتى قطعت اليد الطولى لإسرائيل .. ومن بعدها تم حماية الأهداف المدنية المصرية من أن تتطاول عليها إسرائيل والعملية الثانية هى ضرب موقع الهوك أمام الجيش الثالث والتى قمت بها وأخذت إسرائيل درسًا .. أن أهدافها فى العمق فى متناول أيدينا.

وهناك أهداف كثيرة ضُرِبَت بالصواريخ أوجعت إسرائيل فقد تم ضرب مطار الطور والذى كان يستخدم كقاعدة إدارية أكثر من مرة وهو يبعد عن القاهرة حوالى 300 كم .. مما أفقد قوات العدو الكثير من المعدات والتشوينات الإدارية.

كما تم ضرب موقع كبريت المطل على بحيرة كبريت من جزيرة صغيرة فى وسط البحيرة بصواريخ (فاب) وهى من النوع الذى تتسلح به طائرات الهليكوبتر وكانت هذه العملية من النوع العمليات المزدوجة حيث تم ترك أشراك خداعية حول قواعد الصواريخ والتى توجه إليها العدو بعد أن انطلقت الصواريخ منها .. مما أوقع العدو فى حقل أشراك خداعية .. سببت له خسائر كبيرة – وقد كان مهندس هذه العملية الرائد طبيب (عالى نصر) الذى نفذها ببراعة – ورغم أنه طبيب إلا أننى كنت أسميه المهندس لما يتحلى به من براعة فى أعمال الأشراك الخداعية .. وصبره وثباته عند تجهيزه لمثل هذه العمليات .. وكان هناك موقع للعدو عبارة عن مدافع 155 وهى ثقيلة العيار ولها مدى طويل

وكانت متمركزة فى دشم مسلحة ولها أبواب فولاذية وهى فى منطقة تسمى تل سلام بعيون موسى جنوب شرق خليج السويس – وكانت هذه المدافع دائمة الضرب على مدينة السويس من حين لآخر.

ولكننا كمجموعة 39 قتال كنا نعبر خليج السويس ونقذفها بالصواريخ وقد تم ذلك مرات عديدة مما جعل العدو يعيد التفكير أكثر من مرة فى استخدامها ضد مدينة السويس.

لقد كنا وقتها لا نشعر بقيمة هذه العمليات ومدى تأثيرها على ماديات ومعنويات العدو .. ولكنى أحسست بعظمتها عندما شاهدت مدى تأثيرها عندما استخدمها حزب الله فى حربه الأخيرة بلبنان أو فى مدى تأثيرها عندما استخدمها الفلسطينيين بقطاع غزة ضد مستعمرات العدو داخل إسرائيل.

علما بأن الخسائر التى كنا نحققها ضد العدو كانت أضعافًا مضاعفة بالنسبة لما حققها حزب الله أو قطاع غزة سواء حماس أو الأجنحة العسكرية للمنظمات الفلسطينية.

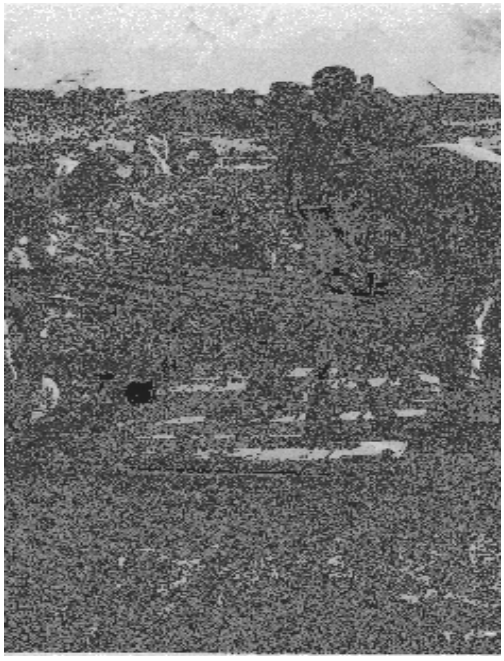

إعداد الصوريخ قبل العبور
(معارك الاستنزاف)

الناصية السادسة

لقد كانت هذه الناصية غنية بالثقة بالنفس .. حيث انفصلت عن المجموعة 39 قتال بعد أن تم الموافقة على إيقاف النيران بين مصر وإسرائيل لأعمل بمكتب مخابرات الغردقة .. والتى أمدنى مدير المخابرات آن ذاك اللواء (مصطفى محرز) بخمس قوارب مطاط لأكون مجموعة من بدو سيناء وأبناء الغردقة .. وقد تم تنفيذ عشرات العمليات سواء استطلاع أو أعمال رص الألغام وضرب الصواريخ وكلها أعمال دون مواجهه مباشرة مع العدو وذلك باسم منظمة سيناء العربية وفى ظل إيقاف النيران .. وبقدر ما اكتسبته فى هذه الفترة من الثقة بالنفس .. بقدر ما أعطيت سواء فى الأعمال الحربية أو الأعمال المخابراتية بينى وبين نظيرى فى الجبهة المعادية حيث كان حساب المكسب كثيرا جدًا عن أى خسارة.

واعتز بهذه الفترة وكنت برتبة رائد أن أستدعى لأشارك كبار المخططين بفرع العمليات للقوات المسلحة لوضع الخطة للاستيلاء على جنوب سيناء فى الخطة جرانيت .. والتى أفسدها فيما بعد التعديل الذى إضافة اللواء (سعد الشاذلى) للتنفيذ فى معركة 73 .. والذى سحب كافة القوات المشاركة سواء المشاة أو المظلات من التخطيط والتنفيذ وترك وحدات الصاعقة وحدها .. وبعد أن بدل أماكن إنزالها فى جنوب سيناء .. مما عرضها للمخاطر .. بل للهلاك.

أن الصقل والثقة فى النفس فى هذه الفترة جعلنى بعد أن حللت موقف ما بعد معركة 73 وفى فترة إيقاف النيران .. بأن اشتبك فى عملية ضد العدو .. دون الرجوع للقيادة .. خوفا من ضياع الوقت أو الفرصة ثم أبلغ القيادة العامة .. والتى عدلت وضع القوات بناء على تحليلي للموقف.

أما بالنسبة للمجموعة 39 قتال والتى كنت قد تركتها فى أوائل عام 1970 بعد إيقاف النيران بيننا وبين العدو .. فإنها لم تقم بأى عمليات خلال هذه الفترة حتى اشتركت فى معركة 73 بضرب خزانات البترول فى أبو رويس بواسطة الطائرات الهليوكبتر وذلك بإلقاء براميل النابل من الطائرات على الهدف .. وفى أثناء عملية الثغرة التى قام بها العدو غرب القناة .. كُلفت المجموعة 39 قتال باستطلاع قتالى مع العدو لتحديد أماكنه .. ولكن للأسف استشهد البطل (إبراهيم الرفاعى) .. لترجع المجموعة إلى معسكرها بالحلمية بالقاهرة .. ولم يتم تكليف الوحدة بمهام أخرى لعدم وجود قيادة لها .. وللخلافات التى دبت بين بعض الأفراد وهو بمعسكرهم بحلمية الزيتون.

عمليات التلغيم

أو الابن البار

هذا اللقب كنا دائما نطلقه على اللغم .. لأننا كنا عندما نزرع اللغم فى الطرق الترابيه والمدقات – كنا واثقين بأنه سيأتى بالخير .. ضد العدو. فقد تمر مركبة أو دبابة بجانب اللغم مرة أو أكثر .. ولكن فى لحظة ما .. فى يوم ما ستمر عجلة المركبة أو جنزير الدبابة على اللغم .. وتأتى بأكلها – لذلك كنا نسمى اللغم بلقب الابن البار .. وقد وصلت الحرفية فى استخدام الألغام بأننا وصلنا إلى استخدامه على الطرق الأسفلتيه بدون أن تكتشف. وكنا لا نستخدم اللغم منفردًا – بل كنا نستخدم كلمة (نِخَاويه) .. أى نضع معه أخ .. وغالبا ما يكون هذا الأخ .. لغم أو أكثر .. أو دانه مدفع من العيار الثقيل .. أو شوال (أمونال) وهى مادة شديدة الانفجار – لأن اللغم منفردًا قد يقتل أو يجرح من فى المركبة أو الدبابة أما إذا خاويته فإنه يدمر المركبة أو الدبابة بمن فيها جميعاً، وكان يعز علينا أن يكتشف العدو لغم ويؤمنه وينزعه من مكانه .. لذلك قررنا تدمير الدبابة التى تكتشف الألغام وتدمرها ..

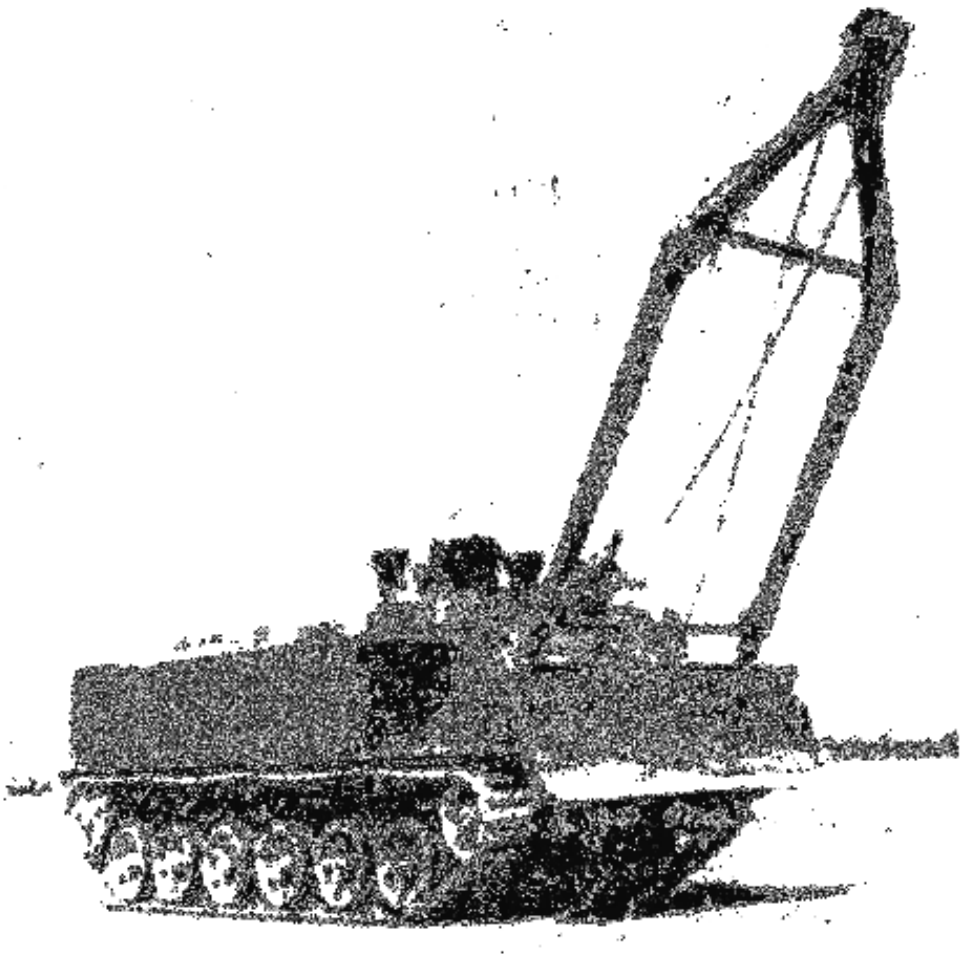

الدبابة الإسرائيلية الدقاقة

وكانت تسمى بالدبابة الدقاقة – والدقاقة عبارة عن دبابة مُرَكْب عليها من الأمام زراعين بينهم اسطوانة بها عدة سلاسل وفى آخر كل سلسلة كرة حديد فى حالة دوران دائم .. فتطرق هذه الكرة أى لغم مدفون فى المدقات أو الطرق الغير ممهدة .. فينفجر اللغم فى الهواء .. حيث أن الزراعين على بعد 2 متر من جسم الدبابة .. وفعلا تم عمل كمين لهذه الدقاقة أمام قطاع الجيش الثالث شمال مدينة السويس بحوالى 40 كم.

حيث أوصلنا لغم بفتيل متفجر ينتهى عند بطن الدبابة بتحبيشه متفجرات من العيار الثقيل عبارة عن 2 لغم وشوال أمونال ودانه مدفعية .. ولك أن تتخيل شدة هذه العبوة عندما انفجرت فى الدبابة .. بان طار برج الدبابة لمسافة 240 متر من المدق بالضفة الشرقية للقناة إلى الشط الغربى ليستقر عند قواتنا وكان متابعتنا لهذا الانفجار وطيران البرج فى الهواء إلى أن استقر بيننا فرحة كبيرة. ومن بعد هذه العملية لم يفكر العدو فى استخدام أى دقاقة لتطهير الطرق من الألغام .. وبذلك حافظنا على ابننا البار فى النجاح ومن أعز عمليات زرع الألغام لدينا الكمين الذى تم عند منطقة رأس ملعب بجنوب سيناء .. حيث قامت المجموعة 39 باختيار هذه المنطقة لتواجد أكثر من مدق وطريق فى هذه المنطقة وقد تم تلغيم الطريق الرئيسى .. وعلى مسافات متبادلة تم زرع ألغام على الطرق الموازية وكذلك زرع أشراك خداعية لاصطياد الأفراد التى قد تنتشر بعد انفجار الألغام –

ولكـى نجـذب انتبـاه العـدو لهـذه المنطقـة فقـد تـم اسـتخدام لونشـرات صـواريخ وضـرب إحـدى الأهـداف المجـاورة للمنطقة .. بمدينة الطور .. وكذلك تم وضـع أشراك خداعيـة فى اللونشرات لتنفجر فى العدو فـى حالـة حضـورهم لمعاينـة مكان انطلاق الصواريخ وقد كانت خسائر العدو ما بين قتيل وجريح بالعشرات ودمرت ما يقرب من 7 مركبات وعربات جيب .. حيث كانت الإشراك الخداعية منتهية بدانات مدفعيـة حولـت المنطقـة لجحيمًـا علـى كـل مـن فيهـا علـى فتـرات متباعدة.

لقد تكررت مثل هذه العمليات طوال فترة ما بين 67-70 حتى فى فترة إيقاف النيران ما بين منتصف عام 70 حتى عام 73 سواء على طول جبهة قناة السويس أو فى العمق بمنطقة جنوب سيناء حيث لا مواجهة مباشرة مع العدو رغم إيقـاف النيـران .. ولكنهـا كانـت ضـربات موجعـة تسـتنزف قواته.

وما بين استغلال الضرب بالصواريخ مع عمل كمين بالألغام والإشراك الخداعية – كان هنـاك أيضـا عمليـة كمين بالألغام باستخدام الهيلكوبتر. وكانت هذه العمليـة فـى المنطقـة الواقعـة علـى طريـق شـرم الشـيخ – الطـور وكـان الجديـد فـى هـذه العمليـة أن العمـل ليس علـى طريـق ترابـى بـل علـى طريـق أسـفلتى .. لا يشك العدو ولو لحظة أن يتم التلغيم على طريق أسفلت.

فقد جاءتنا المعلومات أن قوات العدو الموجودة بمدينة الطور .. تذهب فى نهاية الأسبوع لمقابلة ذويهم فى شرم الشيخ لقضاء عطلة نهاية الأسبوع – فتم التخطيط لاصطياد أحد هذه الحافلات بواسطة التلغيم.

ففى أحد الليالى المقمرة تحركنا عصرا بواسطة الهليوكبتر إلى مدينة الغردقة .. وعندما حل الليل تحركنا إلى منطقة جبل أبو شعر وهى شمال الغردقة .. قرية (الجونة الآن).

وكان قائد الطائرة النقيب (جلال النادى) وهو من أشجع وأكفأ الطيارين وله أعمال مشهودة سواء قبل ذلك أو أثناء معركة 73 .. وكان مساعده ملازم طيار (أحمد الدسوقى) .. وكالعادة كان مجلسى فى الطائرة بين (جلال النادى) ومساعده مكان ملاح الطائرة .. وذلك لمقدرتى على الملاحة الجوية وتوجيه الطائرة إلى الهدف .. وفى داخل الطائرة جلس قائد العملية المقدم (إبراهيم الرفاعى) والملازم (محسن طه) ومعه 6 صف ضابط بغرض القيام كمجموعة ساترة أثناء العمل .. علاوة على 2 صف ضابط أحدهم الرقيب أول (محمد عبده) وكانوا مسئولين على التحفظ على معدات التلغيم .. والتى أعدت بعناية وقمت بتدريبهم على العمل عليها مرارا .. وأتذكر أننى أصبت أثناء التدريب على الإعداد لهذه التجهيزات لدقتها وحساسيتها الفائقة .. إلا أن الإصابة كانت بسيطة فى منطقة الصدر .. حيث كنا نتدرب بعبوات مخففة.

وأقلعت الطائرة على ارتفاع 2 إلى 3 متر فوق خليج السويس حتى لا تكتشف من رادارات العدو .. وقد كان البحر هادئاً جدًا فى هذا اليوم لدرجة أنه كان يشبه وكأنه قماش حرير لونه فضى بعد أن ترك القمر ضوءه عليه – وزاد المنظر جمالا لقرب طيران الطائرة من المياه .. وجعل الهواء المندفع من مروحة الطائرة يداعب سطح المياه .. فيقلق هذا الهدوء سطح المياه باهتزازات دائرية حول مسار الطائرة .. ولم أسرح فى هذا المنظر الجميل كثيرا .. لأوجه (جلال النادى) إلى منطقة العمل على طريق الإسفلت وهى منطقة رأس الجارة والتى تبعد حوالى 50 كم جنوب الطور. وكانت تعليماتى لـ (جلال) بأن يهبط بكامل العجل على الإسفلت حتى لا تترك الطائرة أى أثر .. قد يكتشفه العدو فيفسد ما قمنا به. وما أن هبطت الطائرة وانتشرت مجموعة الحماية .. وأخذت مجموعة الإعداد إلى الخلف بعيدا عن الطائرة .. وبدأت فى إعداد الكمين فى الرمال بجانب الإسفلت مباشرة وكانت عبارة عن دانه مدفعية 122 مم وشوال أمونال .. وكان هذا متصلاً بشرك على بعد متر من الطريق بواسطة سلك متصل بدائرة كهربائية تم تثبيتها بالإسفلت بعد أن تم عمل مجرى لها بالسونكى – وتم تمويه كل هذا العمل سواء بالكودى (الحشائش) المنتشرة بالصحراء أو بالزفت السايح والذى أحضرناه معنا فى زمزميه مياه – وبمجرد الانتهاء من العمل أعطيت تمام لـ (إبراهيم الرفاعى) والذى قام بسحب المجموعة الساترة

وركبنا الطائرة .. وعدنا أدرجنا عبر خليج السويس على ارتفاع منخفض إلى الغردقة ثم القاهرة .. مستمتعا ثانية بمداعبة الهواء الناتج عن مروحة الطائرة بسطح مياه خليج السويس الهادئ فى ظل ضوء القمر. وقد كانت هذه (التحبيشة) أبنًا بارًا فعلا .. فقد جاءتنا الأخبار من الاستطلاع اللاسلكى أن الكمين قد اصطاد حافلة محملة بالجنود كانت متجه من الطور إلى شرم الشيخ وبعد يومين جاء مندوبنا من الداخل ومعه صورة توضح مستوى التدمير الذى أحدثه الكمين وفى الصورة يظهر أتوبيس وقد دمر تماما ومن شدة الانفجار صار الأتوبيس على شكل حرف (U).

ويبدو أن (جلال النادى) عندما تحرك للإقلاع بالطائرة لم يتمكن مع حمولة الطائرة بالإقلاع عموديا .. مما اضطره للسير بضع مترات للصعود .. فتركت عجلة الطائرة اليمنى أثرًا على الرمال .. والحمد لله أن العدو لم يكتشف ذلك قبل أن يأتى الكمين بثماره .. بل أكتشف ذلك بعد نجاح الكمين – وقد تم القبض على ابن شيخ قبيلة المنطقة ويدعى (عيد المغبش) .. وحوكم محكمة عسكرية بإسرائيل وصدر ضده حكم بالسجن سبع سنوات .. لأنه كان يملك عربة (بيك أب) ماركة فورد نصف نقل .. وكان مركب عليها كوتش السيارة به نفس نقوش كاوتش الطائرة معتقدين أن له يدًا بالعملية.

وقد أفادنى هذا الحادث فائدة كبيرة عندما توليت بعد عدة أشهر العمل فى مكتب مخابرات الغردقة .. سأرويها فى

قصة لاحقة بهذا الكتاب باسم اللعب على المكشوف والتى تمكنت من خلالها الإفراج عن (عيد المغبش) مما أكسبنى ثقة أهل بدو جنوب سيناء.

لقد كانت هذه بعضًا .. أو أهم عمليات رص الألغام والتى طورناها إلى عمل كمائن بالألغام والأشراك الخداعية مع مزجها بأعمال الضرب بالصواريخ واستخدام الهيلوكبتر .. علاوة على أعمال التلغيم العادية والتى أوجعت العدو واستنزفته بجانب الأعمال القتالية الأخرى .. وكانت أعمال التلغيم هذه والتى احترفتها أيضا القوات المرابطة على طول جبهة قناة السويس وكذلك مكاتب المخابرات بالجبهة بواسطة بدو سيناء وخاصة مكتب مخابرات بورسعيد والقنطرة بقيادة الرائد (عادل فؤاد) والنقيب (مدحت مرسى) واللذان كان لهما أعمال مجيدة فى هذا المجال سواء التلغيم أو الضرب بالصواريخ للمواقع المهمة بواسطة بدو سيناء .. والتى أسخنت موقف معارك الاستنزاف وأحب أن اذكر هنا إحصائية لمن يستهين بمعارك الاستنزاف .. فإنه إذا كان ما بين 67 ، 73 أكثر من 300 أسبوع وأنه لا يمر أسبوع إلا وهناك فى المتوسط عدد (2) عمل إيجابى لعمليات زرع الألغام والأشراك الخداعية .. فأننا نجد أن خسائر العدو لا تقل عن 600 مركبة ودبابة محملة بالجنود.

وأعتقد أن ذلك وحده يضاهى ما قد خسرناه فى معركة 67 .. علاوة على الكم الهائل من جنود القوات الإسرائيلية .. هذا علاوة على انخفاض الروح المعنوية للعدو نتيجة ذلك ..

لعدم شعورهم بالأمان فى أى تحرك سواء على المدقات أو الإسفلت والطرق الممهدة.
أعتقد أنه لو تم ذلك فى الجولان أو الضفة الغربية لما فكرت إسرائيل فى الاستمرار بهذه المناطق المضيافة حتى الآن.
إن روجرز المبعوث الأمريكى والذى تحرك بين مصر وإسرائيل مكوكيا .. لمحاولة لإيقاف النيران والسعى إلى التهدئة .. إلا نتيجة لهذه المعارك الاستنزافية التى لحقت بالعدو.

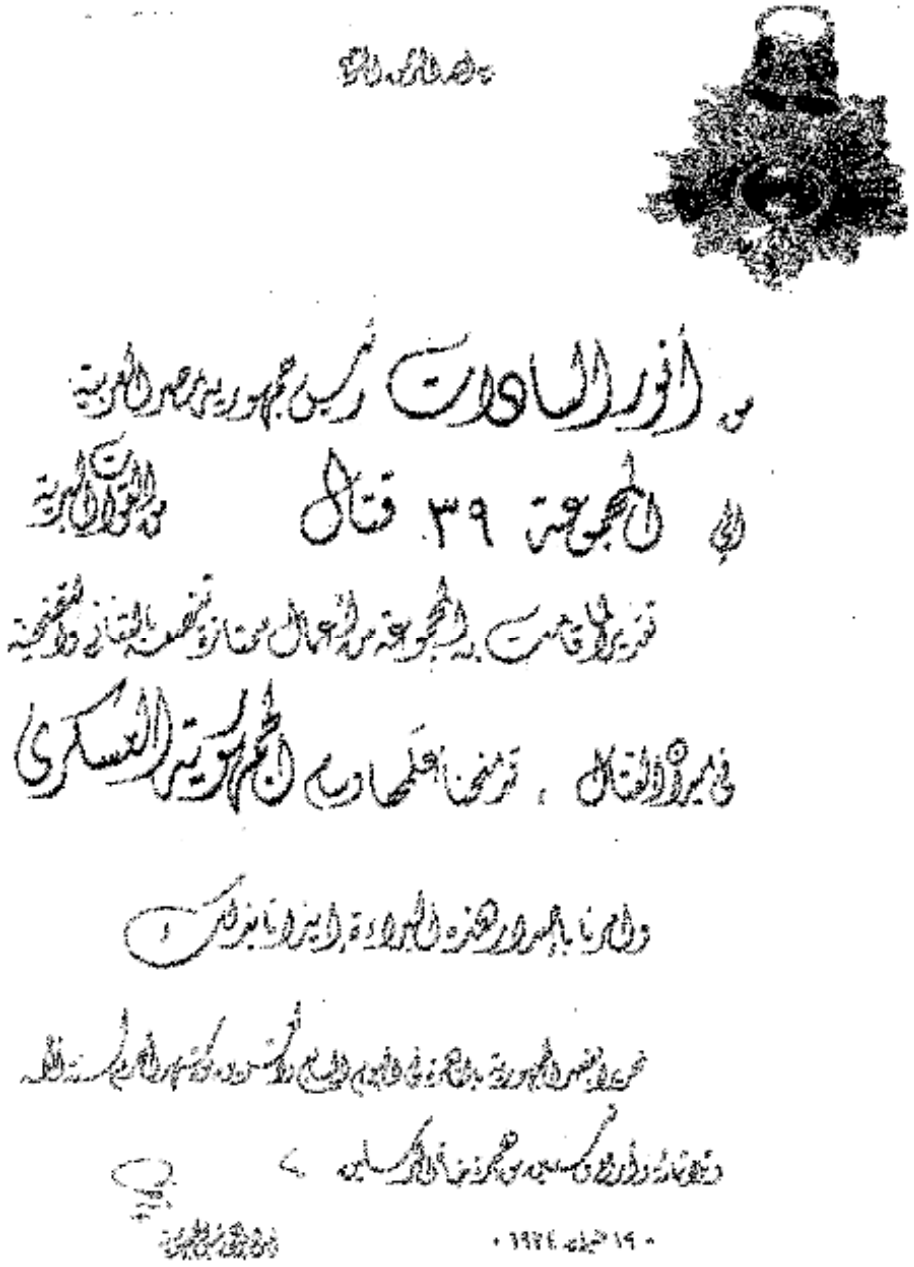

حصلت المجموعة كوحدة على وسام الجمهورية العسكرية من الرئيس أنور السادات

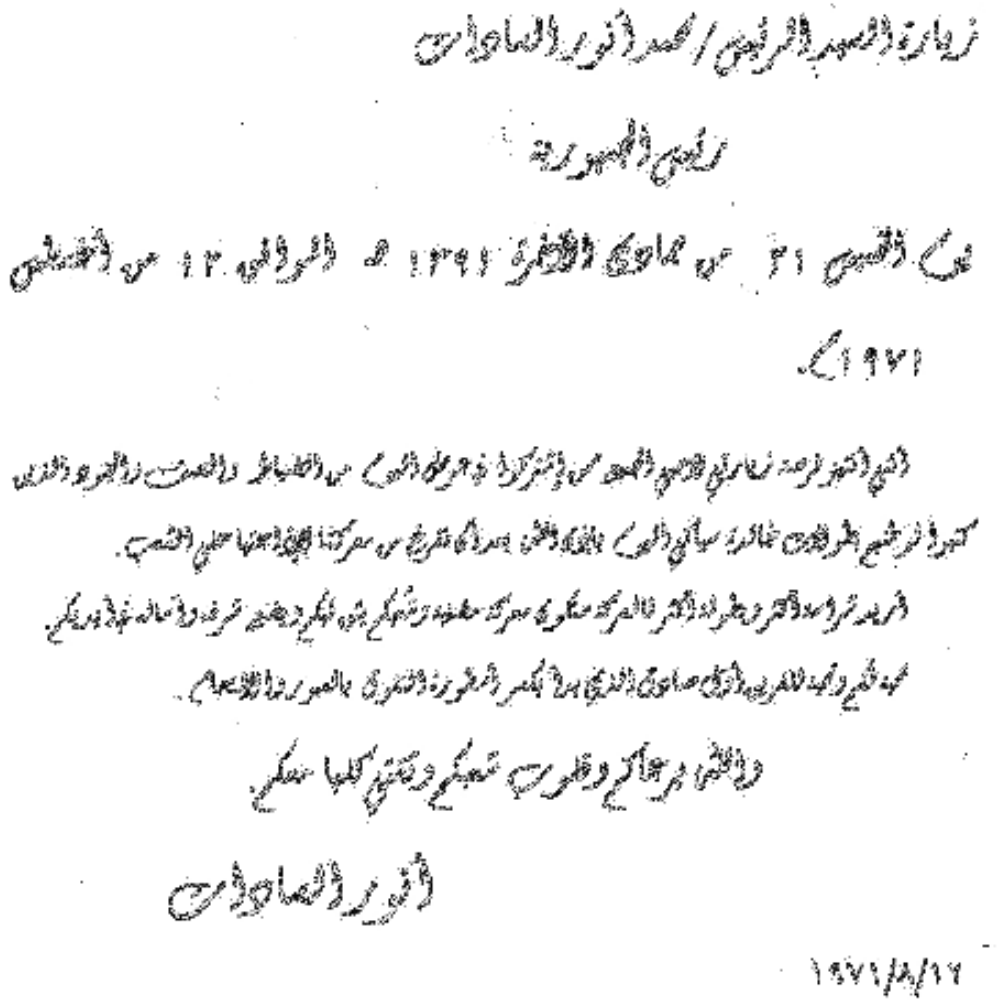

كلمة الرئيس السادات فى سجل المجموعة 39 قتال

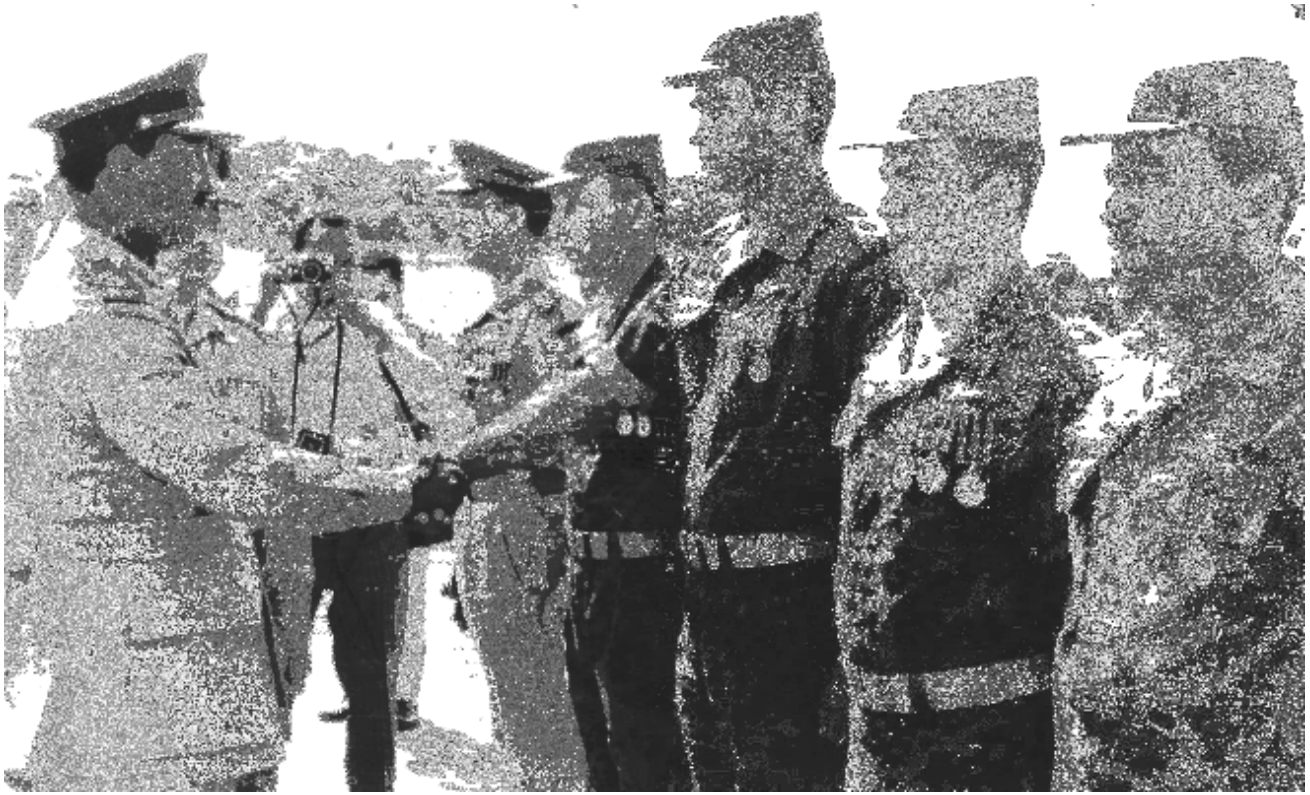

الرئيس السادات يكرم أفراد المجموعة39

مكتب مخابرات الغردقة

بعد التحركات المكوكية للمبعوث الأمريكى بين مصر وإسرائيل وقبول مصر إيقاف النيران – وأعتقد أن ناصر قبل ذلك لكى تتمكن مصر من بناء حائط الصواريخ على خط المواجهة مع إسرائيل لتتمكن الطائرات المصرية المقاتلة من التحرك فى أرض المعركة بحرية – وقد تم نشر هذه الصواريخ على طول الجبهة فى أعظم عملية خداع قامت بها المخابرات الحربية المصرية بقيادة اللواء (عبد الرحمن محرز) قائد المخابرات الحربية آن ذاك – لتسكن الصواريخ المضادة للطائرات بطول الجبهة مكونة بما يسمى حائط الصواريخ.

ومع سكون الحالة ووقف العمليات الحربية بدأت حالة الرفض ترجع لى ثانية .. متمثلة فى لقاءات مع بعض الضباط المقربين لى آن ذاك وهم الرواد فى ذلك الوقت (على هيكل) و(أسامة إبراهيم) و(عليمى الديب) و(محمود محرم) وكلهم من الصاعقة وقادة مجموعات عدا (محمود محرم) الذى كان يقود الكتيبة 93 صاعقة وكانت حساسية موقعة أنه فى جبل الأحمر على بعد عدة كيلو مترات من وزارة الحربية .. والمقدم (طارق منتصر) من المدرعات و(جلال النادى) من القوات الجوية.

وعندما علم الفريق (محمد صادق) بذلك عن طريق العميد (إبراهيم سلامة) قائد المجموعة 13 بالمخابرات الحربية – قرر استبعادى من مصر بإرسالى إلى السعودية كضابط

اتصال بدرجة ملحق حربى بعد أن عادت العلاقات مع السعودية .. مثلما ما فعل مع اللواء (عادل سوكه) الذى أرسله ملحق حربى بتركيا – وكانت هذه طريقته فى التوازن الأمنى .. حيث كان يهمه بالدرجة الأولى الروح المعنوية للقوات المسلحة .. فكان يتعامل مع هذه المواقف بالاستبعاد وليس بالقبض على رموز القوات المسلحة .. مثل ما ذكر لى ذلك فيما بعد المقدم (عصام الباز) مدير مكتبه فى ذلك الوقت. ومع رغبتى لعدم ترك مصر فى هذا الوقت العصيب وانتظارنا للمعركة الفاصلة فى أى وقت .. أو على الأقل أملا فى رجوع معارك الاستنزاف مرة أخرى.

وفى أيام قليلة وجدت جميع أوراقى جاهزة للسفر وتم استخراج الباسبور الأحمر الخاص بالدبلوماسيين وكان آخر عمل مكلف أن أقوم به أن أقابل السفير السعودى بالقاهرة بمقره بالزمالك .. ولكنى قررت أن افتعل معه مشادة أو موقفًا معاديًا حتى لا أسافر .. وفعلا تم ذلك.

فاستدعانى الفريق (صادق) معاتبا .. وقال لى عليك أن تختار بين مكتب مخابرات السويس أو الغردقة – فقلت له مكتب الغردقة وطلب منى التنفيذ فورًا.

وقد اخترت مكتب الغردقة لمعرفتى لأهل جنوب سيناء والذى سوف أستغلهم فى أعمال خلف خطوط العدو .. رغم ايقاف النيران بين مصر وإسرائيل.

ورغم ذهابى للعمل بالغردقة إلا أن مجموعة الضباط التى ذكرتها لم تنقطع بيننا الاتصالات وزادت أكثر كلما امتد

إيقاف النيران لثلاثة أشهر أخرى .. إلى أن توفى (جمال عبد الناصر) وتولى السادات الحكم - وطفح بنا الكيل وظهر لنا عدم وضوح الرؤية فى أننا سوف نخوض المعركة الفاصلة مع العدو – وكان هذا واضحا من خطب ووعود السادات ولكننا كنا لا نعى سياسته فى خطة الخداع الذى يتبعها .. أو عزمه على المعركة.

وكنا فى حالة حماس شديد وتسرع لتغيير قيادات الحكم .. لم يقلل منها إلا الرائد (علي هيكل) والرائد (عليمى) .. حيث كانا أكثر حكمة وتريثاً للأمور – لدرجة أنى والنقيب طيار (جلال النادى) قررنا توريط المجموعة فى سرعة التنفيذ .. حيث كان (جلال) هو نفسه طيار الرئيس (السادات) وقررنا أن فى أول تحرك مع الرئيس سوف ننفذ العملية وإخطار الزملاء بالتحرك حسب الخطة الموضوعة للاستيلاء على وزارة الحربية والإذاعة والتليفزيون وتغيير قيادات الجيش .. إلا أننا فشلنا فى التنسيق أكثر من مرة .. وذلك لسرية تحركات الرئيس وتغيير أسلوبها فى كل مرة .. علاوة على صعوبة الاتصال فى هذا الوقت .. والحرص فى التحركات لأننى على الأقل كنت معلومًا ومرصود لدى جهاز المخابرات الحربية (المجموعة 75، 13) .. وكنت على يقين من ذلك ومع هذا لم يكتشف هذا التجمع المكون من 2 مجموعة صاعقة وكتيبة ومجموعة مدفعية الصاعقة ولواء مدرع والطيار الخاص برئيس الجمهورية .. لقد كانت كل تحركاتنا مدعومة بسرية تامة – وكنت أموه عن هذا التجمع

بصداقات مع أناس ليس لهم صلة على الإطلاق بهذا التجمع .. وهذا ما جذب انتباه المتتبعين لى ولكن إلى لا شىء وأحب أن أنوه هنا أن رغبتا وإصرارنا على القيام بانقلاب عسكرى .. كان ليس حبا فى سلطة أو أصلاح فساد .. ولكنه كان فقط لكى نقوم بحرب ضد العدو واسترداد الأرض والانتقام لشهدائنا – لقد كانت هذه هى مشاعر كل الجيش المصرى .. بل الشعب أيضاً.

وهكذا لم تحقق هذه المجموعة ما خططت له رغم تماسكنا وإصرارنا على الهدف .. إلى أن قامت معركة 73 .. فكانت شفاءً لصدورنا ودرءًا لأى مبرر لنا.

استلام العمل

فى أوائل شهر يونيو عام 1970 توجهت إلى مدينة الغردقة لاستلام العمل وكان المفروض أن أكون ضمن قوة الخدمة الخاصة والذى كان العقيد فائق هو رئيس الفرع بالقاهرة والذى لم أتوجه للعمل عن طريقه .. بل أخذت أوامرى مباشرة من اللواء (محرز) مدير المخابرات وقت ذلك .. وكان قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية هو اللواء (سعد الشاذلى) والذى كانت تربطنى به علاقة احترام رغم اختلافى معه عندما تولى قياده القوات الخاصة فى عام 67 .. والتى كانت نتيجتها انتقالى إلى العمل بالمخابرات الحربية فى نفس تخصصى وهو العمل الخاص خلف الخطوط كما ذكرت ذلك من قبل. وكان النقيب (محمود محرم) قائد الكتيبة 93 صاعقة متمركز بالغردقة فى هذا الوقت لفترة .. وهى نفس الكتيبة التى شاركت فصيلة منها فى معركة شدوان البطولية.

وفى أول يوم قابلت (محرم) الذى أخبرنى أنه منذ يومين تم دفع ضابط يدعى الملازم أول (ثروت) لاستطلاع منطقة الطور .. وفى اليوم التالى تم دفع نفس القارب ومعه رقيب لإحضار الضابط ولكنه رجع بدونه مدعيا أن مركب إسرائيلى طاردته.. وأن الرقيب اتصل لاسلكيا بالضابط لالتقاطه وفهم منه أنه وقع فى الأسر فطلبت الجلوس مع الرقيب وقائد مركب الصيد.

ولكنى من استجوابهم وبخبرتى علمت أن قصصهم مفبركة .. وأنهم جبنوا ولم يتموا مأموريتهم لالتقاط الملازم (ثروت) ومن الطريف أن الملازم (ثروت) هذا .. كان له قصة معى قبل ذلك .. حيث كان ترتيبه من الأوائل فى فرقة الصاعقة .. والمفروض أن يتم حجزه للعمل بوحدات الصاعقة ولكن للأسف فى أنه كونه مسيحى رفض قادة الأفرع بمدرسة الصاعقة على الانضمام إلى قوات الصاعقة .. ولكنى تشددت فى هذا الأمر وصممت على أن يحجز بقوات الصاعقة لدرجة أننى هددت بالاستقالة .. ولكن بحكمة المقدم (صلاح عبد الحليم) قائد مدرسة الصاعقة حين ذاك .. صدق على حجزه ضمن قوات الصاعقة واعتبرت ذلك انتصارًا لى لكسر أى تفرقة فى المواطنة للعاملين بالصاعقة.

وها أنا ذا مرة أخرى يضعنى القدر فى طريقة لأتدخل لإنقاذه من خطر يحيق به .. حيث توجهت أنا والنقيب (محرم) إلى اللواء (سعد الشاذلى) لأخبره أن قصة الرقيب غير سليمة وسوف أتدخل كمكتب للمخابرات لإنقاذ الضابط وإحضاره من مدينة الطور .. ولكنى فوجئت باللواء (سعد الشاذلى) برفضه للتدخل من قبل المخابرات على أساس أن المأمورية خرجت من قيادة المنطقة وان الأمر متروك لها .. ولكنى أديت التحية وخرجت من مكتبه بقيادة المنطقة العسكرية بالبحر الأحمر .. حيث كنت قد جهزت مسبقا القارب والدليل الذى سوف أدفعه لإحضار الضابط ومع معرفتى للأرض بمدينة الطور وفعلا توجه الدليل فى نفس

الليلة ورجع فى نفس الليلة إلى الغردقة وقد أحضر الملازم ثروت معه. وعندما دخل (ثروت) ومعه الدليل صباحا إلى مكتبى .. طلبت (محمود محرم) تليفونيا ليحضر ومعه الرقيب .. وعندما دخل مكتبى فوجىء محرم بالملازم (ثروت) يجلس أمامى – وقلت لـ (محرم) تقدر دلوقتى تأخذ (ثروت) والرقيب إلى اللواء (الشاذلى) لكى يتصرف فى الأمر.

وعلمت فيما بعد أن اللواء (الشاذلى) حاكم الرقيب محاكمة عسكرية ووقع عليه جزاء العزل والسجن ثلاث سنوات.

وقد أكسبنى هذا الموقف الثقة والاحترام بين ضباط منطقة البحر الأحمر .. والأهم بين بدو جنوب سيناء الموجودين بالغردقة .. والذين بدأو للتسابق للتعرف علىَّ أكثر وعرض خدماتهم وخاصة الشباب الذين لديهم الدافع للعمل الفدائى وقد استثمرت هذا الموقف فى تجميع بعض منهم لتدريبهم على أعمال الضرب بالصواريخ وعمل رص الألغام والأشراك الخداعية .. وزاد حماسهم لمعرفتهم بما قمت به سابقا أثناء معارك الاستنزاف السابقة .. وأصبح لديهم الحماس للقيام بنفس الأعمال وخاصة بعد تدريبهم على هذه الأعمال.

اللعب على المكشوف

كمـا أكسـبتنى واقعـة المـلازم ثـروت ثقـة بـدو سـيناء الموجـودين بالغردقـة – فقـد سـاقتنى الأحـداث لموقـف آخـر أكسبنى ثقة بدو جنوب سيناء الموجودين فى جنوب سيناء تحت الاحتلال. كما قلت سابقا أن عملية الكمين السابقة التى تمت على الطريق الاسفلتى بالطائرة والقبض على ابن شيخ القبيلة ويدعى (عيد المغبش).

فقد قررت أن أضع مخططًا للإفراج عنه .. وفعلا أرسلت إلى شيخ القبيلة أبلغه أن أبنه سيتم الإفراج عنه فى خلال شهرين على الأكثر .. وكان هذا لا يخطر على باله أبدًا.

فأرسلت فى استدعاء أحد البدو الموجودين بسيناء ويدعى محمد سالم أبو بريك .. لعلمى أن هذا الرجل ذو ثقة عند العدو حيث كان يجيد اللعب على الحبلين بيننا وبينهم .. ولا أقدر أن أقول أنه عميل مزدوج لأن حتى هذه النوعية من البدو كانوا قلبا وقالبا مع وطنهم مصر .. إلا أنهم كانوا يتمتعون بالحنكة والسياسية لتسيير أمور ذويهم.

حضر (محمد سالم) إلى مكتبى بالغردقة وأعددت له غذاء فاخر وأمضى معى اليوم كله فى حفاوة وألتقط لنا مصور المكتب صورة وأعطيته نسخة من الصور – وعن عمد سربت له عن قصد بعض المعلومات وبشكل عفوى عن قواتنا وهى معلومة لا تضر – ولكن كان الغرض منها أنه عندما يرجع إلى جنوب سيناء سوف يقابل قائد مكتب المخابرات الإسرائيلى ويدعى أبو الديب (وللعلم كان هذا

الاسم حركى لكل من تولى مكتب مخابرات جنوب سيناء) .. ليبلغه بهذه المعلومات والصور سوف يتم إرسالها والرفع من شأنه على أساس أنه متدخل فى الشخصيات الهامة المصرية .. ثم ذكرت له العملية التى كانت نتيجتها سجن عيد المغبش 7 سنوات نتيجة تشابه كاوتش سيارته مع كاوتش الطائرة الهليوكبتر والتى بسببها تمت محاكمته .. وقد ذممت فى عيد .. لأنه رفض التعاون معنا فى مرات سابقة .. والله قد أنتقم منه لأنه غير وطنى .. وذكرت بعض الصفات التى تدل على كرهى له .. وفعلا عندما رجع (محمد سالم) ذكر ذلك كله – ولم يمضى شهر ونصف إلا وقد تم الإفراج عن (عيد) .. والذى أسعد ذلك كافة البدو بالجنوب .. وهم لا يعلمون سبب الإفراج عنه – إلا أبوه وقد أرسل لى امتنانه .. وقال أن أى طلب سيكون هو وقبيلته تحت أمرى .. وهى قبيلة المزينة بالطور وجنوب سيناء وفى زمن بسيط مهدت للعمل الفدائى بواسطة البدو سواء بالنسبة للمقيمين بالغردقة أو المقيمين بجنوب سيناء.

وبدأت فعلا فى التخطيط لأكبر عملية مسح لاستطلاع كافة المناطق بجنوب سيناء. وكذلك تنشيط أعمال التلغيم والضرب بالصواريخ رغم إيقاف النيران .. لأن القائمين هم أهل المنطقة المدنيين – أى رجعت مرة أخرى لأعمال منظمة سيناء.

وقد طلبت من اللواء محرز (مدير المخابرات) خمسة قوارب مطاطية وقمت بتدريب البدو على قيادتها وصيانتها

وإصلاحها حيث اعتبرت أن العمل عن طريق مراكب الصيد البطيئة .. هو عمل غير فعال .. وخاصة بعد أن شكل العدو وحدته الجديدة والتى أسماها (الوحدة 242) .. وسأذكر قصة إنشاء هذه الوحدة فيما بعد.

وقد نفذت فى فترة 9 شهور ما يقرب من 26 عملية ما بين استطلاع وأعمال تلغيم إلى أن استدعانى اللواء (محمد صادق) لمهمة فى القاهرة فى هيئة عمليات القوات مع العقيد (حسن الزيات) – وكانت هذه المهمة هى المشاركة فى التخطيط للعمل على جنوب سيناء وذلك ضمن مهمة (الخطة جرانيت) والتى نفذت فى معركة 73 .. وقد علمت أن الذى طلبنى للانضمام إلى هذا العمل هو العقيد (حسن الزيات) نفسه لعلمه بمعرفتى بجنوب سيناء .. وكذلك لاشتراكى معه فى عملية الاستطلاع القتالى التى تمت عندما قام العدو بالإغارة على منطقة الزعفرانة فى عام 1969 .. وما كان بيننا من تناغم وتناسق فى العمل رغم إننا كنا نتقابل لأول مرة .. وفى عمل حساس.

ورغم أنى كنت أصلا من قوات الصاعقة وهو من قوات المظلات ولكنه كان يخدم فى هيئة العمليات وأنا ضمن المجموعة 39 بالمخابرات الحربية .. وكان معنا فى هذه المهمة الطيار (جلال النادى) – والذى كان كالعادة يتمتع بجرأة وحنكة فى هذه العملية – والذى بفضله تمكنا من عملية الاستطلاع القتالى مع العدو فى منطقة وادى عربة

والزعفرانة .. وتوصيل المعلومات أولاً .. بأول .. رغم تفوق العدو الجوى.

نرجع مرة أخرى إلى الخطة جرانيت والتى شاركت فيها بالتخطيط مع حسن الزيات فى الجزء المخصص للعمل بجنوب سيناء .. والتى كان الهدف منها السيطرة على جنوب سيناء وخاصة منطقة شرم الشيخ – ورأس نصرانى بغرض إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية لاستخدامها كورقة ضغط على إسرائيل للانسحاب من سيناء أو للتفاوض كما يتراءى للقيادة السياسية.

وبعد انتهاء مرحلة التخطيط .. كلفت من قبل الفريق (صادق) للقيام بتدريب قوات الصاعقة المشتركة فى التنفيذ والتى كانت ستتم بواسطة 40 قاربًا مطاطياً وطائرات الهليكوبتر .. وناقلات بحرية للجنود وقد اخترت منطقة الفيوم للتدريب لاستغلال بحيرة قارون للتدريب على العبور بالقوارب ولأعمال القتال فى الجزء الغربى من الجبال المحيطة بالبحيرة.

وكان لا يعلم بتفاصيل الخطة إلا أنا والعقيد (حسن الزيات) كقيادة عامة ومن قوات الصاعقة رئيس العمليات المقدم (صالح فضل) والمقدم (فاروق الفقى) رئيس الفرع الهندسى لقوات الصاعقة – وقد تحملت مسئولية تدريب أربعين صف ضابط حديثى التخرج للتدريب على قيادة القوارب وصيانتها وكذلك الملاحة البحرية .. وما يصاحب ذلك من عمليات الإنزال البحرى والإبرار الجوى لقوات الصاعقة .. إلا أنه

وقبل انتهاء التدريب الذى استمر قرابة الشهر .. رصدت وحدات الاستطلاع .. والاستطلاع اللاسلكى عن وجود تدريب للعدو بنفس الأسلوب وفى أماكن ما. مما يدل على أن هذه الخطة قد تسربت للعدو .. وفعلا استدعانى الفريق (محمد صادق) ومع العقيد (حسن الزيات) للوقوف على الأمر .. ونشطت أجهزة المخابرات لتكتشف أن المقدم (فاروق الفقى) ما هو إلا عميل لإسرائيل بقصته المعروفة والتى أنتجت فى فيلم (الصعود للهاوية) – وهو الذى كان ضمن الأربعة الملمين بالخطة وكان مشاركًا معنا فى التدريب بمنطقة الفيوم مما جعله مطلعًا على التفاصيل التى أوصلها إلى إسرائيل.

لقد كانت شخصية (فاروق الفقى) غريبة الأطوار .. لقد كان مخلصا جدًا فى أى عمل يقوم به .. حتى التجسس .. لقد كان جاسوسا مخلصا .. حيث كان يبلغ عن أشياء ليس مطالب بها .. أمام حبه الشديد لمن قامت بتجنيده وهى مصرية كانت تعيش فى باريس واستغلت هذا الحب فى تجنيده – العقيد (فاروق الفقى) كان يرافقنى فى تدريب الأفراد على القوارب .. وعندما تنتهى ساعات التدريب .. كان يبقى معهم بعد أن أغادر المنطقة إلى المنزل ليشرح لهم الفنيات ويستزيدهم فى التدريب .. لقد كانت شخصيته .. شخصية غربية الأطوار.

كان كل هذا فى عام 71 .. وعندما جاء توقيت تنفيذ ذلك فى عام 73 (معركة أكتوبر) .. استدعانى (سعد الشاذلى) برفقة اللواء (نبيل شكرى) ليعطينى خطابا صادرًا من القيادة

(مركز 10) بمسئوليتى على تنفيذ هذا المخطط ضمن قيادة منطقة البحر الأحمر .. ولكنى فوجئت بتغيير شامل للهدف والخطة وأسلوب التنفيذ – فالغرض كان التحكم فى خليج العقبة - ولكن مع عدم وجود قوات للسيطرة على الأرض حيث تم إلغاء اشتراك أى وحدات من المظلات أو كتيبه المشاة التى كانت ستعبر إلى منطقة الطور– ولا تنسيق بين وحدات الصاعقة برًا أو بحرًا أو جوا مع تقدم اللواء الأول والذى مفروض أن يتقدم من خلال عيون موسى إلى الطور.

واختصر العمل على إنزال وحدات الصاعقة لتنفيذ مهمة دفاعية على الأرض التى سيتقدم فيها اللواء الأول مشاه من خلال الجيش الثالث الميدانى مخترقا عيون موسى إلى رأس سدر.

فلأول مرة يعطى واجبًا دفاعياً لوحدات خاصة (الصاعقة المصرية) مما يحكم بالفشل على العملية قبل أن تبدأ – واعترضت على هذا التغيير فى الخطة .. لكن الأوامر هى الأوامر. وهنا شعرت أن الرئيس (السادات) كان لاختياره اللواء (سعد الشاذلى) أبعد ما يكون عن التوفيق أو الحكمة .. على الأقل من وجهة نظرى فى هذا الجزء من العمل. وفعلا أن ما حدث من خسائر غير مبررة فى هذه العملية فى معركة أكتوبر 73 بمنطقة جنوب سيناء مؤسف للغاية .. بل كان استخدام الصاعقة أيضا فى شمال سيناء ابعد ما يكون عن الصواب لاستخدام مثل هذه القوات .. مما عرضها لخسائر كبيرة دون الاشتراك فى المعركة .. وأعتبر أن المسئول الأول عن هذا هو اللواء (سعد الشاذلى) وكذلك كل من صادق على هذا التغيير فى استخدام قوات الصاعقة.

عملية الكيلو 99

فى الجزء السابق شرحت بموجز ما تم منذ إيقاف النيران عام 70 إلى معركة 73 والتى شاركت فيها ضمن مجموعتى من وحدات الصاعقة .. لقد كان قواد هاتين المجموعتين هما الرائد (كمال عطية) والرائد (سمير توفيق) والتى أبرت فى منطقة جنوب سيناء والتى قاتلت بما لديها من إمكانيات بشرف ولآخر جندى لدى هذه القوات فى ظروف صعبة للغاية وبتخطيط مخالف تماما لمهام الصاعقة .. بعد أن بدله اللواء (الشاذلى) إلى مهام دفاعية لا تناسب فعل هذه الوحدات ثم انتهت مهمتى لأنضم ثانية إلى قيادة الصاعقة بألماظة حيث كنت قائدًا لمدفعية وحدات الصاعقة والتى توزعت بالفعل على كافة مجموعات الصاعقة سواء المضادة للدبابات وهى كتيبة (الميلودكا) و فوج (المسار) وهى وحدة صواريخ الميدان المسلحة بصواريخ (جراد/ب) وهذا الصاروخ يتميز بأنه من أشد الصواريخ القتالية حيث تشمل الدانه على خمسة آلاف بلية وهو صاروخ متفجر/حارق ومداه يصل 11 كم فوضعت مخططًا للمرور على هذه الوحدات الملحقة على مجموعات الصاعقة وعندما زرت المجموعة (127 صاعقة) والتى كان يقودها الرائد (جمال فهمى) وهى متمركزة بطريق السويس عند الكيلو 99 .. وملحقة للعمل مع اللواء مشاة وكانت هناك كتيبة مشاة ملاصقة لمجموعة الصاعقة تتمركز فى طريق السويس فى خطوط دفاعية وكانت مجموعة الصاعقة

تتمركز تحت جبل عتاقه جنوب الكتيبة المشاة .. ولكن استطلاعى للمنطقة وتحليلى لها أثبت الآتى:

وجود مسافة بين كتيبة المشاة المصرية بقيادة المقدم (صلاح الحلبى) والذى أصبح رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة فيما بعد ثم رئيس الهيئة العربية للتصنيع وبين قوات العدو حوالى 2كم والكتيبة المصرية عند الكيلو 98 والعدو عند الكيلو 100.

وجود تبة قريبة من القوات المصرية أكثر منها لجهة العدو ومع هذا فإن قوات العدو تقترب يوميا من هذه التبة قبل آخر ضوء وتقوم بالتدريب على الرماية بالدبابات على هذه التبة.

وجود مضيق بين المجموعة (127) صاعقة والكتيبة المصرية غير مؤمن ولكنه محدد بنواطير من الزلط وغير واضح المعالم حوالى 200 إلى 300 م متصل بمضيق رئيسى يسير أسفل جبل عتاقة لينتهى عند وادى حجول خلف قيادة الجيش الثالث الميدانى وبينه وبين القاهرة 40 كم.

عندما صعدت فوق سلسلة جبال عتاقة وجدت فوق قمة كل جبل مربع محدد بالزلط .. مما يدل على أن هناك أشخاصًا ما حددت هذه الأماكن كعلامة لهبوط الهليكوبترات.

وجود منطقة إدارية فى العمق للعدو بحوالى 11 كم وموقع مدفعية 155 مم .. كان ظاهرًا جلياً بالنظارة المعظمة.

وعندما عدت من الجولة الاستطلاعية سألت المقدم (جمال فهمى) قائد المجموعة عن هذه الأشياء .. وجدت أن لا علم

له بها – وقال دى حاجات من زمان .. ولكن كان تحليلى كالآتى:
يقوم العدو بتعويد القوات المصرية على أنه يتدرب فى هذه المنطقة مع أن هذه التبة قريبة جدا من المضيق غير الواضح ومعلم بالنواطير.
أن تحديد أماكن الهبوط فوق الجبال .. هى من أعمال العدو من وحداته التى تعمل خلف الخطوط.
واتضح جلياً أنه فى حالة تطوير هجومه سوف يستغل حركة هذه الدبابات مع آخر ضوء لتندفع كمقدمة لقوات أكبر عبر هذا المضيق والذى لا يبعد عن المضيق الرئيسى أكثر من نصف كيلو متجهًا إلى وادى حجول .. حيث يكون فى خلال ساعة خلف قواتنا وبينه وبين القاهرة 40 كم.
وذلك كله بمساعدة قوات خاصة تهبط فوق قمم الجبال من الهليكوبتر .. وذلك لتأمين تقدم قواته عبر المضيق. شرحت هذا التحليل للمقدم (جمال فهمى) .. والذى إجابنى .. (متخفش أحنا مصحصحين لهم قوى .. بس خليهم يعملوها .. وإحنا حنوريهم).
ولم يعجبنى هذا الرد وقمت بعمل قد لا يكون دارجًا فى الأمور العسكرية وخاصة إذا سمعه رجل عسكرى .. فقد يقول: (إن هذا هراء) .. ولكن هذا ما حدث فقد أعطيت أوامرى بدون علم قائد المجموعة (جمال فهمى) إلى قائدى مجموعة (الفهد) الصواريخ المضاد للدبابات ومجموعة (المسمار) الصواريخ جراد (ب) .. بأن يحتل الفهد بأربع

أطقم فى مكان مناسب للتبة التى يستخدمها الإسرائيليون للرماية فى آخر ضوء – وكنت قد دربت فى فترات سابقة بعض الأطقم للرماية من أعلى إلى أسفل بالصواريخ الفهد .. وهذا أصعب بكثير من الرماية السطحية – وبالصدفة كان هنا ثلاثة أطقم من الأربعة من المحترفين.

وكان الأمر للمسمار بأن يحتل أعلى قمة أحد الجبال بعدد 2 لونشر ومع كل لونشر (قاذف) وأربعة صواريخ .. حيث كان الصاروخ الواحد يحمله فردان بعد أن يجزء إلى قسمين .. وقد حدد العدو التوقيت حيث إنه يحضر قبل آخر ضوء بساعة وينسحب مع آخر ضوء.

أعطيت أوامر بالاشتباك قبل انسحاب الدبابات مباشرة وفى نفس الوقت تم إطلاق الصورايخ على مدفعية العدو 155 ومنطقة الشئون الإدارية فى عمق قواته.

وكانت النتيجة تدمير ثمانى دبابات وهربت واحدة .. وإصابة مدفعية العدو ومنطقة الشئون الإدارية بإصابات مباشرة حيث كان الموقع مكشوفًا وبالعين المجردة من أعلى الجبل – وتم سحب الأطقم بسرعة.

وأثناء ذلك كنت قد جهزت تقريرى مدعمًا بالصور من الكاميرا التى كانت معى إلى قيادة الصاعقة بمنطقة الماظة وتم تحميض الفيلم ثم توجهنا لعرض الموضوع على المشير (أحمد إسماعيل) بمركز قيادته .. حيث قال مداعبا هو أنت اللى اشتبكت بدون أوامر .. وقال مداعباً .. يبقى لازم تتحاكم – وأمر على الفور بأن يتقدم المقدم (صلاح الحلبى)

.. فى نفس الليلة إلى الأمام بحيث يكون شرق التبة ويضيق المسافة بينه وبين العدو إلى مسافة كيلو واحد فقط .. وتم دفع عناصر مضادة للدبابات لصد أى هجوم من خلال المضيق المؤدى إلى وادى حجول – وأن تحتل مجموعة الصاعقة أعالى الجبال والسيطرة عليها – وقد تم كل هذا قبل أول ضوء من صباح اليوم التالى.

وكانت هذه آخر عملية بعد قبول إيقاف النيران – وأردت أن اذكرها بالتفصيل لتوضح أن القوات المسلحة ليست أوامر جامدة فقط بل كان المبدأ أن القيادات تقف بجانبك مادمت تؤدى واجبك .. حتى بدون أن تنتظر أوامر من الأعلى أو لو كنت حتى مخالفا للأوامر مادامت فى صالح الوطن.

والله خير حافظ ...

وفى هذه الفترة بعد استبعاد الفريق أول (محمد صادق) من وزارة الحربية .. بدأ زبانية المخابرات الحربية .. الذين كانوا ينصحون بالقبض علىّ .. واكتفى (محمد صادق) باستبعادى من التشكيلات فقط حفاظًا على الروح المعنوية .. كما أخبرنى سكرتيره المقدم (عصام الباز) .. باعتبارى رمزًا فى هذه الفترة فى الأعمال القتالية.

ولكنى لمواجهه هذه الفترة استخدمت كل ما أملكه من مكر وفطنه فى إيقاع بعض من هؤلاء الأفراد فى بعضهم البعض .. بحيث أصبح الجميع يخفى ما تم تأشيره على الملف الخاص بى .. وفى الوقت المناسب طلبت نقلى إلى وحدات الصاعقة.

كما أن عبور بحر الرمال الأعظم مخترقا هضبة الجلف الكبير كان عملا رائدًا لم يسبقنى فيه أحد .. ولم يقدم عليه أحد من بعدى حتى كتابة هذه السطور فى أواخر عام 2009 – وقد وصل الإنسان للقمر .. ولكن حتى الآن لم يعبر أحد هذه المنطقة (هضبة الجلف الكبير) .. وذلك لمخاطرتها وصعوبتها.

كما كانت عملية الكفرة اختبار لى وذلك لتمسكى بمبادئ معينة .. وللمرة الثانية أرفض الاشتراك فى القتالى ضد الإنسان العربى.

وقد ذكرنى التكليف بإنشاء الوحدة777 (وحدة مقاومة الإرهاب) .. بنفس التحدى الذى واجهته عند إنشاء مدرسة صاعقة ومركز تدريب ووحدة (كتيبة صاعقة) بالجزائر .. حيث كان لا مرجعية ارجع إليها ألا خبرتى وتخطيطى سواء فى التشكيل أو التدريب .. ومع هذا كانت هذه المنشآت من أفضل التشكيلات وأشاد كل المحيطين بها.

وقد أخذ التحدى عندى للمواقف .. ممارسة المحترفين فى عملهم. وقد حصلت خلال حياتى العسكرية على ارفع الأوسمة والنياشين – حيث تم ترقيتى من رائد إلى مقدم فى معارك الاستنزاف .. وحصلت على النجمة العسكرية .. ونوط الشجاعة العسكرية مرتين .. ونوط الجمهورية العسكرية .. والتدريب .. والقدوة الحسنة .. والخدمة الطويلة .. ونيشان منظمة سيناء العربية.

المصرى

الإنسان المصرى .. ما هو إلا خليط من كافة الأجناس سواء الأسيوى أو العربى أو الشامى حتى بلاد القوقازَ والأتراك وشمال أفريقيا – توالت كل هذه الأجناس عبر مئات السنين .. ولكن أرض مصر هى أعظم بوتقة فى العالم تصهر كافة القادمين إليها ليصبحوا مصريين دمًا ولحمًا .. ونيل مصر وطميها هو من أقوى الأكاسيد المذيبة لكافة الأجناس والعرقيات والمذاهب والأديان ليصبح مصريًا خالصًا. حتى الغزاة وإن مكثوا بأرض مصر عشرات السنين .. لم يغيروا فى شعبها .. لا فى العادات ولا التقاليد .. أو حتى اللغة.

بل يتأثر المستعمر به وليس كما تم فى أهل شمال أفريقيا أو بلاد الشام .. وقد يضيف من الثقافات الأخرى إلى ثقافته .. لكنه لا يعتنق ثقافة الغير.

قد يتمكن أى عدو أن يتقدم فى عمق مصر ما دام يسير فى صحراء ولكنه عندما يصطدم بمدن مليئة بالبشر فإنه يأخذ درسًا لا ينساه مثلما حدث فى معركة رأس العش وهى مدخل مدينة بور فؤاد أو كما حدث عندما أراد أن يدخل مدينة السويس فى معركة 73 – أو كما حدث للعدو فى بور سعيد فى حرب 56 – ومن قبلها فى معركة رشيد أو معركة المنصورة بقيادة الصالح أيوب وشجرة الدر.

لقد مر الجيش الألمانى بعشرات المدن مخترقا فرنسا وكذلك بولندا وغيرها .. ولم نجد شعبًا مثل بور سعيد أو السويس أو المنصورة.

حتى فى روسيا .. أن ذكر معركة ستالينجراد أو صمودها لم يكن بفضل شعبها .. بل بفضل الطبيعة التى ساعدت على عدم تقدم الجيش الألمانى .. كذلك وجد المستعمر فى فرنسا حكومة فيشى العميلة فى حين لم يجد فى مصر حكومة ينشئها فى سيناء عندما رفض أهل سيناء أن تكون لهم حكومة مستقلة عن مصر. هذا هو المصرى الذى يمكن أن تختصره بين كلمتين قالهما الأولى بعد معركة 67 عندما خرجت جموع البشر لتهتف يوم تنحى ناصر وهو كلمة (سنحارب) والكلمة الثانية (الله اكبر) عندما صدق وعده فى معركة 73. هذا هو المصرى الذى عندما أخذ أمرًا بالصمود .. لم يتزحزح عن رأس العش فى معركة 67 .. ولم يستسلم فى معركة موقع كبريت فى معركة 73 صامدا لمدة 62 يومًا أمام جيش العدو بكامل عتاده حتى تم إيقاف النيران. هذا هو المصرى الذى عاش وتعايش على الكفاف وبطاقات التموين لما يقرب من سبع سنوات ليوفر كل إمكانية لقواته المسلحة لردء العدو عن أرضه – وقد انخفضت معدلات الجرائم طوال هذه الفترة بل وانعدمت لتصبح صفر بدءً من معركة 73 .. ولمدة أشهر.

العودة إلى وحدات الصاعقة

بعد أن قمت بالاشتراك فى تدريب وحدات الصاعقة والقرر اشتراكها فى الخطة جرانبت بمنطقة جنوب سيناء .. رجعت على إدارة المخابرات لألتحق بالعمل فى فرع الملحقين الحربين قسم الملحقين العرب .. ولكنى بعد عدة أشهر أخبرت رئيس الفرع أنى لا أرغب فى هذا العمل وأنى لم أتعود على العمل بالمكاتب وعلى هذه الأرضيات الباركية .. فتم نقلى إلى مدرسة المخابرات الحربية والتى عملت بها كمحاضر ومعلم.

وما هى إلا أشهر حتى تم الانقلاب الصامت الذى قام به السادات فى رمضان (شهر أكتوبر) عام 1972 .. وذلك ليقيل الفريق أول (محمد صادق) من منصبه كوزير للحربية ويأتى بأحمد إسماعيل وزير للحربية .. ويبدل مدير المخابرات الحربية اللواء (مصطفى محرز) باللواء (فؤاد نصار).

وبدأ اللواء (فؤاد نصار) فى استبعاد أكثر من عشرين ضباط من الإدارة إلى وحداتهم .. وبعد فترة .. وبعد أن وجدت نفسى ولم يتم نقلى .. فطلبت مقابلة اللواء (فؤاد) .. وقلت له أن عملى كمدرس بالمخابرات الحربية لا يناسبنى .. وأنا طبيعة عملى القتال .. وأرغب فى أن أنضم إلى وحداتى الأصلية وهى وحدات الصاعقة.

فأندهش اللواء (فؤاد) أن أنا الضابط الوحيد الذى طلب نقله من إدارة المخابرات الحربية .. وأشاد بصراحتى فى الكلام.

فقلت له .. لكن لى مطلب .. الأول أنى أصلا ضابط مدفعية .. وهناك قرار أنه لا يخدم بوحدات الصاعقة ضمن المجموعات إلا ضباط المشاة .. ولكن خدمتى بالمجموعة 39 قتال فى أعمال قتالية أثناء معارك الاستنزاف .. تشفع لى أن أخدم بالصاعقة – ثانيا أن هناك تأشيرة على ملف خدمتى أن لا أخدم بتشكيلات قتالية (وكان قد أوصى بذلك العميد فريد سلامه وهو مسئول عن أمن الضباط).

ولكن اللواء (فؤاد نصار) .. رفع سماعة التليفون على الفور ليتحدث مع اللواء (نبيل شكرى) قائد وحدات الصاعقة .. ويطلب منه أن أنضم على وحدات الصاعقة وبالتشكيلات.

وعندما ذهبت إلى اللواء (نبيل شكرى) أخبرنى أن نشرة القيادة ستكون بعد 6 أشهر .. وعلىّ الانتظار على أن أتولى قسم التوجيه المعنوى بقيادة الصاعقة .. ولكنى طلبت منه أن أتولى قائد مدفعية وحدات الصاعقة .. حتى تتم نشرة الانتقالات.

وقد طلبت منه أن نجمع كافة وحدات مدفعية الصاعقة فى تنظيم مجموعة قتال .. وفعلا تم ذلك .. وتم نقل هذه المجموعة من إنشاص إلى منطقة الماظة عند طريق السويس ومنطقة (شيراتون فيما بعد) وكان اختيارى لهذا الموقع هو التحكم فى طريق السويس وطريق الإسماعيلية فى حالة القيام بأى عمل إيجابى.

هضبة الجلف الكبير
(البحر الرمال الأعظم)

فى أعقاب معركة 73 .. انتهت تقريبا حرب 67 – 73 أو الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة وما تلاها من زيارة القدس .. واتفاقية كامب ديفيد .. والتى كنت فى هذه الفترة عدت لأقود مدفعية وحدات الصاعقة مرة أخرى .. ولكن أصابعنا كانت على الزناد حتى رحل آخر جندى إسرائيلى عن تراب مصر.

وفى صيف عام 76 كلفت بأن أعيد استطلاع طريق باجنولد والذى يبدأ من الواحات الداخلة والخارجة إلى كفر البلاص جنوبا إلى واحة باريس إلى العوينات على حدود السودان ملتفًا حول هضبة الحلف الكبير ثم الاتجاه شمالا حتى واحة الكفرة .. وذلك بغرض استطلاع أماكن تشوين لأى أعمال ضد ليبيا .. حيث تحولت دفة وطبول الحرب من الشرق إلى الغرب ضد ليبيا وكان واضحا لنا جميعا أن الرئيس السادات افتعل ذلك إرضاء لأمريكا والتى كانت هناك شبه مواجهة عسكرية ومواجهة دبلوماسية كاملة بين ليبيا وأمريكا.

المهم قمت بالتخطيط لهذه العملية بتجهيز 5 عربات جيب أمريكانى وعربة نقل 3 طن ماركة (زيل) .. وطائرة هليكوبتر للمعاونة والإنقاذ .. تنتظر فى مطار أسيوط والعمل كقاعدة لنا متصلا بجهاز لاسلكى .. تحركت من القاهرة إلى صعيد مصر حتى أسيوط .. ومنها إلى واحات الداخلة والخارجة وبعد المبيت بالواحات .. بدأت رحلتنا عبر

الصحراء الغربية السادسة صباحًا .. إلا أن الكثبان الرملية والرمال المتحركة .. والتى ليس لنا خبرة بالسير فيها – وأذكر أننا مكثنا فى أول عشرة كيلو متر من السادسة صباحًا حتى الثانية ظهرًا .. أى حوالى 8 ساعات .. حتى تدربنا تماما على السير فى الكثبان الرملية .. ولم يصبنا أى يأس .. فتحركنا حتى وصلنا كفر البلاص وهى منطقة خالية من أى مظاهر للحياة أو أى مبانى ولا أعلم فى سر تسميتها كفر .. ولكن كلمة بلاص فلأنها المنطقة التى دفنت الرمال المتحركة جيش قمبيز .. ويبدو أن الكم من القدر والبلاليص الفخار التى كان يحملها جيش قمبيز على البغال والجمال تجمعت فى هذه المنطقة والتى كانت واضحة جيدًا على سطح الرمال من كثرة شطف الفخار المبعثرة فى كل مكان.

كفر البلاص

صورة مع الدليل أثناء عبور بحر الرمال الأعظم

لقد كانت وقفتى عند كفر البلاص مفترقاً هاماً لهذه العملية .. حيث كان على أن اتجه جنوبا إلى واحة باريس ثم العوينات ثم شمالاً مرة أخرى إلى واحة الكفرة بليبيا .. فى حين أن اتجاهى فى خط مستقيم إلى جهة الغرب .. يختصر المسافة تماما إلى واحة الكفرة ولكن بدراسة الأرض والخريطة التى معى كان هناك عائق وهى هضبة الجلف الكبير – والتى كانت عبارة عن سلسلة جبال تشبه سلسلة جبال سيناء المرتفعة جدًا .. وبين هذه الجبال كثبان رملية ورمال متحركة .. ومن هنا كانت صعوبة اجتياز هذا المانع وهى هضبة الجلف الكبير .. وهنا علمت لماذا التف (باجنولد) وهو ضابط إنجليزى قاد مجموعة خفيفة الحركة تسمى بمجموعة الصحراء بعيدة المدى .. وقام بعدة عمليات ضد القوات الألمانية فى شمال أفريقيا أثناء الحرب العالمية الثانية – وقام باختراع بوصلة سميت باسمه (بوصلة باجنولد) وكان ذلك عام 1933 – وكذلك ألتف (كلايتون) وهو ضابط ألمانى .. قام باستطلاع نفس المنطقة لنفس الغرض التى قام بها (باجنولد) من شمال هضبة الجلف الكبير من عند الواحات البحرية اتجه شمالا ثم غربا متفادياً الهضبة ثم جنوبا إلى واحة الكفرة وكان ذلك عام 1936. وما كان استطلاع (باجنولد) أو (كليتون) للصحراء الفاصلة بين مصر وليبيا فى جنوبها .. إلا لربط الواحات المصرية بواحة الكفرة وواحة جغبوب استعدادا للمواجهة المقبلة بين

قوات المحور وقوات الحلفاء .. والتى تمت فى الحرب العالمية الثانية.

ولكنى فى هذا الوقت قررت أن اتجه من كفر البلاص إلى واحة الكفرة مباشرة عبر الهضبة .. والتى أخبرنى الدليل الذى كان يرافقنى .. أن هذه الهضبة لم تخترق من قبل وفيها مخاطرة كبيرة .. واستغربت بينى وبين نفسى أن الإنسان وطأ بقدمه القمر .. ولم تطأ قدم إنسان هذه الهضبة – ولكنى قررت أن أقدم على هذه المغامرة .. كانت لدى أسبابى وهى: أن (باجنولد) أو (كلايتون) .. ليست هذه بلدهم .. وأنا مصرى .. وهم أجانب.

أننى أصلا خبير بجبال سيناء .. وأن الهضبة التى أمامى كبيرة الشبه بجبال سيناء .. وأعرف جيدًا كيف يقص الجبل .. كما أن الرمال المتحركة التى بين الجبال أخذت تدريبًا كافيًا عليها فى بداية رحلتى.

أثناء عملية تحديد الاتجاه (بحر الرمال الأعظم)

– أن العربات التى معنا موديل 76 – أما باجنولد وكلايتون كان مركباتهم صنع الثلاثينات.
وحسب التعليمات كان على أن أبلغ موقفى للقاعدة بأسيوط .. الموقف أولاً بأول – ولتجنب أى أوامر بعدم الموافقة على تغيير خط السير .. قررت غلق الجهاز اللاسلكى لعدم تلقى أى تعليمات تمنعنى من قرارى.
بدأت التنفيذ من كفر البلاص فى صباح اليوم التالى فى اتجاه الغرب مباشرة .. وأتذكر أننى قمت بعمل بوصلة مبتكرة على غطاء العربية الأمامى (الكبود) .. ببعض الرسومات لزوايا السير وسلك طويل نوعا ما لاستغلال ظلالها وأخرى للحفاظ على الاتجاه المباشر لمكان الفتحة التى بين الجبال .. وذلك لعبور هذه السلسلة من الجبال وقد حسبت المسافة التى من المفروض أن نغطيها وكانت حوالى 300 كم .. قطعتها فى يومين أى حوالى 150كم فى اليوم .. وهذه المسافة تقطع على الطرق الممهدة فى ساعة ونصف .. ولك أن تتخيل مدى صعوبة السير فى هذه الأراضى فقد يقرأ عداد السيارة 100 أو 120 كم فى الساعة .. لكن فى الحقيقة تكون30 أو 40 كيلومتر فى الساعة فى بعض الأحيان – حيث تكون سرعة دوران العجل ليست هى الحقيقية على أرض .. رغم أننا قمنا بتفريغ نسبة كبيرة من هواء عجلات السيارات .. حتى يلامس أكبر جزء من الكاوتش للأرض.
مع الحفاظ على الاتجاه وفتحة الجبل التى قررت أن أعبر من خلالها .. وجدنا أنفسنا نسير فوق قمم الجبال فى أراضٍ

مسطحة ذات كثبان رملية متماسكة نوعا ما .. مما يسهل السير بالعربات .. وكانت هناك ملحوظة مناخية خاصة حيث كانت أى نيران نشعلها لعمل الشاى او لأى غرض نجد أن لونها ازرق باهت ومن الممكن أن تمر يدك من خلالها دون أن تحس بأذى ممكن وأن الشرب فى كوز الشاى المعدنى من الممكن أن تمسكه بيدك المجردة دون أن تشعر بحرارة شديدة – وأن السيجارة نأخذ زمن ربع ساعة بدلا من 7 أو 8 دقائق .. كما أننا لم نجد أى مظاهر للحياة سواء ذباب أو حشرات أو نبات على الإطلاق.

ومن حكمة الله أن أى نيازك تقع على الأرض تقع فى منطقة الصحراء الغربية لمصر وخاصة منطقة الجلف الكبير بين الجبال .. وفى منطقة صحراء نفادا بأمريكا .. وهذه رحمة من الله لعدم وجود أى كثافة أو حياة للبشر – ومن المعلوم أن حجر النيزك من الأحجار الغالية الثمن .. وليست كحجر كريم .. ولكن لاحتوائها على اليورانيوم بنسبة عالية جدا .. وقد عثرنا على كمية كبيرة من هذه الحجارة والتى أحضرنا بعضها. وكانت هناك مشكلة لم أقدرها جيدا .. وهى مشكلة المياه حيث بدأنا الرحلة بعدد 13 جيركن مياه – وكان مجموع القوة حوالى 32 فردًا (أربعة ضباط والباقى صف ضباط وسائقين) .. ولكن لم أعمل حساب كمية المياه التى كانت تحتاجها العربات نتيجة السخونة والبخر .. فبدأت التحكم فى المياه حيث وضعت احتياج السيارات للمياه أسبقية أولى .. مما عرض الأفراد للعطش .. ففى فجر اليوم الثالث

وقبل الوصول للهدف اكتشفت ضابطًا يدعى الملازم (محمد مكى) ومعه رقيب أول وهم ملحقين من وحدة الإعداد والتجهيز بالصاعقة .. جالسين تحت مقدمة أحد السيارات لتفريغ ريديتير أحد السيارات الجيب من بعض المياه فى الزمزميات .. فأمرت النقيب (جلال الدجوى) والملازم أول (محمد الحداد) بإحضارهم وكان ذلك مع بزوغ الشمس .. ولكنهم أتوا بحالة هياج وخروج عن الانضباط العسكرى لدرجة أن الصف ضباط الرقيب أول .. شد أجزاء البندقية للخلف استعدادا لإطلاق النيران.

ولكنى تقدمت نحوه بهدوء ومسكت منه البندقية وألقيتها على الأرض .. ووجدت الرقيب انهار تماما فى حالة من البكاء والهزيان متأسفًا .. وأمرت بخلع الرتب بالنسبة لهم ووضعتهم فى سيارة الشئون الإدارية ووعدتهم بمحاكمة عسكرية .. وأكملت الرحلة لأصل فى اليوم الثالث إلى منطقة على حدود بلدة الكفرة بمسافة 40 كم وقررنا المبيت .. استعدادًا للعودة فى اليوم الرابع – وقد قطعنا المسافة من هذه النقطة إلى الواحات فى 14 ساعة وهى نفس المسافة التى قطعناها فى ثلاثة أيام للأسباب الآتية:

اولاً: لقد اكتسبنا الخبرة فى السير فى مثل هذه الأراضى.

ثانياً: لم نقف لتحديد الاتجاه .. حيث كنا نتبع العلامات التى تركتها السيارات فى الذهاب.

ثالثا: حيث كنا نهبط فى منحدرات إلى أسفل من أعلى الجبال إلى الأراضى المنبسطة.

وعند وصولنا إلى منطقة بها المياه والحياة .. وبوقوفنا فيها وجدت كل الأفراد تعانق بعضها فرحا بنجاح الرحلة بعد يأس وعطش ومشقة وكان أول من عانقنى الرقيب أول والملازم (مكى) – وطلب منى البعض بالصفح عنهم .. فعفوت عنهم .. حيث وجدت أنهم أخذوا درسا فى حياتهم.

وكنت أثناء الرحلة أحدد جغرافية الأماكن من جبال وتبات ووديان – وقد حددت أماكن التشوينات اللازمة لخدمة أى عمل حربى للاقتراب من مدينة الكفرة بليبيا.

وقد شعرنا كثيرا بالفخر لأننا وطأنا بأقدمنا أرض لم يطأها إنسان من قبل رغم أن الإنسان وصل للقمر .. كما أننا نجحنا فى شىء فشل فيه من قبل قمبيز بجيوشه .. أو (باجنولد) الإنجليزى .. و(كلايتون) الألمانى .. حتى محاولة (محمد حسنين) باشا فى الأربعينيات لعبور تلك المنطقة باءت بالفشل وعندما التقيب بالقاعدة الموجودة فى الواحات كانت هناك مفارقات بخصوص تغيير خط السير وقفلى للجهاز اللاسلكى.

وقدمت تقريرى إلى قيادة الصاعقة وطلبتنى إدارة المساحة العسكرية لوضع التعديلات بالخرائط .. وصدرت طبعه الخرائط بنفس المسميات التى أسميتها للمناطق وكتب على الخرائط (طريق رجائى) مثل ما هو موجود من قبل طريق (باجنولد) طريق (كلايتون) .. ولكن للأسف بعد فترة وجدت الطبعات التالية مكتوب عليها طريق الصاعقة وفى نفس الوقت احتفظوا بأسماء الأجانب (باجنولد) و(كلايتون).

عملية الكُفره

لقد اتسمت المواجهة العسكرية على الحدود الليبية بين القوات المصرية والقوات الليبية بضبط النفس .. إلا بعض المناوشات وعمليات استطلاع.

وكانت نتيجة ذلك أن تم أسر دورية من القوات المصرية كان يقوم بها أحد الضابط المصريين ويدعى الرائد أنور – والغريب أن نفس هذا الضابط قد تم أسره فى معركة 73 من القوات الإسرائيلية .. إلا أنه سجل شهيد وحصل على نجمة الشرف العسكرية .. ولكنه عاد ضمن الأسرى وفؤجئنا بعودته .. ولكنه كان سيء الحظ للمرة الثانية وأسر على الحدود فى المواجهة المصرية اللبيبة.

وقد طنطنت ليبيا على هذا الحدث من خلال إعلامها وجرائدها – وقد صادف ذلك أن الرئيس السادات كان سيخطب فى التليفزيون فى اليوم التالى.

ويبدو أن القيادة السياسة المصرية أرادت أن يتم أى عمل عسكرى على ليبيا لتغطية هذا الحدث.

ففى العاشرة صباحًا وكنت جالسا فى مكتبى حيث كنت قائدًا لمدفعية وحدات الصاعقة .. وصلتنى إشارة تليفونية بأن أتوجه إلى مركز قيادة القوات الجوية بمدينة نصر لمقابلة المشير (الجمسى) وزير الدفاع.

وصلت إلى مركز القيادة قبل العاشرة والنصف بدقائق ووجدت المشير (الجمسى) واللواء (نبيل شكرى) قائد قوات

الصاعقة والعميد منير ثابت قائد فرقة الهيلوكبتر والمقدم (الجوهرى) أحد قادة تشكيل الهيلوكبتر.
حدثنى سيادة المشير بتعليمات بأن أقوم بعمل ضد المواقع الليبية اليوم وقبل الساعة السابعة مساءً .. مكملا حديثه بأن الرئيس (السادات) سيلقى خطبه الساعة الثامنة مساء اليوم .. ومن الضرورى القيام بعمل ما ضد القوات الليبية للتغطية السياسية على الحدث الذى تم فيه أسر الضباط فى اليوم السابق .. فخاطبته محدثًا ..
أولاً .. إننا الآن حوالى الساعة العاشرة والنصف .. وإننا على بعد 500 كم من الحدود الليبية.
ثانياً: ليس هناك أى مخطط مسبق لمثل هذا العمل .. أو وقت للتدريب عليه – وأن العمل فى الساعة السابعة يعنى حيكون الوقت نهارًا .. حيث أن المغرب فى الساعة الثامنة.
ثالثًا: وأشرت اللواء (نبيل شكرى) .. قائلا .. سيادتك تقدر تسأل اللواء (نبيل شكرى) .. وهو أننى طلبت منه منذ قيام الأزمة المصرية الليبية – أن يعفينى من الاشتراك فى أى عمل ضد ليبيا .. لأنى غير مؤمن بأى مواجهة ضد بلد عربى وأننى لم أنسَ كلمة أخى الأكبر عندما ذهبت إلى معارك اليمن .. فى مقولته (متنساش إنك حتقابل واحد بيقول الله أكبر زيك .. وبينطق بالشهادة زيك).
وكان لدى الشجاعة بأن أقول ذلك لرصيدى السابق فى المعارك أيام معارك الاستنزاف .. وأنه لن يصفنى أحد بالجبن .. وسيفهمون موقفى ومبدئى. فابتسم المشير

(الجمسى) والذى كانت تربطنى به علاقة حميمة .. وقال .. أنا عارف أنك حتتصرف يا (رجائى) .. وسوف توضع لك كافة الإمكانيات لتنفيذ العمل قبل الساعة السابعة. فقلت له سأستفيد من أنى قد سبق واستطلعت منطقة الكُفرة من قبل وأننى سوف أختار عملى بنفس المنطقة فطلبت من العميد طيار (منير ثابت) وبالمناسبة هو شقيق السيدة (سوزان مبارك) – طلبت منه عدد 2 طائرة (مى 8) .. وكذلك أن يقود تلك الطائرات اثنين من الطيارين أثق بهم لاشتراكنا مسبقا فى عمليات معارك الاستنزاف ضد إسرائيل .. وهم الطيار (أبو الحسن) و(أحمد الدسوقى) – فركبت مع (منير ثابت) فى الطائرة (الجازيل) لنذهب إلى وحدتى بألماظة لأعطى تلقين للنقيب سيد بأن يجهز 4 لونشرات ومع كل لونشر عدد 2 صاروخ (جراد ب) والتوجه إلى مطار غرب القاهرة .. ثم اتجهنا إلى مطار الخطاطبة لتلقين (أبو الحسن) والدسوقى بالمهمة والتوجه إلى مطار ألماظة لقيادة الطائرات (مى 8) .. حيث كانا قد تركا السرب (مى 8) إلى سرب طائرات الهيلكوبتر الكوماندو على أن يتوجهوا إلى مطار سيوه مباشرة .. ثم تم توصيلى إلى مطار غرب القاهرة لمقابلة القوة بقيادة النقيب سيد وأطقم الصواريخ (جراد ب) وقمنا باستغلال طائرة نقل (س130) تاركًا العميد (منير ثابت) والمقدم (الجوهرى) بمطار غرب القاهرة لنصل إلى مطار سيوه بعد ساعتين تقريباً.

وفى مطار سيوه بدأت التنسيق بين الطيارين والقوة المنفذة وأعطيت تعليماتى بأن يطلق كل قاذف عدد 2 صاروخ فقط وأن يكون بكل طائرة 2 قاذف.
وقد أخذت من الخريطة نقطة عالية (تبة) تبعد حوالى 5 كم من بلدة الكُفرة .. وهذه التبة بجانب الطريق الأسفلت المتجه إلى الكُفرة.
وفى التوقيت المناسب فى حوالى الساعة السابعة مساءً أقلعنا إلى الهدف لنصلها بعد عدة دقائق .. وتم إنزال القوة لتنصب الصواريخ وقد قمت بنفسى بتوجيه الصواريخ إلى الجنوب الغربى مع أن بلدة الكُفرة فى اتجاه الجنوب والتى كنت أشاهدها عن بعد بالعين المجردة.
وحرصت أن تقع الدانات فى الرمال البعيدة عن بلدة الكفرا بمسافة عدة كيلومترات .. وذلك بغرض الإزعاج فقط وأمرت الرجال بركوب الهيلوكبتر بعد إطلاق الصواريخ ولكنى شاهدت المجموعة الساترة والتى كانت بغرب الطريق الإسفلت تحت التبة قد أوقفت عدة سيارات مدنية وأنها أحضرب ركابها كأسرى .. ولكنى هبطت بسرعة من التبه لمقابلتهم وقمت بتهدئة الضابط واعتذرت لركاب السيارات وكانوا مدنيين وهدأت من روعهم وودعتهم .. ثم أقلعنا فى طريق العودة إلى واحة سيوه .. حيث قطع الإرسال التليفزيونى الليبيى برنامجه .. ليظهر الزعيم القذافى بنفسه على شاشة التليفزيون ويعلن أن قوة مصرية هاجمت بالصواريخ بلدة الكفرة ويعلن عن خسائر فى الأرواح

والممتلكات .. ويطلب انعقاد مجلس الأمن .. وذلك كله للتشويش السياسى على خطاب (السادات) الذى سيلقيه بعد دقائق .. ولولا أننى شاهدت سقوط الطلقات فى الرمال لصدقت كلام (القذافى) لبراعته فى الإعلان عن الحدث وذلك بالتلفزيون الليبى.

وحمدت الله على أننى قد تصرفت بالشكل الذى يرضى ضميرى ويرضى الله .. ولم أصب أحدًا من الليبيين.

وبعد عودتى إلى القاهرة ومقابلتى للمشير (الجمسى) وأخبرته بالحقيقة .. وقال أنا قلت إنك حتعرف تتصرف.

وأذكر وأنا فى واحة سيوه نقضى ليلنا فى انتظار نهار اليوم التالى للإقلاع بالهيلكوبتر والعودة للقاهرة .. أنه قد أتصل الفريق (أبو سعده) .. قائد الجبهة بمرسى مطروح بقائد القطاع فى سيوه وطلب أن أحدثه فى التليفون ليهنئنى .. وأن أتوجه فى الصباح الباكر إلى مرسى مطروح لأنه قد أعد التلفزيون لإجراء حديث معى .. ولكنى رفضت المطلبين محادثًا السيد العميد قائد القطاع بأن هذا العمل لا يشرفنى أن أتحدث عنه أو أن أتلقى تهنئة عليه .. وأننى لم أضرب أى أهداف حيه بل أطلقت الصواريخ فى الرمال.

وعلى العموم فقد أتت هذه العملية بالهدف المطلوب .. حيث صال وجال الرئيس السادات فى حديثه التلفزيونى .. ووعد بالمزيد – وساعده على ذلك ما قام به (القذافى) بالحديث فى التلفزيون الليبى.

الوحدة 777

فى خريف عام 1976 وقبل احتفالات 6 أكتوبر بأيام .. توجهت مع اللواء (نبيل شكرى) لحضور بروفة احتفالات 6 أكتوبر – وذلك بمنصة الاستعراضات بمدينة نصر.

وهناك قابلت المشير (الجمسى) .. وبعد أداء التحية .. قال لى أنت فينك يا رجائى .. فقلت له أنا حاليا قائد لمدفعية الصاعقة .. فقال .. لأ .. ده مش مكانك دلوقت .. بعد احتفالات 6 أكتوبر تيجى تقابلنى فى الوزارة .. وبعدها حدثت واقعة (لاركا) وكذلك استشهاد يوسف السباعى فى واقعة أخرى .. فاستدعانى المشير (الجمسى) ليكلفنى بمهمة إنشاء وحدة خاصة لمقاومة الإرهاب .. على أن تنشأ داخل وحدات الصاعقة .. على أن ينظر فى تبعيتها فيما بعد. وقد أعطانى المشير فرصة ستة أشهر لأعطى تمام إنشاء الوحدة لتكون جاهزة للعمل .. وأعطانى سلطة أن أستجلب أفراد الوحدة من كافة أفرع القوات المسلحة وخاصة الضباط.

وفى خلال أيام وجيزة وضعت تخطيطى لتشكيل الوحدة المقترح والتسليح والمعدات الفنية المطلوبة .. والمكان المقترح للوحدة.

تأمين دخول العربى ورجوع السلطات المصرية – يلاحظ تواجد الإسرائيليين بالمدينة

عندما توليت قيادة الوحدة 777

وبدأ من هنا الاصطدام بالعقليات التقليدية من قبل قيادة الصاعقة .. حيث فرض على تنظيم كتيبة صاعقة ونفس التسليح .. ولكنى لم آخذ به ونفذت التنظيم المقترح والذى أعددته بعناية للمهام التى سوف تواجهها الوحدة .. وكذلك التسليح – كما وجدت صعوبة ما فى اختيار الأفراد سواء ضباط أو صف ضباط .. حيث كانت الوحدة والتى قوامها حوالى 90 فردًا من المتطوعين .. وقد استدعيت بعض الضباط من وحدات الصاعقة ومن وحدات خارج وحدات الصاعقة أمثال النقيب (محمد الشايب) .. وقد تم اختيار المكان فى قلب مدينة نصر لسهولة الوصول للأهداف الهامة وقربها من مطار الماظة حيث وحدة الهليوكبتر ومن الطريف أن مكان الوحدة فى مدينة نصر أطلق عليه منطقة 777 .. وذلك بعد أن انتقلت الوحدة من مكانها.

وقد تم اختيار اسم للوحدة وهو (الوحدة 777) – وإن ظلت ضمن وحدات الصاعقة إلا أن تشغيلها كان من قبل المخابرات الحربية سواء من ناحية التكليف أو المعلومات.

بعض أفراد الوحدة 777 – أثناء التدريب بخليج السويس

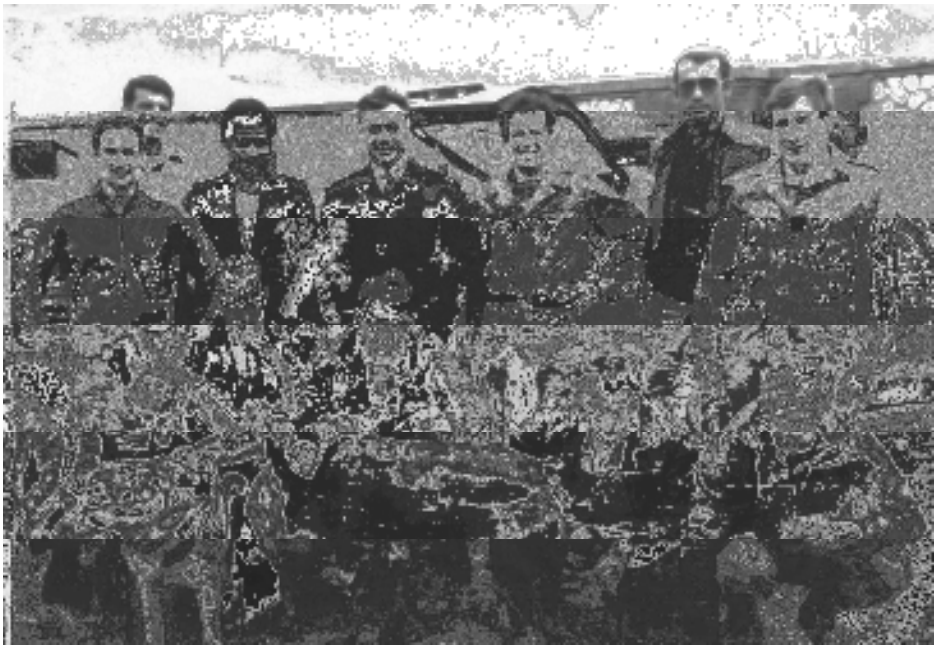

مع وحدات مقاومة الأرهاب الفرنسية - فرنسا

وبعد استكمال التشكيل والتسليح من الإمكانيات المتاحة .. حتى تأتى طلبية الأسلحة والمعدات من الخارج – بدأت فى التدريب .. والتى وضعت أساسيات لتكوين الفرد .. وهى أولا اللياقة البدنية العالية وفنيات القتال المتلاحم بالأيدى أو السلاح الأبيض .. وأخيرًا استخدام الطبنجة فى الرماية .. وأن كنت لا أعلم فى هذا الوقت ما هو المستوى المطلوب .. إلا أننى بمشاهدتى للأفلام الأجنبية وكيفية استخدامهم للطبنجة وهو السلاح الرئيسى فى تنظيم الوحدة .. بدأت أفكر فى أن هذا هو الواقع .. وكيف أصل إلى هذا المستوى .. فبدأت بوضع أسس مبتكرة للوصول إلى هذا المستوى من السرعة والدقة – وفعلا جهزت ميدانًا لهذا النوع من التدريب سواء الجاف أو بالذخيرة الحية .. ورغم أن هيئة التسليح صرفت للوحدة معدل 9 طلقات للتدريب السنوى وهو المقرر للطبنجة .. ولكنى باتصالاتى الشخصية تمكنت من أن يؤدى كل ضارب للطبنجة 500 طلقة للتدريب.

كان المقرر أن أعطى تمامًا بتجهيز الوحدة للعمل فى 6 أشهر ولكنى أعطيت تمام التجهيز بعد ثلاثة أشهر فقط وبكفاءة عالية .. وأذكر عندما حضر قائد الصاعقة للوقوف على مستوى الوحدة .. فقد وجد التنظيم ليس التنظيم ولا السلاح هو السلاح .. وأن الأفراد ملابسهم مدنية .. ولا أنسى كلمته عندما قال مازحا (أنت جايب شوية صيع وتقول عليهم وحدة) .. ولكنه بعد أن شاهد البيانات العملية سواء فى القتال المتلاحم أو الرماية .. أشاد بالمستوى وأصبح

فخورًا بتلك الوحدة – وخاصة عند مشاهدته للبيانات العملية على الأهداف .. لقد ظهرت الوحدة بشكل مخالف تماماً من حيث نوعية الفرد أو التسليح أو الكفاءة وصارت مفخرة لوحدات الصاعقة – وعندما سافرت أنا وبعض الضباط للحصول على فرقة لمقاومة الإرهاب فى فرنسا – استقبلنا قائد الوحدة الفرنسى .. وفى أول يوم أدى أفراد وحدة مقاومة الإرهاب الفرنسية بيان عملى فى الرماية والنزول من الهليوكبتر والقناصة .. فطلبت من قائد الوحدة أن نؤدى نفس التمرينات فوجد أننا بنفس الكفاءة بل تفوقنا عليهم فى بعض الأداء .. فما كان من قائد الوحدة إلا أن قال .. فلنعتبر هذه الفترة تدريب مشترك بيننا .. وليستفد كل منا بالآخر.

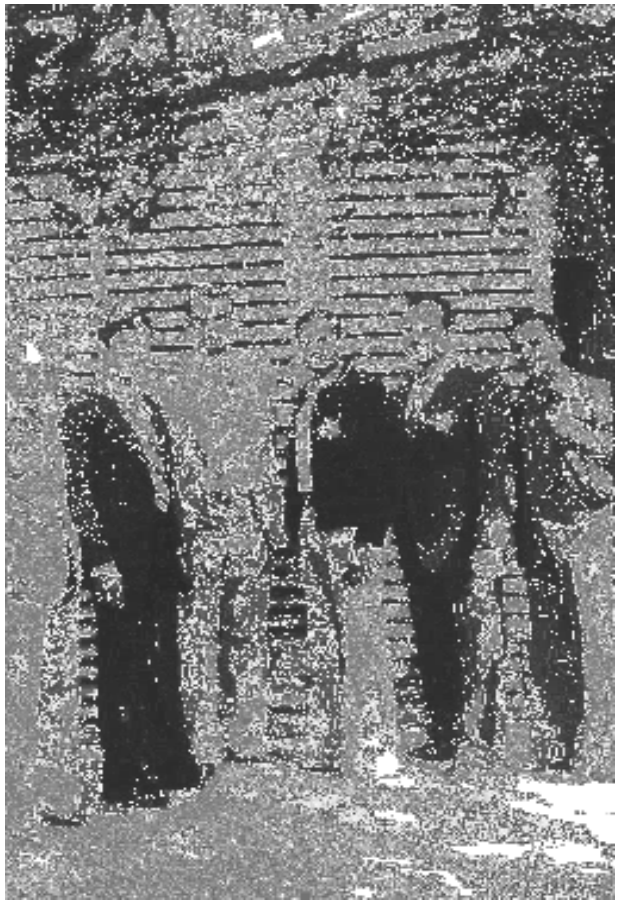

صور أرشيفية من عملية تأمين زيارة السادات للسودان

وفى هذا اليوم علمت أن الرقم العالمى للرماية بالطبنجة مع إصابة الهدف فى أى مكان معين بالخصم هو ثانية وأثنين من عشرة (1.2) – وهذا الرقم حققه كافة من كان معى – وهنا أحسست بأهمية التدريب السابق فى فترة وجيزة حققنا الرقم العالمى .. رغم أننا تدربنا بأساليب بدائية ومقترحة.

وأذكر أنه عندما نازلت قائده الوحدة الفرنسية فى مسابقة للرمى بالبندقية القناصة تفوقت عليه بشكل مثير للفخر.

وأن كنا استفدنا كثيرًا من خبرتهم فى تكنيك وتشغيل العمل والتخطيط. وقد توليت قيادة الوحدة بعد إنشائها لمدة حوالى سنتين ونصف.

وقد أتبعت أسلوب جديد فى عمل الوحدة .. لقد جرت العادة فى العمل بالنسبة لهذه الوحدات أن تكون تحركاتها وتواجدها فى مكان العمل (الهدف) فى سريه – وأن تتسم تواجدها بالسرعة العالية. ولكنى وضعت أسلوب مخالف بعض الشىء .. حيث احتفظ بمبدأ سرعة التواجد .. ولكنى فضلت دائما الإعلان عن التواجد بشكل استعراضى .. ولكن على أن يكون المفاجأة فى أسلوب وتوقيت التنفيذ ببعض العناصر من الوحدة وإخفاء الباقى. حيث أن الشكل الاستعراضى فى التواجد .. يلقى الرعب فى الفرد الأرهابى .. وأن ذلك يضيف ضغوطا بجانب التوتر الذى يعيشه الإرهابى. وقد اتبعت هذا الأسلوب فى معظم المأموريات التى كلفت به الوحدة مثل مأمورية العريش والسودان أو عُمان وغيرها – وخاصة مأمورية عمان والذى استخدمت فيه أسلوب الردع

قبل أن يبدأ الخصم فى تنفيذ مهمته بيوم – حيث أن معلومات المخابرات المصرية حددت الأفراد الذين سيقومون بتنفيذ المهمة – فاختلقت مشاجرة بالإيدى مع بعض هذه العناصر وكانوا فلسطينيين .. علم منها الخصم أنه مع من سوف يتعامل وأنه يفكر ألف مره قبل أن يقدم على مثل هذا العمل .. وقد تلقى هؤلاء الأفراد علقه ساخنة ومفاجئة وفعلا مر اليوم المحدد لتنفيذ العملية بسلام وهو احتفال السفارة المصرية بعمان بيوم 23 يوليو.

وقد تم إتباع نفس الأسلوب فى بعض البلدان الأوروبية لحماية بعض الأهداف سواء الثابتة أو المتحركة. وقد حقق هذا الأسلوب نجاحًا كبيرًا فى أنه رغم انتشار الأعمال الإرهابية فى العالم فى هذه الفترة .. إلا أنه تم ردع كافة الأعمال التى كانت مخطط لها القيام بها ضد مصر فى هذه الفترة.

واذكر الفضل هنا إلى العميد (مازن مشرف) والذى كان يتولى تشغيل الوحدة والمد بالمعلومات .. حيث كان المختص بالمخابرات الحربية بالعمل ضد الإرهاب .. لقد كان الوحدة تكلف بأكثر من مهمة فى الشهر الواحد .. وفى أكثر من بلد حول العالم.

ولكن فى أواخر عام 1969 اختلفت مع قائد وحدات الصاعقة .. حيث بدأ فى إلحاق بعض الأفراد من خارج الوحدة للمأموريات .. كمجاملة لهم .. فرفضت هذا الأسلوب وطلبت ترك الوحدة .. ليتولى من بعد منى المقدم نادر عبد

الله والذى سار على نفس المنهج ولكنه لم يستمر طويلا لتمسكه بنفس المبادئ .. ويتركها أيضا ليتولاها قيادات تقليدية لم تتمكن من الاحتفاظ بنفس الفكر أو المستوى مما أوقعها للأسف فى الخطأ الذى وقع فى عملية لارناكا من قبل.

حيث تم حجز طيارة مصرية بواسطة مجموعة إرهابية من الفلسطينيين وذلك فى مدينة (فالتيا) بجزيرة مالطة وبدلا من استخدام التكتيكات التى تدربت عليها الوحدة (777) فى تخليص الطائرات من الإرهابيين – استخدام أسلوب التكتيكات الميدانية .. وكأنهم القوة المنفذة تقوم بالهجوم على تبه أو موقع عسكرى .. مما أوقع خسائر كبيرة سواء فى المنفذين أو الطائرة والمدنيين بالطائرة وذلك نتيجة تدخل قيادات من الخارج وحدة (777).

الناصية الثامنة

دخلت الحياة العسكرية سنة 1956 مع بداية شهر أكتوبر .. لأودعها فى نهاية شهر ديسمبر 1980.

كما دخلت الحياة العسكرية على إيقاع مبادئ وقيم وثقافات الناصية الأولى من حياة الصبا المدنية .. فقد رجعت إلى الحياة المدنية مرة أخرى إلى إيقاع المارشات العسكرية من حسن إيقاع وانضباط وإصرار وعزيمة وجرأة وسرعة فى اتخاذ القرار السليم .. وهى التى ثقلتنى فى الحياة العسكرية عليها.

بقدر اعتزازى بالحياة العسكرية والتى أمضيتها كما تخيلتها تماما كمقاتل يدافع عن وطنه .. فأنى اعتز أيضا بحياتى المدنية ما بعد العسكرية لأنى وبعد ثلاثين عام حتى الآن أمضيتها ابنى فى وطنى .. وذادنى شرفا أننى كنت ابنى فى أعز ما تملك مصر وهو أبناؤها.

واعتقد أن الاختيار عند هذه الناصية هى هداية من عند الله .. لأن الله يهدى من يشاء .. وقد يكون ما سبق أن قمت به من رسالة فى سبيل الله والوطن هى الذخيره التى هى لى عند الله.

لقد دخلت مجال التعليم من باب إنشاء معهد للغات ولكن بأسلوب مختلف فى التعليم وحيث أدخلت التعليم عن طريق السمع والبصر من خلال أشرطة فيديو سافرت خصيصا إلى لندن وتم اختيارى لها – كما أنه لم يسبقنى مصرى فى هذا العمل حيث كان مقصور تعليم اللغات على الجامعة

الأمريكية والمركز الثقافى البريطانى ومعهد بملكه شخص إنجليزى.
طورت فى صناعة معامل اللغات والخاصة بتعليم اللغات بأنى جعلت المعمل سمعى بصرى بدلا من سمعى فقط .. وقد ناقشت الشركات العالمية فى إمداد الجهات التى ترغب فى تركيب هذه المعامل وبصناعة وأيدى مصرية.
أدخلت تدريس الشهادة البريطانية (GCE) ضمن تدريس المعهد وبمدرسين مصريين وقد تفوقوا على المدرسين الأجانب بالمركز الثقافى البريطانى قمت بإنشاء مدرسة متكاملة للغات على مساحة عشرة أفدنة وكانت أول مدرسة تنشئ على هذه المساحة.

أنشأت المدرسة الفرنسية 1999.
أنشأت قسم التنمية الفكرية وصعوبات التعليم 1999 حيث صنفت هذه الفئة على درجات لكل منها تعاملها وتعليمها الخاص .. وقد طبقت أسلوب الدمج فى تربية وتعليم هذه الفئة والتى نجحت كثيرًا .. حيث كانت النتائج أن خرج منهم من هو مهندس أو معيد بالجامعة وكثيرًا منهم بالأعمال الحرة بنجاح .. وقد كانت تجربة رائدة.
منذ أن تبلورت عملية التعليم فى وجدانى فإنى أسعى لإنشاء شهادة مصرية دولية تحل محل الشهادات الأجنبية وذات قومية مصرية.

الاختيـار

فى أعقاب معركة أكتوبر 73 وانتهاء الحرب 67 – 73 .. بـدأ الضـباط فـى تأهيـل أنفسـهم لمواجـه الحيـاة المدنيـة وخاصـة القـدامى مـنهم – فبـدأ معظـم الضـباط بالالتحـاق بالجامعـات وخاصـة بكليـات التجـارة والحقـوق والآداب .. ومنهم من التجأ للدراسات العليا.

وفى الحقيقة وجدت نفسى فى اختبار آخر .. حيث اعتبرت أن ما مر بى بالقوات المسلحة خبرة لا يستهان بها وخاصة فى الإدارة وعلم الاجتماع والتدريب.

وبناء على نصيحة أحد أقاربى وهو لواء يكبرنى كثيرًا فى السن .. أن أحتك بالسوق والاحتكاك بكافة المهن .. فلم أترك مجال إلا وعايشته سواء فلاحه أو تجارة أو حداده أو معمار وفى مجال الصناعات والاستيراد والتصدير – ووجدت أن لكل مهنه لغة خاصة به .. وكان احتكاكى دون أن أنغمس فى الشىء نفسه .. واعتبرت ذلك هذه هى جامعتى التى التحقت بها.

وفى فترة لاحقة بدأت أمارس بعض هذه الأشياء .. وكان هدفى هو التعليم وليس الربح .. بل اعتبرت أن أى خسارة وكأننى أصرف على تعليمى .. وأن كان مكسب فهو خير وبركة فأنشأت مزرعة دواجن .. وشاركت فى إنشاء جمعية إسكان تعاونى (جمعية نفرتيتى) ومن مؤسسى جمعية زراعية (جمعية أحمد عرابى) – وعندما التحقت بمعهد

لتعليم اللغة الإنجليزية وجدت نفسى أدرس أسلوب عمل المعاهد وطريقة عملها وكيفية إنشاءها .. واقتصادياتها.
فشدنى كثيرًا مجال التعليم وخاصة أن الضابط اصلا معلم فمنذ أن توليت فصيلة إلى سريه ثم مجموعة تشمل كتائب وأنا مسئول بل أى ضابط مسئول عن تعليم وتدريب القوات التى يقودها .. فوجدت المعلم بداخلى .. ولكن ليس من المعقول أن أمسك الطباشيرة وأقوم بالتدريس .. فإن المجال فى الحياة المدنية ليس فيها من المعلومات العسكرية التى تدرس .. وكالعادة فى السرعة فى اتخاذ القرار ومع حساباتى فى أنى فى الإمكان أقود مجموعة من المعلمين .. وجدت نفسى أنشا معهد تعليمى للغات.
وكان أمكانياتى لم تتجاوز بعض الآلاف التى لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحدة من عملى فى المجال المدنى قبل مزرعة

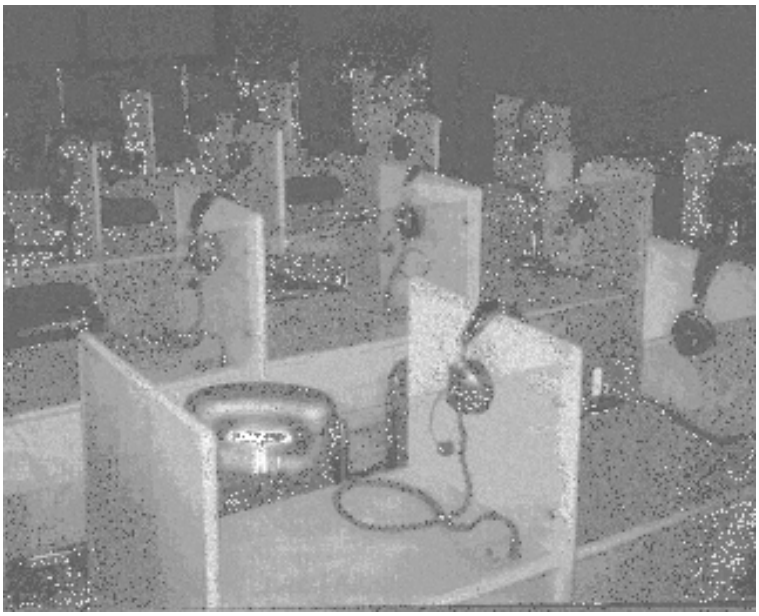

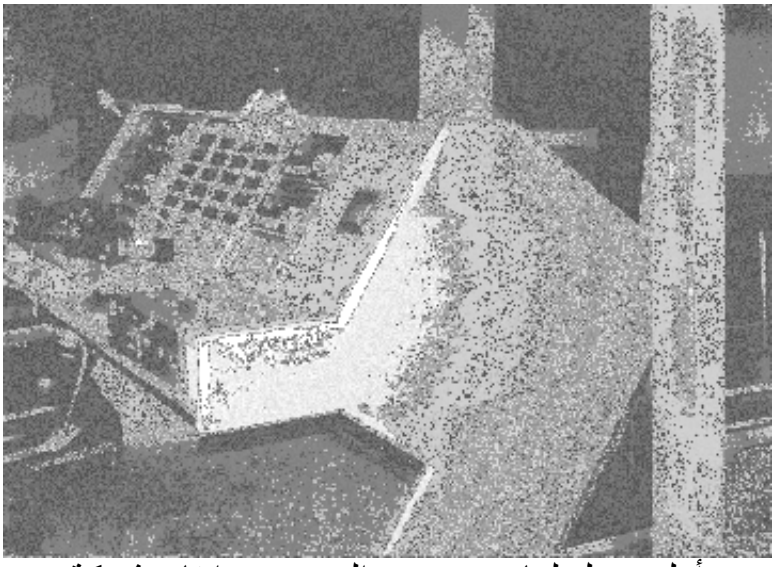

أول معمل لغات مصرى الصنع من إنتاج شركة
رجاك للألكترونيات

الدواجن وخلافه .. وقمت بإيجار عمارة بمصر الجديدة بمبلغ 450 جنيه فى الشهر وكان ذلك مبلغ كبير فى ذلك الوقت .. وتجهيزها بالتجهيزات اللازمة كمعهد وسافرت إلى انجلترا لاختيار المنهج المناسب حيث خططت أن تكون الدراسة بأسلوب حديث من خلال شرائط فيديو ومعامل لغات وكانت هذه الطريقة لم يسبقنى فيها معهد آخر.

وقد عرض علىَّ صاحب العمارة وهو فلسطينى الأصل أن يشاركنى بإيجاره العمارة فى المشروع فوافقت .. وكنت مازالت بالخدمة وكان ذلك عام 1979 .. وكان جهلى الشديد بالعقود التجارية والمشاركة فيها .. قد أوقعنى فى المحظور .. ومع نجاح المعهد وطمع صاحب العمارة وجدت نفسى لا أملك شىء ممن تم عمله فى هذا المعهد.

ومع هذا كان فى الإمكان أخذ حقى أو بعض منه خلال التفاوض والقانون .. إلا أن تفكيرى كان مازال متأثر بالتصرفات العسكرية مما جعلنى أتخذ قرارات تتصف بالعنف مما أوقعنى فى المحظور والذى أتخذها خصمى ورقة للتفاوض وخرجت من هذا المعهد ببعض حقوقى.

تدريس GCE (معهد رجاك)

ولكنى بدأت بمعهد آخر فى مدينة نصر وكانت هذه المدينة ليست عامرة مثل مصر الجديدة وكان ذلك سنة 1980 – وكان الجميع يلومنى على أنى اخترت هذا المكان النائى فى مدينة نصر فى هذا الوقت ولكن كرم الله على أن هذا المعهد فى هذا المكان والذى كان طاقته 44 فصل فى الدورة الواحد حسب التباديل والتوافيق .. كان بفضل الله ما يقرب من ثمانون فصل لأنى كنت أقوم بالتدريس لبعض الهيئات فى أماكنها مثل هيئة التنظيم والإدارة والمعرض الدولى ووزارة التأمينات وبعض الفنادق الخمس نجوم.

وقد اخترت أسم رجاك من أسمى .. حيث أسمى مركب (أحمد رجائى) ومعنى رجاك (أى ما يعنى ما تتمناه).

واستمر هذا النجاح منذ بدأت أى ما يقرب من خمس سنوات .. حتى وصل أن تعاقدت مع معهد المنار وهو خاص بمؤسسات البترول للتدريب الإدارى واللغات وقد تعاقدت معه بمبلغ كبير فى ذلك الوقت .. مما أثار حفيظة المعاهد والمؤسسات القديمة مثل الجامعة الأمريكية والمركز الثقافى البريطانى ومعهد القوات المسلحة .. والذى تحرك رئيس هيئة التدريب بالقوات المسلحة فى ذلك الوقت .. ليقابل وزير البترول ويحول العقد إلى معهد القوات المسلحة .. وبدأ الضرب تحت الحزام .. وفى نفس الوقت بدأ صاحب العمارة التى فيها المعهد بمدينة نصر والذى كان شريك بقيمة الإيجار بالمطالبة بإخلاء المعهد من العمارة .. وفى نفس الوقت كنت قد نجحت فى الحصول على قطعة أرض من

نادى النصر بمصر الجديدة بالإيجار .. لأبنى عليها معهد .. وكنت قد قررت مع بداية البناء أن أقتحم عالم تدريس الشهادة البريطانية (GCE) وفعلا بدأ أولى الدورات قبل الانتهاء من البناء .. والذى أصبح اسم (رجاك) مقرونا بتدريس هذه الشهادة.

وقد بدأتها بأساتذة محترفين أمثال الأستاذ (فؤاد حبيب) والدكتور (حسن عثمان) والدكتور (عبد الرحمن) والدكتورة (عبلة النشار) .. إلا أننى بدأت فى تصعيد أفراد جدد .. وقد يكونوا غير مرتبطين أصلا بالتعليم .. ولكنى تمكنت من تأهيلهم وتدريبهم على طرق التدريس لهذه الشهادة .. وقد كان الأساتذة الأفاضل الذين ذكرت أسماءهم لهم فضل كبير فى ذلك.

تدريس G.C.E (معهد رجاك)

وكان معهد رجاك له الفضل فى نشر هذه الشهادة انتشار أكاديمى ذو قواعد وأصول.
وقد تمكنت من فتح فرع آخر فى الدقى كان هو الآخر حقق نجاحاً باهرا .. وقد كان ابنى محمد هو المسئول عنه رغم صغر سنه والذى كان فى هذا الوقت 18 سنة. واذكر هنا الدكتورة فاتن أبو ليله والتى تعرفت عليها عندما كانت طالبة فى معهد رجاك تدرس اللغة الإنجليزية .. والتى كانت تتمتع بديناميكية وذكاء .. حيث انضمت إلى معهد رجاك بمصر الجديدة والتى كانت عنصر مساعد على نجاح المعهد عندما بدأت أدرس الشهادة البريطانية (GCE) .. والتى استمرت معى عندما أنشأت أول مدرسة بأسم رجاك فى طريق مصر الإسماعيلية.
وقد تمكنت من جمع مبلغ كبير من المال وفى نهاية عام 89 تمكنت من شراء قطعة أرض حوالى عشرة أفدنه فى طريق مصر الإسماعيلية وبالتحديد عند علامة ك 30 – والتى كان على أن أبدأ فى بناء مدرسة عليها .. ولكن كانت المشكلة منذ بداية بناء المعهد بمصر الجديدة أو المبنى المدرسى بطريق

مصر الإسماعيلية .. هو التمويل .. ولكنى أوجز ذلك فى أننى كنت منذ عدة سنوات سابقة كنت قد بدأت فى عمارات تعاونية .. كنت اشترى بعض من شققها والتى كانت تزيد أثمانها بعد كمال البناء وكذلك شاركت أخى فى حوالى مائة فدان بالشرقية وهى أرض صحراوية بالتل الكبير .. وفى بيع هذه الأصول تكون لدى بعض الأموال التى مكنتنى من البناء وكذلك مساهمة بعض الأستاذة الذين بدءوا معى شهادة (GCE) وذلك بحصص عينية ذات عائد سنوى .. وقد سددتهم جميعًا من الإيرادات.

كما أن تدريس شهادة (GCE) ثم (IGCSE) عرضنى لمشاكل جمة مع وزارة التربية والتعليم وكذلك البناء على أرض طريق مصر إسماعيلية وهى أرض صحراوية .. والتى اعتبرتنى وزارة الزراعة أننى أفسدت خطة الزراعة بمصر.

رغم عدم وجود مياه أو أى مرافق .. وكانت هناك عدة أوامر بالإزالة والغرامات. إلا أن الشق المالى أو الإدارى الخاص بالتعرض للمصالح الحكومية .. والذى عرض مشروعى وأمالى للتهديد .. لا أقدر أن أقول أن التغلب عليهم كان نوع من الشطارة بقدر ما هو وقوف ربى بجانبى فى كل المواقف .. وأن عبور هذه المحن ليست إلا من عند الله.

أن فكرة إنشاء مدرسة فى الصحراء بدون مياه أو كهرباء كانت فكرة جديدة وجريئة .. إلا أن حياتى العسكرية جعلت الصعب .. سهل – حيث أن فكرة جلب المياه بواسطة

العربات واستخدام المولدات الكهربائية قد يسرت العملية ككل .. وقد تم توصيل الكهرباء بعد سبعة عشر عام وذلك بمعاناة شديدة وفى انتظار وصول المياه – وأحب أن أنوه أن بعد أن أقمت المدرسة فى هذه المنطقة أصبح فيها الآن ما يقرب من خمسة مدراس أخرى ومعهدين وجامعة .. والجميع ينتظر حتى هذا الوقت الكهرباء والماء رغم أنها مؤسسات تعليمية ناجحة وتخدم أكثر من 30000 طالب سنويا وبها أكثر من 10000 موظف ومدرس وعامل.

وقد دخلت مجال التعليم عن قناعة تامة وكنت لا أتصور نفس غير أن أكون مربى الأجيال .. حيث وفقنى الله فى خدمتى بالقوات المسلحة وحصلت على كافة نياشين القوات المسلحة على صدرى .. وقد رقيت استثنائيا إلى رتبة المقدم أثناء معارك الاستنزاف – وقد وجدت أن ليس هناك وضع أدبى أرقى من أكون معلم ومربى لأجيال .. كما أن لى أفكار قيمة أحببت أن أزرعها فى أجيال قادمة.

وعندما بدأت هذا المجال وجدت أشياء غريبة .. وهى أن قيمة المدرس .. فى كم عدد الطلبة اللذين يعطوهم دروس خصوصية .. وأن تحضير الدروس فى دفتر التحضير .. يتولاه كل مدرس على حدة وهذا يضعف الأداء التعليمى ويعتمد ذلك على ضمير وخبرة المدرس والوقت المتاح له .. والذى هو مشغول بالأعمال الخارجة عن المدرسة مثل الدروس الخصوصية وخلافه مما جعل أكثر المدرسين

التزاما يقوم بتحضير الدرس قبل دخوله المحاضرة مباشرة.
كما أن أعمال السنة تقييم شهريا بشكل عشوائى.
وقد استعنت كأى مدرسة بذوى الخبرة من رجال التعليم فى تعيين القيادات .. ولكنى وجدت أن العملية التعليمية تتم على حساب الطالب لإرضاء صاحب المدرسة وعلى حساب ولى الأمر لإرضاء ذاته .. ونفس الشىء على حساب صاحب المدرسة وسمعه المدرسة لإرضاء الطالب وولى الأمر.
فقررت وبخطوات جريئة تصعيد الشخصيات البارزة من المدرسين والذين أمضوا فترة بالمدرسة .. وكان اختيارى على أساس من هم زعماء الشلل .. ورغم أنهم شباب صغيرة ومعظمهم من الفتيات .. إلا أن اعتقادى أن نشاطهم وعقليتهم الشابة سوف تحرك الأمور فى الاتجاه السليم .. أما الخبرة فقد تفرغت بخبرتى بجانبهم .. وقد ثبت وجه نظرى – وقد تمكنت من خلالهم بالقضاء على الدروس الخصوصية بالمدرسة وأن يعمل الجميع لصالح الطالب والعلمية التعليمية نفسها.
وقد أنشأت إدارة فنية لمعاونة هؤلاء القيادات .. وقد جمعت فكر هيئات التدريب والبحوث والتفتيش بالقوات المسلحة فى هذه الإدارة وأسميتها إدارة البحوث والمتابعة أو الإدارة المركزية.
وقد سجلت هذه التجربة وفكرت فى التعليم وأسلوب الأداء فى كتاب أسميته بناء التعليم – وقد وزعت هذا الكتاب على كافة المستويات المهتمة بالتعليم وعلى رأسهم وزير التربية

والتعليم .. وأعتقد أنهم أخذوا بـه .. ولكن للأسف لـم يسـألنى أحـد لمعرفـة التفاصـيل فـى التطبيـق .. فخـرج مـن الـوزارة بأسلوب مبتور

وغير دقيق فى أسلوب التنفيذ وقد اختمرت لدى ابتداءً من عام 1998 العملية التعليمية وذلك من خلال الفكر الجديد للتعليم ونجاحى فى إنشاء كوادر قيادية .. وكنت حتى هذا الوقت قد أنشأت مدرسة اللغات ومدرسة المنهج البريطانى .. فأنشأت المدرسة الفرنسية وكانت أول مدرسة خاصة تنشأ مدرسة فرنسية منافسة للمدارس التقليدية والتى كان معظمها مدارس راهبات – ثم أنشأت المدرسة الدولية الأمريكية بتدريس المنهج الأمريكى ولنشأة المدرسة قصة سأذكرها فيما بعد ثم مدرسة لذوى الاحتياجات الخاصة وبعد فترة أنشأت مدرسة بمدينة الغردقة على ما يقرب من عشرين فدان ثم مدرسة بمدينة المنيا على حوالى ستة أفدنة وكان ذلك ابتداءً من العام الدراسى 2008 – 2009 أما قصة اقتحامى لإنشاء مدرسة أمريكية فكانت فى عام 2000 عندما دخلت على فى مكتبى شابة ولها طفلان الأول ليلتحق بالسنة الأولى الابتدائى والأكبر إلى الصف الثالث الابتدائى وكانوا بمدرسة أمريكية يملكها أحد اللبنانيين بالقاهرة وقالت أنا عارفة أن مافيش تحويل من مدارس أمريكية إلى مدارس عادية (وكان ذلك القانون فى ذلك الوقت) .. ولكن كتير قالوا لى أن حضرتك لما تعرف السبب سوف تتصرف وقالت أن السبب فى طلب نقلهم أن أحد المدرسين بالمدرسة الأمريكية وكانوا كلهم أجانب قال لأبنها عندما تكلم العربية وهو مع زملاءه فى الفناء .. (أنت بتتكلم عربى زى الداده)

.. واعتبرت هذه الشابة أن هذا امتهان لقوميتنا ولغتنا على أرضنا.
وتعاطفت مع الموقف .. وفعلت المستحيل فيما هو قانونى وغير قانونى وحولتهم إلى مدرستى.
وعزرت الأم عندما شاهدت تأثير ذلك على أبنها الأكبر عندما كانت المدرسة تقوم فى طابور الصباح وفى مناسبة وطنية بأن يحرق التلاميذ العلم الإسرائيلى ثم العلم الأمريكى .. ومر حرق العلم الإسرائيلى بسلام .. ولكن عندما تم حرق العلم الأمريكى وجدنا هذا التلميذ فى حالة صراخ شديد وأغمى عليه .. بالله عليك ماذا تبقى له من مشاعر وطنية أو حب مصر ومع مرور السنين أصبح هذا التلميذ شابا مصريا خالصاً بعد إعادة تعديل سلوكه بالمدرسة.
ومنذ ذلك التاريخ قررت أن افتح مدرسة ذات منهج أمريكى مع الحفاظ على الهوية المصرية بتدريس المواد القومية واللغة العربية بنفس الاهتمام بباقى المواد – وذلك حتى أنقذ من يرغب فى دراسة المنهج الأمريكى من فقد هويته أو مصريته وأحب أن اذكر هنا والذى أقنعت به أولياء الأمور والمدرسين بأن المهم كيف ننمى الشخصية فى التلاميذ قبل وأهم من الحصول على الدرجات فى شهادته – وقد كلفنى ذلك كثيرًا فى العملية التعليمية وذلك بتعيين كوادر فوق المعدل لتدريس ومراعاة هذا الأسلوب.
وأن كنت قد عملت فى بداية ممارستى للعملية التعليمية ببعض الأعمال التجارية والتى كنت بحمد الله موفق فيها ..

وذلك لتجميع المال لإنشاء المدارس .. إلا أننى عندما بدأت المدارس تغطى نفسها بدأت فى تجنب أى أعمال تجارية .. وذلك ليس لتنكرى للعمل التجارى .. أنما كما أقضيت الحقبة الأولى من حياتى كرجل عسكرى .. فأنا لا أحب إلا أن أختم حياتى كمعلم ومربى للأجيال .. وأننى أعتبر أن العسكرية شرف .. وتربية النشء شرف أيضا.

وقد أخذ أسم رجاك احترام بين المحافل التعليمية والتربوية .. مما سهل فيما بعد من الانتشار فى المحافظات وترحيب من أى محافظة لكى تنشأ مدرسة بها. فأنشأت مدرسة للغات بالغردقة سنة 2004 على مساحة 17 فدان – ثم انشأت مدرسة رجاك للغات بالمنيا على مساحة 6 أفدانه سنة 2008. وكان هناك لى تجربة عام 1994 .. عندما حصلت على ترخيص من جامعة نورث أيسترن بولاية بوسطن الأمريكية بفتح فرع لها بالقاهرة – وكانت هذه الجامعة تعد من أرقى الجامعات بالولايات المتحدة .. ولكن بعد مرور عام دراسى كامل ونصف .. وبعد أن تم تغيير الوزير (حسين كامل بهاء الدين) ليحل محله الدكتور (مفيد شهاب) والذى وقف أمام استمرار الجامعة رغم أننى حاصل على ترخيص مبدئى من وزارة التعليم العالى وترخيص من جامعة نورث أيسترن الأمريكية .. والسبب كان معروفا وهو سبب وضيع .. حيث أن أى جامعة أنشأت فيما بعد من هذه الجامعات الخاصة كانت تشكل من مجلس أمناء من ذوى النفوذ حتى يضمن استمرارها .. ولكنى لم أفعل ذلك رغم أنى كنت أول جامعة أجنبية خاصة فى مصر.

أثناء ألقاء خطاب الافتتاح جامعة (نورث أيسترن)

ومن الغريب أننى عندما رفعت الأمـر أمـام القضـاء الإدارى .. طبعـا خسـرت القضـية وجـاء فـى حيثيــات الحكـم أننــى بإنشـاء هذه الجامعـة قد أرجعت صورة من صور الاستعمار القديم (بهذا النص) والأغرب أن بعدها بسنوات وفـى ظـل نفس الوزير أنشـأت الجامعـة البريطانيـة والفرنسية والكنديـة والروسية!!

النواصى

فى حياة كل إنسان ما يسمى بالنواصى فى حياته.. أو أهم الأعمال والتى تعتبر ابتكار جديد فى مجاله .. رغم صغر هذا الشىء .. إلا أنه يؤثر فى الحياة العامة ومصلحة العمل نفسه -وهى ليست من الأعمال القتالية ولكنها تخدم الأعمال القتالية قد تخلد بذهن القارئ الأشياء المهمة والتى تم سردها فى كتابى هذا – ولكنى أحب أن القى الضوء على الأشياء التى قد تمر على القارئ دون أن يلتفت إليها – قد تكون أشياء بسيطة الآن ولكنها كانت فى وقتها لها قيمتها.

الحياة العسكرية

فى السنة الأولى لخدمتى .. وبعد أن تعثرت فى الستة شهور الأولى فى العمل وتم تحويلى إلى وحدة أخرى كفرصة أخيرة .. ولكنى اعتبر أنى كنت السبب فى أن تتقدم السرية على سرايا المدفعية المنفصلة وحصلت السرية على المركز الأول .. حيث لم أقم بأداء الرماية بالطريقة التقليدية التى درستها فى مدرسة المدفعية .. بل استخدم طريقة تم تدريسها على الهامش وهى الرماية مع نقص الإمكانيات .. ووجدت أن هذا يتوافق مع إمكانياتي فى كيفية قراءة الخرائط .. وكانت جرأة أن استخدم إمكانياتى الذاتية وتجنب الأسلوب التقليدى فى الرماية.

عند حصولى على فرقة الصاعقة .. وخدمتى بجناح الجبال (الجناح الخاص) تعاونت مع زميلى ودفعتى (مختار الفار) فى السير فى الجبال بواسطة الخرائط والنجوم وتم تدريس ذلك للطلبة – وأصبحت جميع الداوريات وباقى المعلمين يتبعون ذلك ويتخلوا عن السير بالإدلاء.

أدخلت أمكانية النزول من الطائرة الهليوكبتر بواسطة الجبال وقد بدأت التجربة بإمكان نزول الفرد فى الدقيقة .. إلى أن انتهينا بالتجارب إلى نزول عشرة أفراد فى الدقيقة.

القفز من الطائرة الهليوكبتر وهى سائرة فى الجو على ارتفاع 3 متر وبأعداد كبيرة.

القفز فى المياه من الطائرة الهليوكبتر وهى فى حالة الثبات على ارتفاع 45 متر – وقد شاركنى فى هذه التجربة زميلى ودفعتى (حسين فهمى) ولا اعتقد أن هناك أحد تعدى هذا الرقم.

عبور هضبة الجلف الكبير ببحر الرمال الأعظم بالصحراء الغربية وهى ما لم يعبرها أحد حتى كتابة هذه السطور.

تدريب الجنود العاملين على القواذف المضادة للدبابات من الضرب من أعلى إلى أسفل – وهذا غير وارد فى تكنيك الرماية بمثل هذا الصاروخ.

ابتكار أساليب جديدة وغير مسبوقة فى التدريب للرماية بالطبنجة .. أوصلت أفراد الوحدة 777 إلى المستوى العالمي فى فترة وجيزة وذلك كله دون الالتجاء إلى خبرة أجنبية.

إدخال أسلوب الردع فى تكتيكات مقاومة الإرهاب .. مما أفشل أعمال كثيرة إرهابية قبل أن تبدأ.

القيام ببحث متكامل الإمكانيات الغنية والتكتيكية لإنشاء مدفعية الميدان الطائرة.

إدخال خبرة أعمال الملاحة البحرية للصيادين فى تدريب الأفراد القائمين على العمليات بالقوارب المطاطية.
أن مجمل الأعمال القتالية خلال خدمتى بالقوات المسلحة.
(5) عمليات قبل تشكيل مجموعة 39 قتال (2 منهم ضمن منتظمة سيناء).
(16) عملية ضمن من المجموعة 39 قتال.
(27) عملية من مكتب مخابرات الغردقة (بأسم منظمة سيناء العربية).

الحياة المدنية

إدخال عنصر المشاهدة فى معامل اللغات من خلال دائرة تليفزيونية مغلقة .. رغم أنها كانت صوتية فقط .. وكانت هذه الطريقة تستخدم فى المعامل التى أنتجتها شركة رجاك للصوتيات لأول مرة فى العالم.

تطوير عمل السكرتارية التنفيذية إلى إدارة مركزية قادرة على تأدية خدمات مفيدة عندما تكون الإدارة لأكثر من مدرسة. وهى فكرة هيئة التفتيش والتدريب والبحوث فى القوات المسلحة .. وذلك بما يتلاءم مع الحياة المدنية.

طرح فكرة إلغاء مكاتب التنسيق لدخول الجامعة – واستبدال فكرة تكافؤ الفرص .. إلى فكرة إطلاق الفرص

تطبيق فكرة الدمج لطلبة الصعوبات حيث أول ما طبقت فقد طبقت عام 1989.

الاستعانة بالشباب فى تعيين قيادات التعليم من نظار وموجهين بعد التدريب.

إنشاء وتطبيق فكرة بنوك المعلومات والأسئلة والأنشطة فى التعليم.

فرض التحضير الجماعى للدروس والمنهج .. مع عمل كراسة للفصل والواجبات مواكبة لهذا التحضير.

مع بداية العمر فى الخمسينات بدأت موهبة كتابة الشعر ومع مقتبل العمر فى الستينات بدأت بهواية الرسم وكانت رسوماتى تعبيرية لموضوعات.

وضع مخطط لبناء التعليم السليم بمصر .. وهو يعتبر بحث متكامل أخذت به وزارة التربية والتعليم.